

الموسى



مجلة علمية تخصصية نصف سنوية تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

في هذا العدد:

تمهيدنا: عنصر المفاجأة

الانتظار - الدلالة والآثار والمنع من التحرك في عصر الغيبة - الشيخ كاظم القره غولي

حكم تسمية الإمام المهدي - الشيخ جاسم الوائلي

لْتَفْسُدَنَّ.. مرتين - السيد باسم الصافي

الشواهد القرآنية في التوقيعات المهدوية - الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

الخسف في البيداء علامة حتمية - السيد جعفر القبانجي

الماشيح المنتظر اليهودي - أ. د. عامر عبد زيد الوائلي

الإمام المهدي بين ولادة الاعتقاد واعتقاد الولادة - الباحث علي محمد ناصر

الثأر ثقافة الانتظار ولغة استرداد الحقوق - الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

مقارنة نوعية لموعود المسيحية مع موعود الشيعة

موسى جوائز - ترجمة: السيد جلال الموسوي

دراسة التحولات في قراءة مفهوم (انتظار الفرج) في الغيبة الكبرى

السيد كاظم الطباطبائي، مهدي الجلاي، مونس الفارساني الدهقاني، حسن نقى زاده

ترجمة: السيد جلال الموسوي



مجلة علمية تخصصية نصف سنوية
تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

المشرف العام:

السيد محمد القبانجي

رئيس التحرير:

الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

مدير التحرير:

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

التصميم:

الأستاذ حيدر محمد الطريفي

الإخراج الفني والتنضيد الإلكتروني:

الأستاذ حسن محمد الطريفي

عدد النسخ:

٥٠٠ نسخة

الناشر:

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

جميع الحقوق محفوظة للناشر

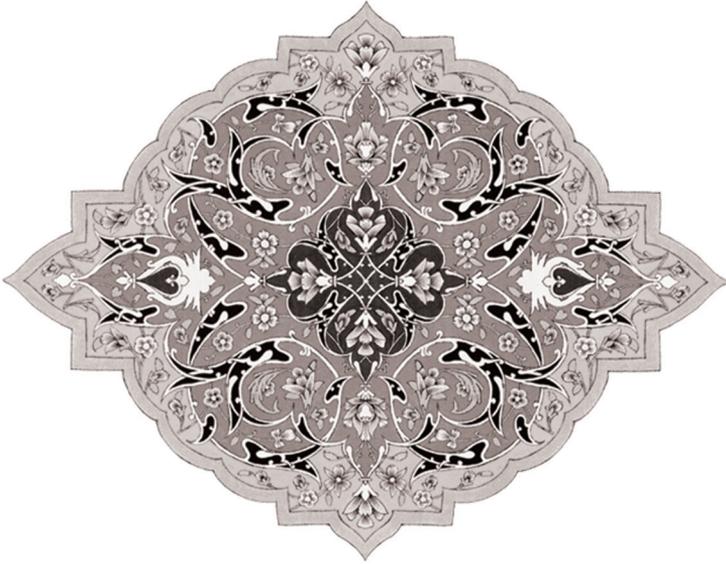
الهيئة الاستشارية

الشيخ نزار آل سنبل

السيد أحمد الاشكوري

الشيخ علي آل محسن

السيد ضياء الخباز



الموعود

مجلة علمية تخصصية نصف سنوية

تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

قواعد النشر في مجلة الموعود

١. تنشر المجلة الأبحاث العلمية الرصينة المختصة بعقيدة الموعود.
٢. الأفضل أن تكون البحوث مطبوعة، على أن لا تقل كلمات البحث عن (٤٠٠٠) كلمة أو (١٥) صفحة (A4).
٣. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان واسم الباحث/الباحثين وجهة العمل والعنوان ورقم الهاتف والبريد الإلكتروني إن وجد.
٤. يُشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تُنشر في أواخر البحث، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة.
٥. أن ترفق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى.
٦. أن لا يكون البحث قد نُشر سابقاً.
٧. لا تُعبر الأفكار المنشورة في المجلة بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار.
٨. يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.
٩. تخضع البحوث لتقويم علمي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء نُشرت أم لم تُنشر.
١٠. يُمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نُشر فيه، بحثه، ومكافأة مالية مجزية.
١١. تُرسل البحوث للمجلة، أو تُسلم مباشرة إلى مقر المجلة على العنوان التالي:
العراق، النجف الأشرف، شارع السور، قرب جبل الحويش.
رقم الهاتف:
٠٠٩٦٤٧٨١٦٧٨٧٢٢٦

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

عنصر المفاجأة

رئيس التحرير

في جملة من النصوص أن الإمام المهدي عليه السلام مثله مثل الساعة التي لا يجليها لوقتها إلا هو ولا تأتي إلا بغتة، وأن ظهوره مما يتوقع صباحاً ومساءً، جاء عنصر المفاجئة من أبرز عناصر الظهور وركزت عليه النصوص مع أن هناك عناصر أخرى لا ينبغي إغفالها بحال من الأحوال، الظهور منظومة تعتمد على عناصر كثيرة وكواشف متعددة من أهمها الإيمان أن الغيب فاعل، مؤثر لا متأثر، لو كان الغيب منفعلاً لظهر الإمام عليه السلام منذ عشرات بل مئات السنين.

عنصر المفاجأة قد نتحير به ونتحير في فرضه كما قد نتحير أنه عليه السلام كيف سيظهر بشكل مفاجئ وبأن الحدث خارج عن سياقاته الطبيعية، وآثاره لا يمكن احتسابها في إطار أفضل الإمكانيات المتاحة ما حصل هذه الأيام وأصاب العالم وأقعد الدول المقتدرة عن اتخاذ مواقف حقيقية وأصابها بالعجز والخمول، لماذا؟

لأن عنصر المفاجأة فيه سريع، وليس معنى ذلك أنه لم يكن معلوماً

سابقاً.



إن ما شاهدناه من حدث - فايروس كورونا - وتعامل معه ينبغي أن يشكّل لنا نافذة نتعلم منها كيفية التعامل مع الأحداث بروية وضمن أصول معتمدة وليس بالاعتماد على أفكار ارتجالية وتصرفات وليدة الحدث.

إذا رجعنا إلى النصوص مرة أخرى نجدها عاجلت أشباه هذه الأحداث بشكل كلي ووضعت ضوابط محددة لضبط التعامل مع الوقائع الجزئية وفي أي زمان أو مكان حصلت، فإننا نجد في روايات الصحيحة مثلاً أن البعض يسأل الإمام عليه السلام أنه إذا حدثت كيف أتعرف عليها؟

وليكن معلوماً أن الصحيحة من أهم العلامات إن لم تكن أهمها، فهي بعيدة عن يد التلاعب والادعاء لأنها سماوية ومرتبطة بالغيب مباشرة في ذات الوقت حددت النصوص محددات غاية في الضبط والإتقان لمن يلاحظها فهي من حيث الزمان محددة ومن حيث الكيف محددة.

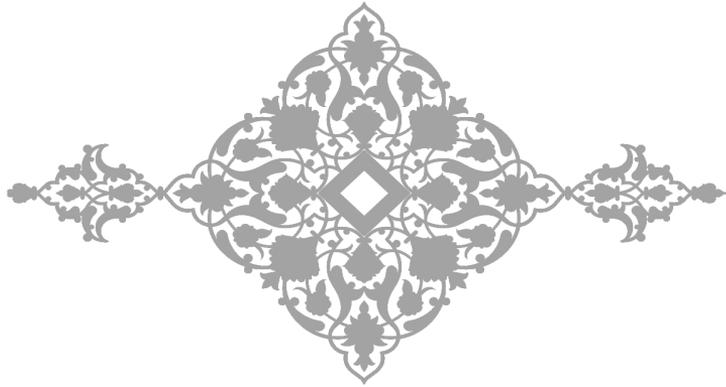
صحيحة بلسان ممثل الغيب إلى الأرض جبرائيل عليه السلام.

وعندما يُسأل الإمام عليه السلام عن السبيل لمعرفة الصحيحة المحققة من المبطله فإنه عليه السلام يجيب أن من يعرفها من عرف مسبقاً بها، مع أنها لم تقع سابقاً! أي من تعامل معها وفق الضوابط المحددة من قبل أهل الغيب المطلعين على جزئياتها وأدق تفاصيلها وليس من المنطقي أن نعرف الصحيحة تفصيلاً دون أن نعرف الأحداث الأخرى المؤثرة فيها، أو أنها علامة لأجل ماذا، هذا هو معنى المعرفة ضمن الآليات والضوابط ومنه ننتقل إلى فهم



عنصر المفاجأة في القضية المهدوية حتى لا نكون عرضة للتفسيرات المنفلتة والتطبيقات المستعجلة والانفعالية.

إن القضية المهدوية على عاتقها رسم النهاية السعيدة للعالم والتي تقدمها الآلاف من الأنبياء والصلحاء كلهم كانوا في دائرة الإعداد لهذا الحدث، فليس من المنطقي أن توضع أدواتها بيد أشخاص انفعاليين أو أصحاب نزعات مصلحة، إنها الفاعل الأول في الأحداث وليس المنفعل الأخير المترجم على لسان الجهال والمسترسلين، هذا الحدث العالمي المشاهد من قبلنا جميعاً دون تمييز في أي شيء بجميع حيثياته رسالة لفهم تأثير الغيب الفاعل ينبغي أن ندركه ونقرأه كما يراد لنا قراءته ضمن آلياته ومحكماته.





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

الانتظار الدلالة والآثار والمنع من التحرك في عصر الغيبة

الشيخ كاظم القره غولي

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على نبيّه الأمين وآله الطاهرين.
وبعد..

إن المعرفة المرتبطة بالقضية المهدوية تشكل حقلاً معرفياً دينياً مهماً لم يصل ركب البحث فيه إلى منتهاه، ولم تبلور الصورة الكاملة لرؤاه، وتلك نتيجة طبيعية لما قضت به ضرورة محدودية البيان بـ «أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم»^(١)، فيما ورد عن أهل البيت عليهم السلام، وما اقتضته حقيقة أن البيانات الصادرة من الشارع لم تكن في حدود إتمام الحجة فقط، بل منطلقها محبة الله تعالى لخلقهم والذي اقتضى التلطف بعباده، فسكت عن أشياء إن تبد لنا تسوّنا، وبين أشياء بلوازمها واكتفى بإشارات إلى بعض ما أراده، وسلك سبيل تعدد البيان للأمر الواحد.

ومن جملة المفردات التي تكرر ذكرها في الروايات (انتظار الفرج). ونحن فيما يأتي من البحث نريد أن نسلط الضوء على حقيقته وأهميته وفق شواهد الموروث الروائي وما يراد منا فيه ومن الله التوفيق.

١. الكافي: ج ١، ص ٢٣.



دلائل أهمية الانتظار:

لقد حظيت مسألة الانتظار باهتمام كبير في الموروث الشرعي، والاهتمام كاشف بلا شك عن الأهمية، ولننطلق أولاً من شواهد هذا الاهتمام الكبير ثم نخوض في المنشأ والسرفيه.

أما شواهد الاهتمام والدلائل عليه فيمكن أن تلخص بنقاط:

١ - التصريح بالأهمية:

حيث تكرر في الروايات الشريفة التعرض لذلك.

ففي عيون أخبار الرضا بسند حسن كالصحيح عن الرضا عليه السلام عن آباءه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله صلى الله عليه وآله»^(١).

وفي كمال الدين سنداً عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل العبادة انتظار الفرج»^(٢).

نعم في سنده صالح بن عقبة ولم يوثق.

وفي الخصال بسند صحيح عن أمير المؤمنين عليه السلام: «انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله، فإن أحب الأعمال إلى الله صلى الله عليه وآله انتظار الفرج»^(٣).

فإن قيل: ليس من المعلوم أن الانتظار مرتبط بدولة الإمام عليه السلام وظهوره فقد يكون مرتبطاً بشيء آخر.

قلنا: إن الذي يظهر من مجموع الروايات أن الأمر المنتظر هو شيء عرفه الناس وجعلوا وقته، ولذا كانوا ينتظرونه، ويتمثل هذا الشيء بوعده حق على

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام: باب ٣١، ح ٨٧.

٢. كمال الدين: ب ٢٥، ح ٦.

٣. الخصال: ج ٢، أبواب المائة فما فوق، ح ١٠.



لسان المعصومين عليه السلام ينصبّ هذا الوعد على دولة الحق التي يتزعمها أهل البيت عليهم السلام وتخضع لها كل الدنيا.

يشهد لذلك وحدة اللسان في أسئلة السائلين على طول المدة من المعصومين عليهم السلام رغم اختلاف الدول ووحدة اللسان في جواب الأئمة عليهم السلام.

مضافاً إلى أن أي شيء آخر ينتظره المؤمنون لا يبرر هذا الثواب العظيم الذي نصت عليه الروايات للمتظرين.

نكتة في السند:

والقاسم بن يحيى الذي في سندها^(١) وإن لم ينص على توثيقه، لكن الصدوق حكم بصحة ما رواه في زيارة الحسين عليه السلام عن الحسن بن راشد والقاسم بن يحيى في طريقه إلى الحسن بن راشد، مضافاً إلى وروده في أسانيد كامل الزيارة على المبنى القائل بأن ذلك دليل للتوثيق.

٢ - المدة التي يستغرقها الانتظار:

حيث إن رأس مال الإنسان في تجارته مع الله تعالى عمره، فإذا كلّفنا بعمل استغرق مدة طويلة منه، دلّ ذلك على أهميته عند الشارع المقدس. والانتظار يستوعب العمر كله، وقد جاء عن المحاسن مسنداً عن عبد الحميد الواسطي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام أصلحك الله، والله لقد تركنا أسواقنا انتظاراً لهذا الأمر حتّى أوشك الرجل منا يسأل في يديه، فقال: «يا عبد الحميد، أتري من حبس نفسه على الله لا يجعل الله له مخرجاً؟ بلى، والله ليجعلن الله له مخرجاً، رحم الله عبداً حبس نفسه علينا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا...» الخبر^(٢).

١. الخصال: ج ٢، أبواب المائة فما فوق، ح ١٠.

٢. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٢٦.



ووجود عبد الحميد الواسطي في سند هذه الرواية لا يمنع من الاستشهاد بها لأننا لسنا بصدد الاستدلال بها، بل ذكرناها كشاهد، ولا شك أن الانتظار المطلوب يستغرق العمر كله.

نعم، توجد مشكلة حاصلها: أن مجرد الانتظار - كما سيأتي - لا ينافي استثمار العمر بالأفعال المقربة له تعالى، فهو ليس كالصلاة التي تمنع في مقام الأداء عن الانشغال بطاعة أخرى عادة، خصوصاً بملاحظة ما سيأتي مما يستفاد من الروايات في معنى الانتظار والمراد منه، وقد كُلفنا بترك الصغائر على امتداد أعمارنا ولم يكن ذلك شاهداً على أهمية تركها.

لكن لو غضضنا النظر عن سند الرواية أمكن الاستدلال بها على أهمية الانتظار من جهة انعكاسه انشغالاً باعتبار أن فيها قوله **عليه السلام**: «من حبس نفسه على الله»، وهو ظاهر في أن انتظار عبد الحميد الواسطي قد عطل حياته وأعماله الأخرى اعتماداً على الانتظار. ودعاؤه **عليه السلام** بعد ذلك: «رحم الله عبداً حبس نفسه علينا»، ويكفي أن الإمام تحدث وفق فهم عبد الحميد فأجابه بما يفهم منه أن الانتظار استدعى ترك الأسواق.

٣ - مقايسته مع الأعمال العظيمة التي ثبتت أهميتها في الشريعة وتشبيهه بها بل وتفضيله عليها:

وهذا ما تكرر في الروايات الشريفة:

ففي الخصال بسنده عن الحسن بن راشد عن أبي بصير ومحمد بن مسلم عن أبي عبد الله **عليه السلام** قال: «حدثني أبي عن جدي عن آبائه **عليهم السلام** أن أمير المؤمنين **عليه السلام** علم أصحابه في مجلس واحد أربعمئة باب مما يصلح للمسلم في دينه وديناه»، قال: «... والمنتظر لأمرنا كالمشحط بدمه في سبيل الله»^(١).

١. الخصال: ج ٢، أبواب المائة فما فوقه، ح ١٠.



وتقدم سابقاً أن سند الرواية لا مشكلة فيه إلا من جهة القاسم بن يحيى وأنه يمكن توثيقه، فلا حاجة إلى الإعادة.

والمشحط بدمه في سبيل الله هو المقتول المضطرب المتمرغ بدمه في سبيل الله، من قولهم: (يتشحط بدمه) أي: يتخبط فيه ويضطرب ويتمرغ، على ما في مجمع البحرين^(١).

وهذا التشبيه أبلغ في الدلالة من التشبيه بالمستشهد في سبيل الله ﷺ، فإذا أخذنا بنظر الاعتبار أهمية الجهاد والاستشهاد في سبيل الله ﷺ علمنا أن المشبه وهو المنتظر لأمرهم ﷺ أتى بأمر مهم جداً في نظر الشارع، ولا حاجة إلى الإطالة فيما يكشف أهمية وعظم الجهاد ثم الاستشهاد في سبيل الله ﷺ.

وعن المحاسن عن علي بن النعمان عن إسحاق بن عمار وغيره، عن الفيض بن المختار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من مات منكم وهو منتظر لهذا الأمر كمن هو مع القائم في فسطاطه»، قال: ثم مكث هنيئاً ثم قال: «لا، بل كمن قارع معه بسيفه»، ثم قال: «لا والله إلا كمن استشهد مع رسول الله ﷺ»^(٢).

فإن الإضراب عن كونه كمن هو مع القائم في فسطاطه إلى كونه كمن قارع معه في سيفه ثم الإضراب من هذا إلى كونه كمن استشهد مع رسول الله ﷺ، يكشف عن أن الثاني أعظم من الأول وإلا لما صح الإضراب إليه، وأن الثالث أعظم من الثاني وإلا لما عدل إليه، هذا مضافاً إلى وضوح كون القتال معه أفضل من مجرد الكون معه ﷺ، فالانتظار بعد هذين الإضرابين - وبالذقة الإضراب ثم العدول عن المضرب إليه - أعظم من كون الإنسان

١. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٥٧، مادة (شحط).

٢. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٢٦.



مع القائم عليه السلام في خيمته، وهي كناية عن القرب له عليه السلام والكون تحت لوائه، وأعظم من المقارعة معه عليه السلام بالسيف والمقاتلة تحت رايته. ولما كان كل من الأول والثاني من أعظم الطاعات، كان الانتظار وفق هذه الرواية من أعظم الطاعات بالأولية الاستفادة قطعاً من هذه الرواية، بالنسبة لما أضرب عنه أولاً وما عدل عنه وهو الذي أضرب إليه.

وقريب منها بعض الروايات الأخرى.

ويمكن أن تُرجع الروايات التي تحدثت عن عظم الثبات على ولايتهم عليهم السلام في زمن الغيبة إلى محل كلامنا، باعتبار وحدة المقصود كما سيتبين في طيات البحث، أو لأنهما من لوازم الانتظار على فرض المغايرة، وقد ورد عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: «من ثبت على ولايتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر وأحد»^(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن الميت منكم على هذا الأمر بمنزلة الضارب بسيفه في سبيل الله»^(٢).

وسندها يمكن الاعتماد عليه، إذ رواها في المحاسن عن ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدم، عن مالك بن أعين، وابن محبوب من أصحاب الإجماع، وعمرو قد روى عنه ابن أبي عمير، فهو من مشايخ الثلاثة، ويظهر من الصدوق في باب صفة وضوء النبي صلى الله عليه وآله أنه معتمد مقبول القول، على ما نقله عنه في منتهى المقال^(٣).

ومالك بن أعين وإن كان مشتركاً بين الجهني والشيباني أخي زرارة، إلا أن

١. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٢٥.

٢. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٢٦.

٣. ج ٥، ص ٩٩.



المراد منه هنا هو الجهني، لأن مالكا أخا زرارة ليس له رواية عن المعصوم عليه السلام، ومالك بن أعين هنا روى عن الإمام الصادق عليه السلام مباشرة، فليس هو الشيباني أخا زرارة والذي لا توثيق له، بل هو الجهني. وقد استظهر السيد الخوئي وثيقة مالك بن أعين الجهني والذي توفي في حياة أبي عبد الله عليه السلام ونفى الشك عن كونه شيعياً إمامياً حسن العقيدة. لكن تبقى مشكلة أن توثيق السيد الخوئي له كانت مستندة إلى شهادة ابن قولويه في كامل الزيارة، فروايته معتبرة على هذا المبنى. وقد روى عنه يونس بن عبد الرحمن بسند صحيح عنه (في الكافي) وبناءً على توثيق من روى عنه أصحاب الإجماع بلا واسطة تكون رواية مالك معتبرة أيضاً.

٤ - ربط قبول الأعمال بالانتظار:

في الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال ذات يوم: «ألا أخبركم بما لا يقبل الله عنه من العباد عملاً إلا به»؟ فقلت: بلى، فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما أمر الله والولاية لنا والبراءة من أعدائنا، يعني أئمة خاصة والتسليم لهم والورع والاجتهاد والطمأنينة والانتظار للقائم»، ثم قال: «إن لنا دولة يجيء الله بها إذا شاء»^(١).

ووجه الكشف عن الأهمية بذلك: أن الله تعالى بمقدار اهتمامه بالأشياء المطلوبة منافعاً أو تركاً، يسلك ما يكون مقرباً لامثال التكاليف في موارد، ومن ذلك ربط استحقاق الثواب على أعمال أخرى بامثال هذه التكاليف كالأمر بالصلاة، فهي من حيث بالغ أهميتها جعلت بنحو «إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها»^(٢)، والقبول يعني استحقاق الأجر على العمل

١. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٤٠.

٢. الكافي: ج ٣، ص ٢٢٨، ح ٤.



المقبول، وقد دلّ ذلك على إعمال الشارع المقدس عناية فائقة في الحث على الصلاة، وما ذاك إلا لأهميتها. وهكذا في الولاية، وهذه الرواية أعطت الانتظار هذه العناية، فهي تكشف بلا شك عن أهمية كبرى.

٥ - لسان الدليل وكيفية التعبير:

إن من وسائل إبراز أهمية المراد هو اللسان الذي تعرّض لذلك كما في الغيبة، حيث لم يكتف بالقول ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ حتى ألحقه بقوله: ﴿أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (الحجرات: ١٢). وقد ورد في الانتظار ما يمكن أن يرجع إلى ذلك المعنى.

ففي الرواية عن أبي بصير قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «... يا أبا بصير طوبى لشيعة قائمنا المنتظرين لظهوره في غيبته والمطيعين له في ظهوره، أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»^(١).

عناصر الضغط على المعتقد بالإمام الثاني عشر عليه السلام:

لما كان الإنسان في اعتقاده وانصياعه من حيث انعكاس المعتقد على السلوك والأخلاق غير تابع للدليل فقط، اقتضى أن لا يقتصر الشارع المقدس - في سعيه إلى بناء الرؤية والالتزام بمقتضياتها - على بيان مفردة المعتقد دون تحفيز وإعمال للأدوات المساعدة على ذلك. ومن ذلك التكرار مرة بعد أخرى، واستعمال الألسنة المختلفة في البيان، وإعمال مفردات اللطف في ما هو أشبه بالتودد للعبد والترفق به، ولذا لم يكتف في الكتاب على صغره بمرة أو مرتين أو عشرة في النص على التوحيد، وكذا الأمر بإطاعة الله تعالى، وغير ذلك كثير.

وما يهمننا هنا هو الاعتقاد بالإمام الثاني عشر عليه السلام والثبات على هذا الاعتقاد

تحت جملة من الضغوط، والتي منها:

١. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٤٩-١٥٠.

١ - انتفاء الدليل الحسي:

إن الإدراك الحسي هو المنطلق - عادةً - في إدراك الإنسان، والنفس أكثر انصياعاً لما أدركته بحواسها، وكما يقال: لا خبر بعد عين، ومن هنا كانت حاجة الإنسان ماسة إلى أن يعزز معتقده - إن أمكن - بما يكون محسوساً، وانتفاء المعزز الحسي يُفقد المعتقد عنصراً مهماً في الإذعان والتسليم.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا علي، واعلم أن أعجب الناس إيماناً وأعظمهم يقيناً قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا النبي، وحُجبت عنهم الحجة، فأمنوا بسواد علي ياض»^(١).

نعم، في زمن الغيبة يفقد الإيمان المعزز الحسي، وهذا قد يفتح أمام النفس باباً ليرجع هذا المعتقد عن محله فيها، ولذا مدحت الروايات الشريفة كثيراً الثابت على معتقده دون استعانتها بالحس، بل اعتماداً على الدليل والبرهان والفهم، وارتقاء الفهم وازدياد المعرفة منوطاً لارتقاء الإيمان، ومن رواية أبي حمزة الثمالي عن أبي خالد الكابلي، عن الإمام السجاد عليه السلام قال: «يا أبا خالد، إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل أهل كل زمان، لأن الله تعالى ذكره) أعطاهم من العقول والأفهام ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف، أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله سراً وجهراً»^(٢).

وهذا يدعم ما أثبتته التحليل من أن المشاهدة والإدراك بالحواس يُسهّل على النفس قبول الدعوة، وقد طلب بنو إسرائيل من موسى عليه السلام أن يريهم الله جهرة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٥).

١. كمال الدين: ج ١، ب ٤٥، ح ٨.

٢. الاحتجاج: ج ٢، ح ١٨٨.



وليس ببعيد عن ذلك طلب إنزال الكتاب من السماء: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ
الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ
فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ (النساء: ١٥٣).

فالحس داعم بلا شك للمدرك النظري.

٢ - غرابة المفردة الاعتقادية:

إن غرابة المدعى تجعل النفس أبعد عن قبوله، ومن هنا احتاجت مثل
هذه الأمور إلى الدعم بالدليل تلو الدليل والشاهد عقب الآخر والمؤيد يتلو
مثله، فالأنبياء ﷺ إذ بعثهم الشارع المقدس إلى من هو مثلهم من البشر،
كان الاستغراب منشأ للرفض أو أحد مناشئه، وهذا ما تكرر التعرض له في
الكتاب الكريم:

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا
رَسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٤).

﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الشعراء: ١٥٤).
﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا
وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٦٣).

وغير ذلك من الآيات.

فاقتضى ذلك أن يأتي الأنبياء ﷺ بما يرفع الاستبعاد من خلال المعجزة.
وكان حقاً للناس أن يؤتى لهم بشواهد الصدق وبراهين الحق، إلا إذا كان
طلب المعجزة على نحو من التبطل لا بداعي التبصر.
وقد كان ذلك جارياً مع الأئمة ﷺ، فما أكثر المعجزات التي توفرت عليها
كتب السيرة لهم ﷺ.

وفي الغيبة الكبرى حُرِّمَ الناس من ذلك كله، وفوق ذلك كانت المفردة



الاعتقادية غاية في الغرابة، فأَنْ يغيب شخص موجود في هذه النشأة عن أعين الناس ولا خبر عندهم عنه إلا في ضمن بيانات التبعيد، فإن في قبول ذلك ثقلاً على النفس كبيراً ومنفذاً لوسوسة الشيطان واستهزاء الخلق وسخريتهم.

٣ - الخروج عن المألوف من جهة أخرى:

تتمثل في طول عمره على نحو لم نشهد مثله ولا أبائنا ولا أجدادنا، بل لم نسمع به حتى في كتب التاريخ من حين اختراع الإنسان الكتابة إلى يومنا هذا، وغرابة القضية مدعاة لصعوبة الاعتقاد بها، ولا منجى أيضاً إلا بحبل التبعيد بالبيانات الواردة عن دائرة العصمة.

٤ - بعد سلامة جهة الاعتقاد تبقى مسألة طول الأمد:

وقد رجع قوم موسى عليه السلام إلى عبادة العجل وتركوا عبادة الله الواحد في تأخير عشرة أيام حين أتم مدة الميقات عشرة أيام مضافة إلى الثلاثين، حتى جاء موسى عليه السلام غاضباً أسفاً قائلاً لهم معاتباً: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (طه: ٨٦).

فما بالك بوعد امتد الزمان قبل الوفاء به أكثر من ألف ومائة واثنى عشر عاماً من حين شروع الغيبة الكبرى، والله يعلم كم سينتظر الموالمون ليتحقق هذا الوعد، والله لا يخلف الميعاد.

لقد كان النبي صلى الله عليه وآله مع كل بركات وجوده في هذه النشأة مع قومه وبين ظهرانيهم، وحين أخبرهم بأنهم سيدخلون المسجد الحرام إن شاء الله آمين، وذهبوا للحج ومنعهم أهل مكة من أداء الفريضة وأخبرهم النبي صلى الله عليه وآله أن وعد الله تأخر سنة مع توفر معطيات الواقع، مضافاً إلى إخبار الغيب بأنهم سيتمكنون من أداء الفريضة، إذ نصت فقرات صلح الحديبية على ذلك، ومع

ذلك اعترض القوم على رسول الله ﷺ مع كل ما رأوا من معجزاته وما أحاط بهم من بركاته.

وقريب من ذلك ما حصل في معركة حنين حتى قالوا: ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾، في مفردة تحكي خصلة في النفوس البشرية.

أترى أن النفوس يسهل عليها الانصياع والبقاء على المعتقد ولو أزمه من السلوك والانضباط مع كل هذا الأمد الزماني؟ لا شك أنه أمر غاية في الصعوبة والثقل من الناحية العملية.

وفي الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «مزاولة الجبال أيسر من مزاولة ملك مؤجل، واستعينوا بالله واصبروا، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، لا تعاجلوا الأمر قبل بلوغه فتمدموا، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم»^(١).

إن السنين بتواليها في المرور على الفرد وعلى تعاقب الأجيال جيلاً بعد جيل، تجعل النفس البشرية للمؤمن والمعتقد بالإمام الثاني عشر عليه السلام في فتور وضعف ارتباط بهذا المعتقد، حتى يصل الكثير منهم إلى أن يقول: (هلك، في أي وإد سلك)، كما تقول بعض الروايات^(٢)، هذا إن بقي على معتقده. واستبعاد ما بنى الإنسان على حصوله وتمنى إدراكه ووصوله، يجعل النفس أقل ارتباطاً، به فتبدأ قسوة القلب شيئاً فشيئاً.

٥ - تراكم الضغوط على النفس المعتقدة:

من جهة سطوة الأنظمة المعادية لأهل البيت عليهم السلام والمحاربة لأتباعهم، مما قد يعني ضعفها أمام هذه الضغوط. فقد أعقبت دولٌ دولاً، وتوالى فترات حكمها المظلمة على أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وقد اجتمعت شدة الفتن

١. الخصال: ج ٢، أبواب المائة فما فوقه، ح ١٠.

٢. الغيبة للنعماني: ص ١٧٦.



وتراكم الزمان وقلة العدد وكثرة العدو كما ورد في الشكوى التي ضُمت إلى غيبة الولي.

٦ - الحرمان من التواصل مع حجة الله وخليفته في أرضه بما له من بركات عظيمة وأثر كبير على النفوس:

وكم كان للنبي ﷺ من تأثير على المؤمنين الذين يأتون إليه، وقد ورد في كلمات بعض أصحاب النبي ﷺ التصريح بذلك وأصحاب الأئمة عليهم السلام.

في الرواية عن سلام بن المستنير قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فدخل عليه حمران بن أعين وسأله عن أشياء، فلما همَّ حمران بالقيام قال لأبي جعفر عليه السلام: أخبرك أطال الله بقاءك وأمتنعنا بك، أنا نأتيك فما نخرج من عندك حتى ترق قلوبنا وتسلو أنفسنا عن الدنيا ويهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثم نخرج من عندك فإذا صرنا مع الناس والتجار أحببنا الدنيا، قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: «إنما هي القلوب مرة تصعب ومرة تسهل»، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: «أما إن أصحاب محمد ﷺ قالوا: يا رسول الله نخاف علينا النفاق، قال: فقال: ولم تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنا عندك فذكرتنا ورغبنا وجلسنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتى كأننا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل، يكاد أن نحول عن الحالة التي كنا عليها عندك، حتى كأننا لم نكن على شيء. أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: كلا إن هذه خطوات الشيطان فيرغبكم في الدنيا، والله لو تدموا على الحالة التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتم الملائكة ومشيتم على الماء...»^(١)

الحديث.

وواضح من هذه الرواية أن اللقاء مع المعصوم عليه السلام كان يعد محطة لإعادة التأهيل المعنوي للمؤمنين يحتاجون إليها بين الفينة والأخرى.

دلائل عدم إرادة مجرد الانتظار:

هناك جملة من الدلائل والشواهد على أن مجرد الانتظار ليس هو المراد من الأمر وجعله عبادة، بل أفضل عبادة كما ورد في بعض الروايات، وإنما يراد شيء آخر ملزوم له، وهو معرفة الإمام عليه السلام والصبر على ما يواجهه من عناصر الضغط التي يواجهها المعتقد بإمامة المنتظر عليه السلام، ونستعرض الآن هذه الدلائل:

الأول: الانتظار أمر مقدّم، فلا يكون مطلوباً نفسياً:

إن الانتظار أمر مقدّم دائماً، والأمور المقدمة لا تطلب لذاتها، وإنما تطلب لذي المقدمة، ولا يُتحرك لها إلا في حدود الشروع في التحرك لذيها، وانصباب التكليف عليه لا يمكن أن يتمحض طلباً له ورغبة فيه في نفسه. ومقدميته ليست كمقدمة الضوء الذي نتعلل أن الشارع المقدس قد يطلبه لذاته، فيكون مستحباً نفسياً في مقابل الغيري، إذ لا مانع من أن يطلب الشارع الضوء نفسياً، واشترط الصلاة المطلوبة به لا يمنع من أن ينصب عليه طلب نفسي - في بعض الحالات - . أمّا الانتظار فهو من طبيعته - وبغض النظر عن توقف شيء عليه - لا يكون إلا مقديماً، فلا معنى لطلبه في نفسه. فلا معنى لكونه عبادة في نفسه، إذ العبادية تحتاج إلى أمر ليكسب الإتيان بالمأمور به الشرعية والإتيان به بداعي القربة. فضلاً عن أن يكون أفضل العبادة أو أفضل الأعمال لأفراد الأمة وأحبها إلى الله تعالى.

ومن هنا لا تجد شيئاً في الروايات يبين ما يقتضيه الانتظار أو شيئاً هو من تطبيقاته، بل حتى في الروايات التي مدحت المنتظرين وجعلتهم أفضل أهل



كل زمان، علّلت ذلك بارتقاء مستوى فهمهم وهو مقدمته ولازمه. ففي الاحتجاج عن أبي حمزة الثمالي عن أبي خالد الكابلي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «تمت الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة بعده، يا أبا خالد إن أهل زمان غيبته القائلون بإمامته المنتظرون لظهوره أفضل أهل كل زمان، لأن الله تعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة...» الخبر^(١).

الثاني: إطلاق الأوامر بالانتظار للأجيال التي لا تدرك الفرج:

إن الروايات التي حثت على الانتظار مطلقة تشمل فترات يعلم الأئمة عليهم السلام أن الأمر المنتظر لا يتحقق فيها بنحو يدركه المنتظرون. فبعض الروايات صدرت عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كالرواية الأولى والثانية في باب انتظار الفرج في البحار، وبعض صدر عن أمير المؤمنين عليه السلام كالرواية الثالثة والسابعة في الباب. وبعضها عن الإمام السجاد عليه السلام كالرواية الرابعة في الباب وهي رواية أبي خالد الكابلي وقد نقلناها في طيات البحث.

وبعضها عن الإمام الباقر عليه السلام كرواية عبد الحميد الواسطي وهي السادسة عشرة في الباب.

وبعضها عن الإمام الصادق عليه السلام كالرواية الرابعة عشرة والخامسة عشرة والثامنة عشرة في الباب.

وبعضها عن الإمام الكاظم عليه السلام كالرواية الحادية والعشرين.

والإمام الرضا عليه السلام كالرواية الثانية والعشرين.

وفي تلك الفترات كان الأئمة عليهم السلام يعلمون أن موعد ظهور الإمام وإنشاء دولة الحق ليس قريباً حتى يمكن لهؤلاء الناس المعاصرين أن يدركوه، فيكون

١. الاحتجاج: ج ٢، رقم ١٨٨.



ذلك مطعماً لهم وشيئاً مأمولاً لهم أن يدركوه، بل هو كذلك حتى لأجيال لاحقة. كيف لا وهم يعلمون أنه لا بد أن يكتمل عقد النبوة بالاثني عشر جميعاً، وهذا يعني أن الدعاء لم يكن لأجل أن يتحقق المدعوبه وكما يأمله الداعون، خصوصاً وأن الروايات التي تحدثت عن الغيبة وضرورة وقوعها قد صدرت من كل المعصومين: رسول الله ﷺ وبقية الأئمة عليهم السلام، وأنها ستطول أمداً بعيداً، وهذا يعني ضمناً أنهم عليهم السلام في الوقت الذي كانوا يوجهون الناس على مر العصور للانتظار كانوا يعلمون أن الأمر المنتظر سوف لن يدرك من هؤلاء في حياتهم التي هي ظرف الانتظار.

وهذا يكشف أن المراد ليس نفس الأمر المنتظر، وإلا فأمرهم للناس بذلك عبثي بلا فائدة. وهم منزّهون عن ذلك قطعاً. فلا بد أن يكون المراد شيئاً ملازماً له، وقد أوضحته بعض الروايات وإن لم يكن بيان مباشر.

الثالث: عدم تحديد ما يقتضيه الانتظار في المأثور:

مما يمكن أن يكون قرينة على أن المراد ليس ذات الانتظار: أن الروايات وإن تحدثت عنه وحثتنا عليه وأعطته تلك الدرجة من الأهمية، لكنها لم تتعرض لشيء مما يقتضيه لا بتحديد نوع عبادة ولا صنف سلوك ولا سنخ تعاطي، وهذا يكشف عن أنه لا يراد من المكلف في ظرف الغيبة غير ما يراد في زمن الحضور، ومن هذه الناحية لا فرق بين زمن الحضور وزمن الغيبة، وإلا فهل تتصور أن الشريعة التي حثتنا عليه وهو بالنحو الذي يمتد على عمر المكلف بكامله دون أن تجد عيناً أو أثراً في موروثها يحكي تفاصيل ما يتحقق به امتثال هذا الأمر؟ بل إن بوصلة تحديد ما يراد من المؤمن في زمن الغيبة تتجه في الروايات إلى شيء آخر وهو الثبات والتمسك بأمرهم عليهم السلام والصبر على ما هو في أيديهم وعدم استعجال الفرج.



ففي كمال الدين مسنداً عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «طوبى لمن تمسك بأمرنا في غيبة قائمنا فلم يزغ قلبه بعد الهداية»، فقلت له: وما طوبى؟ قال: «شجرة في الجنة أصلها في دار علي بن أبي طالب عليه السلام وليس من مؤمن إلا وفي داره غصن من أغصانها، وذلك قول الله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد: ٢٩]»^(١).

وفي أخرى مسندة عن الإمام السجاد عليه السلام قال: «من ثبت على موالاتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله تعالى أجر ألف شهيد من شهداء بدر وأحد»^(٢). ولتكن هذه الرواية شاهداً لا دليلاً.

الرابع: تحديد الأئمة عليهم السلام الوظيفة في الغيبة:

لا شك أن فترة الغيبة غير زمن الظهور بالنسبة للمكلفين، فلا أقل من أنهم محرومون من السؤال عما تريده الشريعة بشكل عام وجزئياتها عن جهة لا تقبل الخطأ، وحين يسمع الناس بمثل هذه المعضلة يتبادر إلى أذهانهم ما يواجهونه من تبعات عدم الوصول إلى المعصوم عليه السلام، ولذلك يسألون عن ماذا يفعلون مادامت الفرصة متاحة للاتصال بالمعصوم الحاضر. وقد تكرر السؤال عنهم عليهم السلام، وكان الجواب شيئاً آخر غير الانتظار.

ففي الرواية المسندة إلى الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يكون فترة لا يعرف المسلمون إمامهم فيها؟ قال: «يقال ذلك»، قلت: فكيف نصنع؟ قال: «إذا كان ذلك فتمسكوا بالأمر الأول حتى يتبين الآخر»^(٣).

نعم، يمكن الإشكال على الاستدلال بهذه الرواية هنا أنها تتحدث عن صورة عدم معرفة الإمام عليه السلام، لا عن غيبته، فهي أجنبية عن محل كلامنا.

١. كمال الدين: ج ٢، ب ٣٣، ح ٥٥.

٢. كمال الدين: ج ١، ب ٣١، ح ٧.

٣. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٣٢.

لكنه مردود:

أولاً: بأن سؤال السائل كان عن غيبة الإمام عليه السلام، إذ إن السائل سأل عن معلومة وصلته أنه تأتي فترة لا يعرف المؤمنون أو المسلمون إمامهم، وجواب الإمام (يقال ذلك) شاهد على أنه عنى مفردة جزئية.

وثانياً: هناك جملة من الروايات ورد السؤال فيها عن ماذا يفعلون إذا غاب الإمام، فأجاب الإمام عليه السلام بنفس الجواب في هذه الرواية.

ومن هذه الروايات صحيحة عبد الله بن سنان، قال: دخلت أنا وأبي على أبي عبد الله عليه السلام فقال: «كيف أنتم إذا صرتم في حال لا يكون فيها إمام هدى ولا علم يرى، فلا ينجو من تلك الحيرة إلا من دعا بدعاء الغريق»^(١)، فقال أبي: هذا والله البلاء، فكيف نصنع جعلت فداك حينئذ؟ قال: «إذا كان ذلك ولن تدركه فتمسكوا بما في أيديكم حتى يصح لكم الأمر»^(٢).

وصحيحة الحارث بن المغيرة النصري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إننا نروي بأن صاحب هذا الأمر يفقد زماناً، فكيف نصنع عند ذلك؟ قال: «تمسكوا بالأمر الأول الذي أنتم عليه حتى يبين لكم»^(٣).

وهكذا في رواية أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «يأتي على الناس زمان يصيهم فيها سبطة يأرز العلم فيها كما تأرز الحية في جحرها، فبيناهم كذلك إذ طلع عليهم نجم». قلت: فما السبطة؟ قال: «الفترة»، قلت: فكيف نصنع فيما بين ذلك؟ قال: «كونوا على ما أنتم عليه حتى يطلع الله لكم نجمكم»^(٤).

١. في البحار الحريق وفي غيبة النعماني الغريق.

٢. البحار: ج ٥٢، ص ١٣٣.

٣. نفس المصدر والصفحة.

٤. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٣٤.



ويأرز من أرز مثلثة الرء - أي بالفتح والكسر والضم - بمعنى انقبض وتجمع وثبت فهو آرز وأروز، وأرزت الحية لاذت بجحرها ورجعت إليه وثبتت في مكانها، وأرزت الليلة بردت على ما ذكره الفيروز آبادي في القاموس^(١).
وأوضح من ذلك كله الرواية المسندة عن صالح بن محمد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة، المتمسك فيها بدينه كالخارط لشوك القتاد بيده»، [ثم أوماً أبو عبد الله عليه السلام بيده هكذا] قال: «فأيكم يمسك شوك القتاد بيده؟» ثم أطرق ملياً ثم قال: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة، فليتنق الله عبد عند غيبته ول يتمسك بدينه»^(٢).

ومثل صحيحة الحارث صحيحة زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم»، فقلت له: ما يصنع الناس في ذلك الزمان؟ قال: «يتمسكون بالأمر الذي هم عليه حتى يتبين لهم»^(٣).
ومرسلة يونس بن يعقوب عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «كيف أنتم إذا بقيتم دهرًا من عمركم لا تعرفون إمامكم؟» قيل له: فإذا كان ذلك كيف نصنع؟ قال: «تمسكوا بالأمر الأول حتى يستبين لكم»^(٤).

وفي رواية زرارة الأخرى وهي معتبرة على القول بكفاية ترضي الصدوق في الوثيقة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن للقائم غيبة قبل أن يقوم»، قلت له: ولم؟ قال: «يخاف» وأوماً بيده إلى بطنه، ثم قال: «يا زرارة وهو المنتظر الذي يشك الناس في ولادته، منهم من يقول: هو حمل، ومنهم من

١. القاموس: ج ٢، ص ١٧١.

٢. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٣٥.

٣. كمال الدين: ج ٢، ب ٣٣، ح ٤٤.

٤. كمال الدين: ج ٢، ب ٣٣، ح ٣٨.



يقول: هو غائب، ومنهم من يقول: ما ولد، ومنهم من يقول: ولد قبل وفاة أبيه بستين، غير أن الله تبارك وتعالى يجب أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون».

قال زرارة: فقلت: جعلت فداك، فإن أدركت ذلك الزمان فأى شيء أعمل؟ قال: «يا زرارة إن أدركت ذلك الزمان فأدم هذا الدعاء، اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني...» الخبر^(١).

وليس من إشكال في السند وفق نقل الصدوق إلا في أحمد بن محمد بن يحيى الذي ترصّى عنه الصدوق في نفس نقله لسند هذه الرواية. وفي عثمان بن عيسى الكلابي، وقد وثقه السيد الخوئي في معجمه رغم قوله إنه كان منحرفاً عن الرضا عليه السلام، لكنه ذكر قرائن الوثاقة، مضافاً إلى أن البعض عدّه من أصحاب الإجماع.

وسند الخبر في الكافي مجهول، لمكان عبد الله بن موسى في سنده، كما ذكر المجلسي في مرآة العقول^(٢).

الخامس: ما دل على أن انتظار الفرج من الفرج:

ومما يمكن أن يستفاد منه أن انتظار الفرج لم يرد بما هو انتظار، بعض الروايات التي ذكرت أن انتظار الفرج من الفرج أو هو نفس الفرج، وهو معنى قد تكرر في الروايات.

ففي صحيحة الحسن بن الجهم قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن شيء من

١. كمال الدين: ج ٢، ب ٣٣، ح ٢٤.

٢. مرآة العقول: ج ٤، ص ٣٥.



الفرج، فقال: «أولست تعلم أن انتظار الفرج من الفرج؟»، قلت: لا أدري إلا أن تعلمني، فقال: «نعم انتظار الفرج من الفرج»^(١).

وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك متى الفرج؟ فقال: «يا أبا بصير أنت ممن يريد الدنيا؟ من عرف هذا الأمر فقد فرج عنه بانتظاره»^(٢).

فإذا كان المنتظر هو الفرج، والفرج يتحقق بمعرفة أمر الإمامة، علمنا أن المراد ليس الانتظار وإنما معرفة الإمامة أو البقاء على معرفته، وما زاد على ذلك وفق رواية أبي بصير فهو أمر مرتبط بالدنيا، ولذلك سأله الإمام عليه السلام عندما سأله عن موعد الفرج - فقال: «أنت ممن يريد الدنيا؟ إذ إن الروايات حدثتنا عن أمور وأشياء تحصل عند ظهوره عليه السلام مثل امتلاء الأرض بالعدل بعدما هيمن عليها الباطل وإخراج الأرض بركاتها وفتح السماء بالخيرات أبوابها وانتشار الأمن والسلام فيها وما إلى ذلك.

ويمكن أن نلحق بهذه الروايات في الدلالة المزبورة الروايات التي تحدثت عن أن من رزق المعرفة بإمامه لم يضره تأخر هذا الأمر، مثل حسنة زرارة بإبراهيم بن هاشم قال:

قال أبو عبد الله عليه السلام: «اعرف إمامك فإنك إذا عرفته لم يضرك تقدم هذا الأمر أو تأخر»^(٣).

فإذا لم يضره التأخر فهذا يعني أنه لا فرج ليُنْتَظَر، بل لا شدة ليُنْتَظَر لها فرجاً.

١. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٣١.

٢. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٤٢.

٣. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٤١.



ورواية الفضيل قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] فقال: «يا فضيل، اعرف إمامك فإنك إذا عرفت إمامك لم يضرك تقدم هذا الأمر أو تأخر، ومن عرف إمامه ثم مات قبل أن يقوم صاحب هذا الأمر كان بمنزلة من كان قاعداً في عسكره، لا بل بمنزلة من كان قاعداً تحت لوائه»^(١).

وفي سندها محمد بن جمهور الذي لا توثيق له إلا بناء على تمامية كبرى من ورد في أسانيد كامل الزيارة، كما أن فيها محمد بن مروان المشترك. وكيف كان فهي غير تامة السند.

ومثلها في الدلالة وضعف السند رواية إسماعيل بن محمد الخزاعي قال: سأل أبو بصير أبا عبد الله عليه السلام وأنا أسمع، فقال: أتراني أدرك القائم عليه السلام؟ فقال: «يا أبا بصير، لست تعرف إمامك»؟ فقال: بلى والله وأنت هو، فتناول يده وقال: «والله ما تبالي يا أبا بصير أن لا تكون محتبياً بسيفك في ظل رواق القائم عليه السلام»^(٢).

وهناك روايات أخرى، وفيما نقلناه كفاية.

لماذا صُبَّ الطلب على الانتظار مع عدم كونه مراداً بالذات؟

تشكّل حالة الترقب عنصر ضغط كبير على النفس البشرية تضيق به، وهذا ما يخرجها عن الموضوعية. وكلما ازدادت أهمية المترقب ازداد اضطراب النفس، فإن لم يكن حصول الأمر المترقب اختيارياً لها ولا كانت مقدماته أو بعضها اختيارياً انعكس ذلك على نوع الأمنية التي تملك النفس أو على متعلق الدعاء لمن كان معتقداً بتأثير المدعو، وقد سجلت لنا الروايات حال بعض المترقبين يوم القيامة في مفردة جديدة بالتأمل.

١. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٤١.

٢. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٤٢.



فعن خيشمة الجعفي قال: كنت عند جعفر بن محمد عليه السلام وأنا ومفضل بن عمر ليلاً ليس عنده أحد غيرنا، فقال له مفضل الجعفي: جعلت فداك، حدثنا حديثاً نُسرِّبه، قال: «نعم، إذا كان يوم القيامة حشر الله الخلائق في صعيد واحد حفاة عراة غرلاً^(١)»، قال: فقلت: جعلت فداك، وما الغرل؟ قال: «كما خلقوا أول مرة، فيقفون حتى يلجمهم العرق^(٢) فيقولون: ليت الله يحكم بيننا ولو إلى النار...»^(٣).

وعن تفسير القمي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمْتَاذُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (يس: ٥٩)، قال: إذا جمع الله الخلق يوم القيامة بقوا قياماً على أقدامهم حتى يلجمهم العرق فينادوا: يا رب حاسبنا ولو إلى النار... الخبر^(٤).

انظر إلى شدة الضغط على النفس التي أوصلتها إلى طلب الحساب ولو كان فيه احتمال الدخول إلى النار. والنار ليست بعيدة عنهم، ومع ذلك يخاطرون بطلب الحساب. إذا لاحظنا مجرد تصبب العرق ولو بلغ إلى مستوى غطى الأفواه فهو غير قابل للمقايسة بالنار، ولو لم نلاحظ حالة الضغط التي تمر بها النفس لما كان طلبها للحساب - مع احتمال أن يكون المآل إلى النار - منطقياً أبداً، لكن ملاحظته تجعله أمراً منسجماً مع البنية النفسية لأبناء النوع البشري. أمّا إذا كان الأمر المترقّب اختيارياً أو كانت بعض مقدماته اختيارية أو كان مما يتوهم كونه كذلك، فإن ذلك يدفع باتجاه الاستعجال لتحقيقه أو تحقيق بعض مقدماته الاختيارية.

١. الغرل بالعين المضمونة جمع أغرل من لم يجتن.

٢. أي يصل إلى أفواههم فيصير لهم بمنزلة اللجام يمنعهم عن الكلام. هذا ما نقله المجلسي عن الجزري [بحار الأنوار: ج ٨، ص ٤٧].

٣. بحار الأنوار: ج ٨، ص ٤٥.

٤. بحار الأنوار: ج ٧، ص ١٠٣.



والاستعجال سمة من يخاف الفوت.

ولما كان بنو النوع متلبسين بالعجز وإن أوتوا من أسباب القوة ما أوتوا، كانت العجلة شأناً لهم. وقد نبه القرآن لهذه السمة البشرية، فقد قال تعالى:

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الإسراء: ١١).
وقال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (الأنبياء: ٣٧).

ويقول في آية أخرى عن بني النوع: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٥٠﴾ وَتَذَرُونَ
الْآخِرَةَ﴾ (القيامة: ٢٠-٢١).

ولما كانت هذه سمة لأبناء النوع البشري، امتدت لتشمل حتى الأنبياء، ومن هنا قال له الله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ
أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَثْرِي وَعَاجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (طه: ٨٣-٨٤).
وطلب الله تعالى من النبي ﷺ أن لا يستعجل بتلاوة القرآن قبل وحيه
فقال:

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ (طه: ١١٤).

وقال تعالى: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (القيامة: ١٦).

فإنه لولا وجود مقتض للاستعجال في نفس النبي ﷺ لما نهاه الله تعالى عن ذلك.

وقيام الإمام ﷺ ونهوضه لإقامة العدل في الأرض شيء تتوق له نفوس المؤمنين، وهذا ما يدعوهم للاستعجال وفق بنية النفس البشرية، وهذا ما له تبعات سيئة جداً، فأراد الأئمة عليهم السلام أن يوجدوا رادعاً عن ذلك وعنصر توازن يفترض أن يترك أثره على الأتباع والمناصرين من خلال التركيز على الانتظار وأهميته في الشريعة وعظم الثواب المترتب عليه.



إن اجتماع الضغط الكبير على النفس - انعكاساً للترقب وأتصاف النفس بالاستعجال، الذي يرجع سببه أو بعض سببه إلى خوف الفوت، فيده ليست مبسطة القدرة لتحقيق ما ترغب به في الكون - كان سبباً في خروج الإنسان عن الموضوعية في قراءة الواقع، والممكن من النتائج المرادة، فاحتاج ذلك إلى أن يقف الشارع أمام هذا الدافع لإعمال الموازنة من منطلق محبة الله تعالى لخلقه، وعدم اقتضاره على ما تتم به الحجة.

إن وجود مفردات الضغط المتقدمة وغيرها على المكلفين، دعت إلى أن يتخذ الشارع بعض ما يمكن أن يكون عنصراً في إحداث عملية توازن في نفس المكلف، يدفعها نحو التشبث بمعتقداتها والتأمل فيه، ويتمثل ذلك في إعمال عناية التبعيد واستحقاق الثواب على هذا العمل المطلوب شرعاً بمآلاته، فوردت الروايات المتعددة التي ألبست الانتظار ثوب العبادة وجعلته منشأ لاستحقاق الثواب العظيم والأجر الجزيل.

كما كانت عنصر موازنة في مقابل حالة الاستعجال في التحرك قبل أوانه التي قد تملك المؤمنين به ﷺ والثابتين على معتقدتهم. وقد وردت بعض الروايات التي حذرت المستعجلين.

ففي الرواية مسنداً عن أبي المرهف قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «هلكت المحاضر»، قلت: وما المحاضر؟ قال: «المستعجلون، ونجا المقربون وثبت الحصن على أوتادها، كونوا أحلاس بيوتكم، فإن الفتنة على من أثارها...» الخبر^(١).

وجاء مسنداً بسند مجهول عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام في

١. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٣٨.



قول الله ﷻ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ قال: «هو أمرنا أمر الله لا يستعجل به...» الخبر^(١).

وفي ثالثة عن الإمام الباقر عليه السلام بسند مجهول أيضاً عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «هلك أصحاب المحاذير ونجا المقرّبون وثبت الحصن عليّ أو تادها، إن بعد الغم فتحاً عجبياً»^(٢).

ومن المصالح المترتبة على الانتظار - وتعبير أدق من فوائد انصباب الأمر ظاهراً على الانتظار للفرج - الأمل الذي يبعث على التحرك ويمنع من اليأس، وقد ورد هذا في كلام الإمام الكاظم عليه السلام لعلي بن يقطين: «يا علي، إن الشيعة تربي بالأماني منذ مائتي سنة»^(٣).

وقد استفاد علي من كلام الإمام الكاظم عليه السلام في جوابه لأبيه الذي كان عباسي التوجه فسأل علياً: ما بالنا قيل لنا فكان، وقيل لكم فلم يكن؟ فقال له علي: إن الذي قيل لكم ولنا من مخرج واحد، غير أن أمركم حضر فأعطيتم محضه وكان كما قيل لكم، وأن أمرنا لم يحضر فعللنا بالأماني، ولو قيل لنا: إن هذا الأمر لا يكون إلى مائتي سنة أو ثلاثمائة سنة لقست القلوب ولرجعت عامة الناس عن الإسلام، ولكن قالوا ما أسرعه وما أقربه تألفاً لقلوب الناس وتقريباً للفرج^(٤).

وكان علي قد سأل الإمام الكاظم عليه السلام حين قال له: ما بال ما روي فيكم من الملاحم ليس كما روي، وما روي في أعاديكم قد صح؟ فقال عليه السلام: «إن

١. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٣٩.

٢. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٠٠-١٠١.

٣. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٠٢.

٤. غيبة الطوسي: ج ٢٩٢.



الذي خرج في أعدائنا كان من الحق فكان كما قيل، وأنتم عللتم بالأمانى فخرج إليكم كما خرج»^(١).

هذا فضلاً عن أن الانتظار وانصباب الطلب عليه ووصفه بالعبادة الأفضل عند الله تعالى، يدفع باتجاه المعرفة والثبات على المبدأ، كما لاح لك من طيات البحث فلا تغفل.

توجيه روايات المنع عن التحرك في زمن الغيبة:

وفق ما تقدم من السياق يمكن أن نفهم ما ورد مطلقاً مما ظاهره المنع عن التحرك في زمن الغيبة، وأن كل راية ترفع فيها فهي راية ضلالة أو أن صاحبها طاغوت.

ففي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام: «واعلم أنه لا تقوم عصابة تدفع ضيماً أو تعز ديناً إلا صرتم البلية حتى تقوم عصابة شهدوا بدرأ مع رسول الله صلى الله عليه وآله لا يوارى قتلهم ولا يرفع صريعهم ولا يداوى جريحهم»، قلت: من هم؟ قال: «الملائكة»^(٢)، وهي مرسلة.

وفي أخرى عن أبي عبد الله عليه السلام: «كونوا أحلاس بيوتكم، فإن الفتنة على من أثارها، وأنهم لا يريدونكم بحاجة، إلا أتاهم الله بشاغل لأمر يعرضهم»^(٣).

وفي سندها علي بن الصباح بن الضحاك وهو مجهول، وكذا أبو مرهف.

وفي رواية جابر بن يزيد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «اسكنوا ما سكنت السماوات والأرض، أي لا تخرجوا على أحد فإن أمركم ليس به خفاء، إلا أنها آية من الله تعالى ليست من الناس...» الخبر^(٤).

١. علل الشرائع: ج ٢، ب ٣٨٥، ح ١٦.

٢. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٣٦.

٣. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٣٨.

٤. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٣٩.

وهي ضعيفة أيضاً لمكان عبید الله بن موسى ومنخل بن موسى.

وفي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كل راية ترفع قبل قيام القائم عليه السلام فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله تعالى»^(١)، وهو موثق على قول المجلسي في مرآة العقول^(٢).

وبغض النظر عن الإشكال السندي، فإن هذه الروايات وإن كانت مطلقة، إلا أنه يكفي وجود القرينة الخارجية لتقييد إطلاقها أو لرفع اليد عن ظهورها في وجوب القعود.

والقرينة الخارجية يمكن أن تكون إطلاقات أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مضافاً إلى الإطلاقات فيما حث على الجهاد والتي سوّغت الجهاد الدفاعي وفق نظر كل الفقهاء، والأعم منه ومن الجهاد الابتدائي وفق نظر البعض وإن كان قولاً نادراً. مضافاً إلى وجوه أخرى تحتاج إلى بحث تخصصي منفرد.

والذي يبدو: أن الأئمة عليهم السلام لخصوصية الاستعجال في النوع البشري واقترانه بمظلومية دامت دهوراً على أتباع المذهب، مع قراءة منهم عليهم السلام لواقع أن الحكومات الجائرة ولوقت طويل غير قابلة للسقوط، مع ملاحظة ما يترتب على التحرك بعد فشله من الخسائر الكبيرة، أغلقت الباب بظاهر أدلة مطلقة حذراً من تلك التضحيات التي كانت ستذهب جفاء لو أن الاتباع أو بعضهم كان قد اتبع مسلك الثورة ضد الظالمين، فضلاً عن التداعيات التي تأتي بعدها، فتتنفر الحاكم الجائر ثم تنكيله وفتكه باتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام قبل الثورة عليه ليس كما بعد ثورة فاشلة.

١. الكافي: ج ٨، ص ٢٩٥.

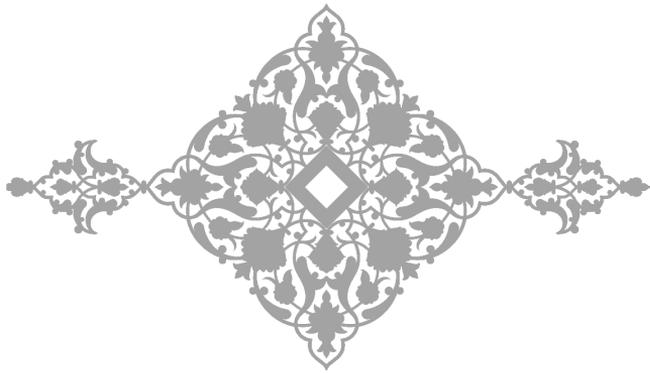
٢. مرآة العقول: ج ٢٦، ص ٣٢٥.

والإمام عليه السلام بيانه لا يكون ناظراً إلى زمان دون زمان، وإنما هو خطاب واحد يصدر منه.

فإن قيل: كان بإمكان المعصوم أن يحدد تلك الضوابط الواقعية للتمييز بين مورد الثورة وزمان وجوبها أو رجحانها بالحد الأدنى عن موارد المنع، فلم لم يسلك هذا الطريق.

قلنا: المشكلة تكمن في التطبيق لو كان الإمام عليه السلام قد بين الضابطة، والتطبيق في هذا الموضوع مورد احتمال كبير للوقوع في الاشتباه والخطأ.

هذا مضافاً إلى أن مثل هذا البيان لو صدر فإنه يمكن أن يقع في أيدي الظالمين مما يعطي انطباعاً لماكنة الحكم الجائر عن الشيعة وأن مذهبهم يدعوهم إلى الثورة على حكوماتهم، مما يستوجب توجيه يد البطش والتنكيل إليهم، مع ملاحظة أن دائرة النجاح في مواجهة عسكرية مع الحكم ضيقة جداً على مرّ التاريخ.





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

حكم تسمية الإمام المهدي عليه السلام (*)

الشيخ جاسم الوائلي

إنَّ من المسائل التي ينبغي التعرُّض لحكمها مسألة التصريح باسم الإمام المهدي عليه السلام.

والأقوال فيها ثلاثة:

الأول: الحرمة مطلقاً حتّى الظهور المبارك.

الثاني: الحرمة في حال الخوف عليه عليه السلام لا مطلقاً.

الثالث: الحرمة في زمان الغيبة الصغرى دون الكبرى.

ومن القريب أن يُقال برجوع الثاني إلى الثالث، بدعوى أن موجب الخوف عليه عليه السلام خارجاً منحصراً بزمان الغيبة الصغرى، ولا موجب لها كذلك في زمان الغيبة الكبرى، وأنَّ زمان الغيبة الأولى كلّه زمانُ خوفٍ عليه عليه السلام، وزمان الغيبة الثانية كلّه زمانُ أمنٍ وعدم خوفٍ عليه عليه السلام.

وعلى آية حال فقد ذهب إلى القول الأوّل صريحاً الصدوق^(٢)، والمجلسي^(٣)،

(*) تنبيه: لما كان مبنى الكاتب القول بالاحتياط في تسمية الحجة عليه السلام ويقتضي عدم ذكر الاسم الشريف، لذا لم يَقم بذكره في الروايات التي نصّت على الاسم الشريف للإمام عليه السلام، فكان ذكره فيها حسب ما هو وارد في المصادر من قبَل هيئة التحرير في المجلة، فاقتضى التنبيه.

٢. كمال الدين وتمام النعمة/ طبعة دار الكتب الإسلامية ١: ٣٠٧.

٣. بحار الأنوار/ طبعة دار إحياء التراث العربي ٥١: ٣٢، ذيل الحديث ٥، من (باب النهي عن التسمية).



وهو ظاهر الكليني^(١)، والنعماني^(٢)، والطوسي^(٣)، والمفيد^(٤).

قال الصدوق عليه السلام تعليقا على حديث اللوح المصَّح فيه باسمه عليه السلام: (جاء هذا الحديث هكذا بتسمية القائم عليه السلام، والذي أذهب إليه ما روي في النهي من تسميته) انتهى^(٥).

وقال المجلسي عليه السلام في بحاره تعليقا على رواية حدّدت منتهى الحرمة بزمان الظهور: (هذه التحديدات مصرّحة في نفي قول من خصّ ذلك بزمان الغيبة الصغرى تعويلاً على بعض العلل المستنبطة، والاستبعادات الوهميّة) انتهى^(٦).

وقال عليه السلام في مرآته تعليقا على رواية فيها إيحاء إلى اختصاص الحرمة بزمان الغيبة الصغرى: (وهذا الإيحاء لا يصلح لمعارضة الأخبار الصريحة في التعميم) - ثمّ نقل ثلاث روايات صريحة في التعميم وقال -: (والأخبار في ذلك كثيرة) انتهى^(٧).

أقول: إنّ صدور العبارة الأخيرة من مثل المجلسي عليه السلام الذي هو خرّبت هذه الصناعة يُعدُّ بمثابة روايات مرسلة تضاف إلى الروايات المسندة، والتي منها الثلاث التي أشرنا إليها، وستأتي إن شاء الله تعالى، فانتظر.

وأما أنّ ظاهر الكليني والنعماني والطوسي والمفيد عليهم السلام اختيار القول الأوّل فلاّتهم رَوَوْا ما يدلُّ عليه من جهة، مع التزامهم عملاً بعدم ذكر اسمه عليه السلام صريحاً من جهة أخرى.

١. الكافي/ طبعة دار الكتب الإسلامية ١: ٣٣٢، باب (في النهي عن الاسم).

٢. الغيبة لابن أبي زينب النعماني/ الناشر: آسيانا - قم - ٢٩٩، باب (ما جاء في المنع عن التسمية لصاحب الأمر).

٣. الغيبة للشيخ الطوسي/ منشورات الفجر - بيروت: ٢٠٨، في (فصل في ذكر العلّة المانعة لصاحب الأمر عليه السلام من الظهور)، الحديث الخامس في تلك الصفحة من دون ترقيم.

٤. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد/ طبعة دار المفيد - بتحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام ٢: ٣٢٠.

٥. كمال الدين وتمام النعمة ١: ٣٠٧.

٦. بحار الأنوار ٥١: ٣٢، ذيل الحديث ٥.

٧. مرآة العقول/ طبعة مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية ١: ٧٨٩، باب النهي عن الاسم، ذيل الحديث ٢.



ونقل رواية في كتبهم فيها تصريح بالاسم - كما تكرّر في كمال الدين - لا يتنافى والتزامهم بعدم التصريح به من قبل أنفسهم، لأن مقام الرواية يقتضي نقل ما وصل إليه كما وصل.

ومن ثمّ يمكن عدُّ كلِّ من التزم بذلك عملاً أنّه ممّن يميل إلى هذا القول في المسألة، أو لا أقلّ إلى الاحتياط فيها.

ويظهر من الطبرسي الميل إلى ذلك أيضاً، قال: (وهو المسمّى باسم رسول الله ﷺ، المكنى بكنيته، وقد جاء في الأخبار أنّه لا يحلّ لأحد أن يسمّيه باسمه، ولا أن يكنّيه بكنيته، إلى أن يزيّن الله تعالى الأرض بظهوره وظهور دولته - إلى أن قال: - وكانت الشيعة في غيبته الأولى تعبر عنه وعن غيبته بالناحية المقدّسة، وكان ذلك رمزاً بين الشيعة يعرفونه به، وكانوا يقولون أيضاً على سبيل الرّمز والتقيّة: الغريم - يَعْنُونَهُ ﷺ - وصاحب الأمر^(١)).

وأما القول الثاني - أعني الحرمة عند الخوف، والجواز عند عدمه - فهو صريح الحرّ في عدّة مواضع من وسائله:

أحدها: قوله في عنوان الباب: (باب تحريم تسمية المهدي ﷺ، وسائر الأئمة عليهم السلام وذكرهم وقت التقيّة، وجواز ذلك مع عدم الخوف) انتهى^(٢).
ثانيها وثالثها ورابعها وخامسها: ذيل الأحاديث ٧ و ٨ و ٩ و ١٢ من الباب المذكور.

سادسها: قوله في آخر الباب: (والأحاديث في التصريح باسم المهدي محمد بن الحسن عليه السلام وفي الأمر بتسميته عموماً وخصوصاً، تصريحاً وتلويحاً، فعلاً

١. إعلام الوري / طبعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام ٢: ٢١٣.

٢. وسائل الشيعة / طبعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام ١٦: ٢٣٧، الباب ٣٣، وفيه ٢٣ حديثاً.

وتقريباً، في النصوص، والزيارات، والدعوات، والتعقيبات، والتلقين، وغير ذلك كثيرة جداً) انتهى^(١).

سابعها: إحالته في آخر الباب على حديث ذكره في أحكام الأولاد، وفيه تصريح من الإمام العسكري عليه السلام باسم ابنه عليه السلام^(٢).

ثامنها: نسبتُهُ جواز التصريح باسمه عليه السلام إلى جماعة في هامش الوسائل، وجعلهُ القول بالحرمة المطلقة نادراً، قال: (قد صرح باسمه عليه السلام جماعة من علمائنا في كتب الحديث والأصول والكلام وغيرها، منهم: العلامة والمحقق والمقداد والمرتضى والمفيد وابن طاووس وغيرهم، والمنع نادر، وقد حَقَّقناه في رسالة مفردة) انتهى^(٣).

أقول: ما نسبه إلى الشيخ المفيد إن كان في غير كتاب الإرشاد فمحمتمل، وإن كان فيه فهو ممنوع، لالتزامه عليه السلام بعدم ذكره اسمه عليه السلام صريحاً فيه.

نعم، ورد في عنوان الباب الثاني تصريح باسمه عليه السلام، حيث جاء فيه: (ذكر طرف من الدلائل على إمامة القائم بالحق محمد بن الحسن عليه السلام)^(٤).

ولكن مؤسسة آل البيت عليهم السلام المحققة للكتاب نقلت في الهامش عن نسخة بدل عبارة: (ابن الحسن) خالية من ذكر اسمه عليه السلام.

والحاصل: أن ما يدل على التزامه بعدم ذكره الاسم صريحاً، عدّة قرائن:

منها: عدم ذكره صريحاً في بداية الباب الأول الذي عقده لذكر الإمام القائم بعد أبي محمد العسكري عليه السلام، حيث قال: (وكان الإمام بعد أبي محمد عليه السلام ابنه المسمّى باسم رسول الله صلى الله عليه وآله، المكنى بكنيته)^(٥)، مع أنه قد التزم في تراجم

١. وسائل الشيعة ١٦: ٢٤٦، ذيل الحديث ٢٣، وهو آخر أحاديث الباب.

٢. وسائل الشيعة ٢١: ٤٤٨، أبواب أحكام الأولاد، الباب ٦٤، الحديث ٣.

٣. وسائل الشيعة ١٦: ٢٤٦، أبواب الأمر والنهي وما يناسبها، الباب ٣٣، في هامش له على الحديث ٢٣.

٤. الإرشاد ٢: ٣٤٢.

٥. الإرشاد ٢: ٣٣٩.



آبائه عليهم السلام جميعاً بأن يذكرهم بأسمائهم في الباب الأول الذي يعقده لترجمة كل واحد منهم عليهم السلام، فلاحظ.

ومنها: نقله لرواية من الروايات الناهية عن التسمية في وصية الإمام العسكري عليه السلام، وعدم تعليقه عليها بشيء، فتأمل.

ومنها: النسخة البدل المتقدّم ذكرها.

كلامٌ للعلامة المجلسي قده:

وللعلامة المجلسي كلامٌ يصلح جواباً على ما أفاده صاحب الوسائل، وكأنّه ناظر إليه، وربما وقعت رسالته الموما إليها بيده.

قال قده: (وما ورد في الأخبار والأدعية من التصريح بالاسم فأكثره معلومٌ أنّه إمّا من الرواة، أو من الفقهاء المجوّزين للتسمية في زمان الغيبة الكبرى، كالشيخ البهائي قده في مفتاح الفلاح وغيره، فإنّه لمّا زعم الجواز صرح بالاسم، وفي سائر الروايات والأدعية إمّا بالألقاب، أو الحروف المقطّعة، مع أنّ بعض الأخبار المتضمّنة للاسم إنّما يدلُّ على جواز ذلك لهم لا لنا، وما ورد في الأخبار من الأمر بتسمية الأئمة عليهم السلام فيمكن أن يكون على التغليب، أو التجوّز بذكره عليه السلام بلقبه وسائر الأئمة بأسمائهم، وهذا مجاز شائع يعدل الحقيقة). انتهى^(١).

وهو جواب متين للغاية ويضاف إليه أن الروايات التي أوردها في الوسائل في باب التلقين لا نص فيها على الاسم المبارك، بل جاءت تأمر بتسمية الأئمة عليهم السلام، وهو عموم قابل للتخصيص بما دلّ على وجه تسمية المهدي عليه السلام بخصوصه.

فلاحظ الباب ١٩ و ٣٥ من أبواب الدفن^(٢).

١. مرآة العقول ١: ٧٨٩، ذيل الحديث ٢، من (باب في النهي عن الاسم).

٢. وسائل الشيعة - للحر العاملي: ج ٣، ص ١٧٣ و ١٧٧ و ٢٠٠.

وأما القول الثالث: - أعني اختصاص الحرمة بزمان الغيبة الصغرى - فقد تقدّمت الإشارة من المجلسي عليه السلام إلى وجود قائل به، وربما يظهر من البهائي عليه السلام ذهابه إليه، فقد ذكر الاسم صريحاً في عدّة مواضع من مفتاحه: فمنها: ما ذكره في تعقيبات الصلاة. ومنها: ما ذكره في سجدة الشكر. ومنها: ما ذكره في ما يقال عند تحقق الزوال^(١). وربما ذكره في مواضع أخرى من الكتاب المذكور، أو غيره من مصنّفاته، فلاحظ.

هذه هي الأقوال في المسألة فيما عثرت عليه. ومن نافلة القول التنبيه على أن مقتضى الأصل في مسألتنا هو الحل والبراءة حيثما كان المقتضي قاصراً، أعني روايات الباب. ومنشأ اختلاف الأقوال اختلاف الأخبار، واختلاف علاج الأعلام له، فينبغي استعراضها أولاً، ثمّ النظر في أسانيدھا، وفي دلالتها، وكيفية الجمع بينها. روايات الباب:

والروايات على طائفتين رئيسيتين:

الطائفة الأولى: ما دلّت بظاھرھا على جواز التسمية، لمكان التصريح فيها باسمه عليه السلام، وهي على صنفين:
الصنف الأول: ما كان التصريح فيها من قبل المعصوم عليه السلام، وهي عدّة روايات:

١ - رواية محمد بن إبراهيم الكوفي: أنّ أبا محمد عليه السلام بعث إلى بعض من سمّاه لي، شاةً مذبوحةً، وقال: «هذه من عقيقة ابني محمد»^(٢).

١. مفتاح الفلاح/ طبعة مؤسسة التاريخ العربي: ٤١ و ٦١ و ٨٤.

٢. كمال الدين ٢: ٤٣٢، باب ما روي في ميلاد القائم عليه السلام، الحديث ١٠.

وفيها:

أولاً: أنه يحتمل كون التصريح من أحد الرواة، كمحمد بن إبراهيم نفسه.
وثانياً: ما أشار إليه المجلسي فيما تقدّم من احتمال جواز ذلك لهم عليه السلام
دوننا.

والأمر كما قال عليه السلام، فإنهم عليه السلام أعلم بما يصنعون، كما لو كان الغرض أن
يتسرّب الاسم إلى الشيعة مع إمكان التفصي عن ذلك لو تعرّض عليه السلام لمساءلة
الجائر.

والذي يدعو إلى تسريبه ما ورد من كون اسمه عليه السلام كاسم النبي صلى الله عليه وآله، وهذا
لازم أعم، إذ لا يتعيّن به أحد أسمائه صلى الله عليه وآله، خصوصاً مع كون المسألة محاطة
بنحو من الغموض، بحيث يحتمل أن يكون المراد من المشبه به هو أحمد، أو
محمود مثلاً.

وإن شئت قلت: إنَّ الضرورة ربّما تدعو أحياناً إلى التصريح بأمر لا يجوز
التصريح به، كاسم الشيء القبيح مثلاً، فلو صرّح المشرّع به في موطن مع سبق
نهيّه عن ذلك فلا يُعدُّ ذلك تناقضاً منه، لإمكان حمل تصريحه به على حال
الضرورة، ونظيره تصريح إمامنا الصادق عليه السلام باسمي الريح الناقضين للوضوء
في رواية ربّما كانت هي اليتيمة، وذلك لئلا يفسح المجال للتشكيك في أنّ المراد
من الريح الناقضة للوضوء غير ما صرّح به عليه السلام.

وكذا الحال في مقامنا، إذ لو لم يصرّح باسمه عليه السلام في بعض الروايات فربّما
ينفتح باب التشكيك فيما هو اسمه المبارك على نحو التحديد، ومن ثمّ يمكن
استغلال ذلك من بعض المنحرفين للتشويش على المؤمنين أعزّهم الله أزيد من
التشويش الحاصل مع معرفة الاسم بنحو من الأنحاء.

وثالثاً: أنّ الرواية ضعيفة سنداً، لا من جهة محمد بن موسى بن المتوكّل

الذي هو من مشايخ الصدوق، لإمكان توثيقه ولو من خلال كبرى وثيقة مشايخ الإجازة، بل من جهة الكوفي نفسه، فإنه مجهول الحال.

٢ - رواية علان الرازي، قال: أخبرني عن بعض أصحابنا أنه لما حملت جاريةُ أبي محمد عليه السلام قال: «ستحملين ذكراً، واسمه محمد، وهو القائم من بعدي»^(١).

وفيها - مضافاً إلى ما تقدّم من احتمال اختصاص الجواز بهم عليهم السلام، أو اقتضاء الضرورة بالنحو الذي أوضحناه ثمّة - : أنه لو أمكن التغلب على ضعف السند بمحمد بن محمد بن عصام لكونه من مشايخ الصدوق أو لترضيّه عليه - كما نميل إليه - فيبقى ضعفها من جهة الإرسال.

٣ - رواية أبي الجارود زياد بن المنذر، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو على المنبر: «يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان - إلى أن قال: - له اسمان: اسمٌ يخفى، واسمٌ يُعلن، فأما الذي يخفى فأحمد، وأما الذي يُعلن فمحمد» الحديث^(٢).

وفيها - مضافاً إلى ما تقدّم أيضاً - : أنه حكاية عما سيقع من إخفاء أحد أسمائه، وإظهار الآخر الذي هو محلّ كلامنا، ولا دلالة فيه على الجواز البتة، نظير إخبار النبي صلى الله عليه وآله بأنّ الأمة ستغدر بأهل بيته عليهم السلام من بعده، وكإخباره بأنّها ستقتل ولده الحسين عليه السلام.

وهو يدخل في إخبار الإمام عليه السلام أنّهم سيعلمون هذا الاسم، فلا فائدة تتحصّل من هذا الذكر لأنّه إنّما ذكره من باب الضرورة.

هذا لو قطعنا النظر عن سندها، فإنّه وإن أمكن التغلب على ضعفه من جهة علي بن أحمد بن موسى لكونه من مشايخ الصدوق ومن جهة محمد بن

١. كمال الدين ٢: ٤٠٨، باب ما روي عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام بالنصّ على ابنه القائم عليه السلام، ح ٤.

٢. كمال الدين ٢: ٦٥٣، باب علامات خروج القائم عليه السلام، الحديث ١٧.



سنان على قولٍ إلا أن الضعف من جهة إسماعيل بن مالك الراوي عن محمد بن سنان باقٍ، فإنه مهمل لا ذكر له في كتب الرجال.

٤ - رواية المفصل بن عمر، قال: دخلت على الصادق عليه السلام، فقلت: لو عهدت إلينا في الخلف من بعدك، فقال: «الإمام بعدي ابني موسى، والخلف المأمول المنتظر م ح م د بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى»^(١).

وفيها - مضافاً إلى ما تقدّم - : أن من المحتمل إضافة الاسم المبارك من بعض الرواة الذين في السند، لاعتقاده جواز ذلك، خصوصاً إذا ظن أن في ذلك إفادة لمن يطّلع على الرواية، كما يقحم الرواة تفسير كلمة أو نحوها في متن الرواية، وذلك ليس بعزيز.

على أن الاسم في المصدر - أعني كمال الدين - جاء مقطّعاً، لا كما صنع في الوسائل، حيث جاء موصولاً، بدليل أنه نقل الروايات السابقة مصرّحة بالاسم موصولاً، وكذا ما سيأتي، ما يعني أن التقطيع في هذه الرواية جاء من قبل غيره.

مضافاً إلى أن في سندها موسى بن عمران بن أخي الحسين بن يزيد النوفلي، فإنه لم يوثق، إلا بناءً على ما لا نقول به من وثاقة كل من روى في تفسير القمي. هذا لو لم يناقش من جهة علي بن أحمد بن محمد الدقاق الذي روى عنه الصدوق، ولا من جهة المفصل بن عمر، كما نميل إلى ذلك فيهما.

٥ - رواية محمد بن عثمان العمري (قدس الله روحه)، يقول: سمعت أبي يقول: سئل أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنا عنده - إلى أن قال: - فقيل: يا بن رسول الله؛ فمن الحجة والإمام بعدك؟ فقال: «ابني محمد هو الإمام والحجة بعدي» الحديث^(٢).

١. كما الدين ٢: ٣٣٤، باب ما روي عن جعفر بن محمد عليه السلام من النصّ على القائم عليه السلام، الحديث ٤. وعنه

في وسائل الشيعة ١٦: ٢٤٥، أبواب الأمر والنهي وما يناسبها، الباب ٣٣، الحديث ٢٢.

٢. كمال الدين ٢: ٤٠٩، باب ما روي عن أبي محمد العسكري بالنصّ على القائم عليه السلام، الحديث ٩.

وفيها: أنه لا حاجة إلى ذكر الاسم مع لفظ (ابني) بعد كونه الابن الوحيد للعسكري عليه السلام، ولذا يحتمل كونه مقحماً من أحد الرواة زيادةً في الإيضاح، أو بناءً على جواز النقل بالمعنى.

٦ - رواية أبي جعفر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله، عن فاطمة عليها السلام، أنه وجد معها صحيفة من ذرّة فيها أسماء الأئمة من ولدها - إلى أن قال: - «أبو القاسم محمد بن الحسن، حجة الله على خلقه، القائم، أمّه جارية اسمها نرجس»^(١). وفيها - مضافاً إلى ما تقدّم مكرراً - : أن السند ساقط بالمرّة، لاشتماله على عدّة مجاهيل.

٧ - ما نقله في مفاتيح الجنان مما يدعى به بعد زيارة آل ياسين، حيث جاء فيه: «اللهم صلّ على محمد حجّتك في أرضك وخليفتك في بلادك...»، وفيه تصريح باسمه عليه السلام.

وفيه: أنه قد كتب فوق اسمه عليه السلام حرف الخاء، ويعني أن ذكره ورد في نسخة من المصدر المنقول عنه الدعاء المذكور، ما يعني أن غيرها من النسخ خالية من ذكر الاسم، وحيث لا يُدرى أيُّهما الصادر فلا يصلح دليلاً على المدّعى.

هذا، مضافاً إلى الجواب ببعض ما تقدّم، ولا نعيد. هذه جملة من روايات هذا الصنف، ومن الأجوبة عليها يتّضح طريق الجواب على غيرها.

الصنف الثاني: ما كان التصريح فيها بالاسم من قبيل الراوي، وهي عدّة روايات:

١ - رواية أبي غانم الخادم، قال: ولد لأبي محمد عليه السلام ولدٌ، فسماه محمد الرواية^(٢).

١. كمال الدين ١: ٣٥٥، باب ما روي عن سيدة نساء العالمين من حديث الصحيفة، الحديث ١.

٢. كمال الدين ٢: ٤٣١، باب ما روي في ميلاد القائم عليه السلام، الحديث ٨.

وفيها - مضافاً إلى عدم حجية فعل أبي غانم - : أنه يحتمل صدور ذلك منه عن عصيانٍ أو سبق لسانٍ، كما في نظائره، حيث يطلب من الشخص التكتّم على أمر، فيرتبك ويفشيه.

على أن أبا غانم هذا مهمل، ولا سبيل لتصحيح الرواية، وإن أمكن التغلب على ضعفها من جهة محمد بن موسى بن المتوكل بما تقدّم، ومن جهة محمد بن أحمد العلوي الذي ناقش السيد الخوئي في دليل وثاقته بعد الفراغ من ثبوت مدحه.

٢ - رواية أو صحيحة معلّى بن محمد البصري، قال: خرج عن أبي محمد عليه السلام حين قُتل الزُبيري (لعنه الله): «هذا جزاء من اجترأ على الله في أوليائه، يزعم أنه يقتلني وليس لي عقب، فكيف رأى قدرة الله فيه»، وولده ولدٌ سمّاه (م ح م د) سنة ستٍّ وخمسين ومائتين^(١).

وفيها - بعد الغصّ عن عدم ثبوت وثاقة معلّى بن محمد وإن روى في التفسير - : ما تقدّم من عدم حجّية فعل الراوي.

٣ - رواية الحسن بن المنذر، عن حمزة بن أبي الفتح، قال: جاءني يوماً فقال لي: البشارة، ولد البارحة في الدار مولود لأبي محمد عليه السلام، وأمر بكتمانه، قلت: وما اسمه؟ قال: سُمّي بمحمد، وكُنّي بجعفر^(٢).

وفيها - مضافاً إلى ما في سابقاتها - أن سندها ساقط بالمرّة، لجهالة الحسن بن المنذر، وإهمال كلّ من حمزة بن أبي الفتح، ومن روى عن الحسن، أعني: الحسين بن علي النيسابوري.

٤ - رواية عبد الله السُّوري، قال: صرت إلى بستان بني عامر، فرأيت غلماناً

١. الكافي ١: ٣٢٩، باب الإشارة والنصّ إلى صاحب الدار عليه السلام، الحديث ٥.

٢. كمال الدين ٢: ٤٣٢، باب ما روي في ميلاد القائم عليه السلام، الحديث ١١.

يلعبون في غدير ماءٍ وفتى جالساً على مصلىٍ واضعاً كُمه على فيه، فقلت: من هذا؟ فقالوا (م ح م د) بن الحسن، وكان في صورة أبيه عليه السلام^(١).

وفيها - مضافاً إلى ما في سابقاتها - : اشتغال سندها على عدّة مجاهيل، ومنهم السّوري.

هذا، وقد يتمسك للجواز بالروايات التي دلّت على أنّ في الأئمة عليهم السلام ثلاثة باسم محمد، وأربعة باسم علي^(٢)، ولكن هذا ليس من التسمية في شيء كما هو واضح.

لأن تسمية الشخص إنّما تكون بحمل الاسم عليه بعد تشخيصه كما لو كان لزيد ثلاثة أبناء باسم عمرو وبكر وسعيد، ولم يحدّد المتكلم ما إذا كان عمرو هو الأكبر وأن بكراً هو الأوسط وأن سعيداً هو الأصغر مع مشخصات أخرى يتعيّن به صاحب الاسم، وأمّا الوصول إلى تحديده بعد تطبيق الأسماء على الأئمة عليهم السلام بعد أن يفضل اسم محمد من المحمدين الثلاثة فينطبق على الحجة فذلك أوضح فيما ذكرنا من أنّه ليس من التسمية في شيء.

والحاصل: أنّ روايات هذه الطائفة بصنفيها لا تنهض لإثبات الجواز.

الطائفة الثانية: الروايات الظاهرة في حرمة التسمية، وهي على أصناف:

الصنف الأوّل: ما دلّ على استمرار الحرمة إلى زمان الظهور، وهي عدّة روايات:

١ - صحيحة أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث الخضر عليه السلام أنّه قال: «وأشهد على رجل من ولد الحسن لا يُسمّى ولا يُكنّى حتّى يظهر أمره، فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً...» الحديث^(٣).

١. كمال الدين ٢: ٤٤١، باب من شاهد القائم عليه السلام، الحديث ١٣.

٢. وسائل الشيعة ١٦: ٢٤٤، أبواب الأمر والنهي وما يناسبها، الباب ٣٣، الحديثان ٢٠ و ٢١.

٣. الكافي ١: ٥٢٥، باب ما جاء في الاثني عشر والنصّ عليهم عليهم السلام، الحديث ١.



٢ - صحيحة أبي أحمد محمد بن زياد الأزدي، قال: سألت سيدي موسى بن جعفر عليه السلام - إلى أن قال عليه السلام: - «ذلك ابن سيدة الإماء الذي تخفى على الناس ولادته، ولا يحلُّ لهم تسميته، حتى يظهره الله تعالى، فيملاً الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً»^(١).

وأبو أحمد محمد بن زياد الأزدي هو ابن أبي عمير (رضوان الله تعالى عليه).

٣ - رواية جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «سأل عمر أمير المؤمنين عليه السلام عن المهدي، فقال: يا بن أبي طالب؛ أخبرني عن المهدي ما اسمه؟ قال: أمّا اسمه فلا، إن حبيبي وخيلي عهد إليّ أن لا أحدث باسمه حتى يبعثه الله تعالى، وهو ما استودع الله تعالى رسوله في علمه»^(٢).

٤ - رواية عبد العظيم الحسني، قال: دخلت على سيدي علي بن محمد عليه السلام - وبعد أن عرض عليه اعتقاده وإقراره بالأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد حتى وصل إليه عليه السلام فقال: - ثم أنت يا مولاي، فقال عليه السلام: «ومن بعدي الحسن ابني، فكيف للناس بالخلف من بعده؟»، قال: فقلت: وكيف ذاك يا مولاي؟ قال: «لأنه لا يرى شخصه، ولا يحلُّ ذكره باسمه، حتى يخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً - إلى أن قال عليه السلام: - هذا ديني ودين آبائي»^(٣).

وعلق صاحب الوسائل بما حاصله: أن هذا لا ينافي تخصيص الحرمة بحال الخوف، معللاً ذلك بما دلَّ على وجوب التقيّة عموماً إلى أن يخرج صاحب الزمان عليه السلام.

وظاهر كلامه أن ترك التسمية لا موضوعيّة له، وإنما المدار على الخوف وعدمه.

١. كمال الدين ٢: ٣٦٨، باب ما روي عن موسى بن جعفر عليه السلام في النصّ على القائم عليه السلام، الحديث ٦.

٢. الإمامة والتبصرة لعلي بن بابويه القميّ / طبعة مدرسة الإمام المهدي عليه السلام: ١١٧.

٣. كمال الدين ٢: ٣٧٩، باب ما روي عن علي بن محمد الهادي عليه السلام في النصّ على القائم عليه السلام، الحديث ١.

وفيه: أن ما دلَّ على عموم التقيّة لا مفهوم له ليقيد روايتنا، فإنَّ مجرّد التّامه معها لا يوجب تقيّدُها به، نظير ما لوقال الطبيب للمريض: (لا تأكل الحامض إن كان يضرُّك)، ثم قال: (لا تأكل الرُّمان إلى أن تشفى)، فإنَّ العرف يفهم من الأوّل المنع من أكل الحامض في صورة الضرر، لا مطلقاً، ومن الثاني المنع المطلق من أكل مطلق الرُّمان إلى حين الشفاء سواء كان حامضاً أو لا، لاحتمال وجود خصوصيّة في مطلق الرُّمان تضرُّ بذلك المريض.

والحاصل: كما أن الرواية لا تنافي الحمل على التقيّة كذلك لا تنافي الحمل على الإطلاق، ومتى لم يلزم من الحمل على الإطلاق منفاة كشف ذلك عن عدم صلاحية المقيّد لتقييده.

ومنه يتّضح ما في كلام بعض مَن وافق صاحب الوسائل، حيث رأى أنَّ المنع المطلق يحتاج إلى تعبُّد شديد، مع أنّه يجوز الدلالة على اسمه بالكنية أو بتقطيع حروفه^(١).

وجه الدفع: أنّه إن كان مقصوده من التعبُّد عدم وجود الملاك فهو كما يقول، إذ لا معنى لتحرّيم فعلٍ بلا ملاك، وإن كان مقصوده وجود ملاك نجهله، وأنَّ علينا الطاعة والتسليم فلا أدري ما الذي رابه فيه، لاسيما أنَّ مئات الأحكام هي من هذا القبيل؟!!

والحاصل: أنَّ دلالة هذا الصنف على القول الأوّل لا ريب فيها بقطع النظر عن المعارض.

الصنف الثاني: ما دلَّ بإطلاقه على عموم الحرمة، وهي عدّة روايات:

١ - صحيحة أو حسنة داود بن القاسم الجعفري، قال: سمعت أبا الحسن

العسكري عليه السلام يقول: «الخلف من بعدي الحسن، فكيف بكم بالخلف من بعد

١. القواعد الفقهيّة للشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ طبعة مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ١: ٤٥٤.



الخلف»؟، قلت: ولم جعلني الله فداك؟ قال: «لأنكم لا ترون شخصه، ولا يحلُّ لكم ذكره باسمه»، قلت: كيف نذكره؟ قال: «قولوا: الحُجَّةُ من آل محمد ﷺ»^(١). والترديد بين الصحَّة والحسن لمكان محمد بن أحمد العلوي المختلف في ثبوت وثاقته بعد الفراغ من كونه ممدوحاً، فإنَّ تثبت وثاقته فالرواية صحيحة، وإلَّا فحسنة.

وربما يشكل: بأنَّه يحتمل اختصاص الحرمة بزمان الغيبة الصغرى، بقرينة كون الخطاب موجَّهاً للجعفري، وغاية ما يمكن في التعدية هي التعدية إلى الغائبين دون المعدومين.

وجوابه: أنَّه مجرد احتمال لا يضُرُّ مثله بالظهور في العموم، وإلَّا لزم انشلام أكثر العمومات التي لا كلام في انعقادها.

٥ - صحيحة ابن رئاب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «صاحب هذا الأمر لا يسمِّيه باسمه إلا كافر»^(٢).

بتقريب: أن المراد من صاحب الأمر إذا أطلق هو الإمام المهدي عليه السلام، وإرادة غيره من الأئمة عليهم السلام أو مطلق الإمام يحتاج إلى قرينة، وأن المقصود من الكفر هنا هو الكفر العملي، أعني المعصية، بل خصوص الكبيرة منها كما أفاد المجلسي عليه السلام في مرآته^(٣)، ولازم هاتين المقدمتين أنَّ حرمة تسمية المهدي عليه السلام قد أخذت في هذه الرواية أمراً مفروغاً عنه.

وأشكل: بأنَّه يحتمل كون المراد من صاحب الأمر مطلق الإمام، وأنَّ المراد من تسميته باسمه هو تسميته به مجرداً، كقولك: (يا زيد)، و (قال عمرو)، أي ذكره باسمه خالياً من الكنية أو شبهها مما يقتضيه التأدب والتوقير للمعصوم عليه السلام،

١. الكافي ١: ٣٣٢، باب النهي عن الاسم، الحديث ١.

٢. الكافي ١: ٣٣٣، باب النهي عن الاسم، الحديث ٤.

٣. مرآة العقول ١: ٧٩٠.

كتعبير بعض أصحابهم عليه السلام بمثل: (يا بن رسول الله) أو (يا أبا عبد الله) أو (جُعلت فداك)، أو نحو ذلك، بخلاف ما كان يفعله بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله حيث كانوا يخاطبونه صلى الله عليه وآله باسمه مجرداً، فنهاهم الله تعالى عن ذلك في قوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾ (النور: ٦٣).

وفيه: أنه مجرد احتمال لا يضرُّ بالظهور فيما ذكرنا.

ويؤيده: نقل كل من الكليني والصدوق لهذه الصحيحة في الباب المعقود لروايات تحريم تسميته صلى الله عليه وآله (١).

هذا، وقد أشار المجلسي قده إلى مضمون الإشكال المزبور مختصراً، وأجاب بأنه لا يخفى ما فيه من تكلف (٢).

ولعل مراده عين ما ذكرناه من كونه خلاف الظاهر، بل خلافه جداً.

٢ - رواية صفوان بن مهران، عن الصادق عليه السلام - في حديث جاء فيه: - فقيل له: يا بن رسول الله فمن المهدي من ولدك؟ قال: «الخامس من ولد السابع، يغيب عنكم شخصه، ولا يحل لكم تسميته» (٣).
والإشكال السابق وروداً وجواباً كما تقدم.

نعم، في سندها الحسين بن أحمد بن إدريس، ومحمد بن سنان، فحال سندها يختلف باختلاف المباني فيهما.

مع ملاحظة نقل الصدوق ذات الرواية بسند آخر مغاير لهذا السند تماماً، وإن كان فيه ضعف هو الآخر.

٣ - رواية عبد العظيم الحسني، قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى عليه السلام: إني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله - إلى أن قال الإمام عليه السلام: - «هو

١. الكافي ١: ٣٣٣، باب النهي عن الاسم، الحديث ٤. كمال الدين ٢: ٦٤٨، باب النهي عن تسمية القائم صلى الله عليه وآله، الحديث ١.

٢. مرآة العقول ١: ٧٩٠.

٣. كمال الدين ٢: ٣٣٣، باب ما روي عن جعفر بن محمد عليه السلام في النص على القائم صلى الله عليه وآله، الحديث ١.



الذي تحفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، وتحرم عليهم تسميته...»
الحديث^(١).

وربما أمكن توثيق محمد بن أحمد السناني أو الشيباني لكونه من مشايخ الصدوق، أو لترضيه عنه كما هو المختار، وتوثيق محمد بن أبي عبد الله بدعوى أنه محمد بن جعفر الأسدي الثقة شيخ الكليني، ولكن يبقى الكلام في سهل بن زياد، والأمر فيه بحسب المبنى.

٤ - حسنة أو صحيحة محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه، يقول: خرج توقيع بخط أعرفه: «من سماني في مجمع من الناس باسمي فعليه لعنة الله»^(٢).

والتردد بين الحسن والصحة بلحاظ محمد بن إبراهيم بن إسحاق الموصوف بحسن العقيدة من دون توثيق، وهو من مشايخ الصدوق المترضى عليهم، فباللحاظ الأول تكون روايته حسنة، وبالثاني تكون صحيحة.

ويؤيدها رواية علي بن عاصم الكوفي: خرج في توقيعات صاحب الزمان عليه السلام:
«ملعون ملعون من سماني في محفل من الناس»^(٣).

واحتمال وحدتها - كما هو ليس ببعيد - مما يزيد في التأيد.

وحمل لفظ الناس على المخالفين لمجرد استعماله فيهم في غير مورد لا وجه له بعد ظهوره في خصوص هذه الرواية في العموم.

والتقييد بالجمع أو المحفل ربما كان لاستحقاق تلك الدرجة من الحرمة الموجبة للعن، بخلاف ما لو ذكره عند واحد أو اثنين.

بل يمكن أن يدعى القول بعدم الفصل بين ذكره عند جمع وذكره عند

١. كمال الدين ٢: ٣٧٧، باب ما روي عن محمد بن علي عليه السلام في النص على القائم عليه السلام، الحديث ٢.

٢. كمال الدين ٢: ٤٨٣، باب ذكر التوقيعات الواردة عن القائم عليه السلام، الحديث ٣.

٣. كمال الدين ٢: ٤٨٢، باب ذكر التوقيعات الواردة عن القائم عليه السلام، الحديث ١.

واحد أو اثنين، فكل من حرّم تسميته عند جمع يلتزم بتحريم تسميته عند الواحد والاثنين.

والإنصاف: أنّ هذه الرواية - وكذا مؤيّدتها - تحتاج إلى مزيد تأمّل.

٦ - رواية الريّان بن الصّلت، قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام وسئل عن القائم عليه السلام، فقال: «لا يُرى جسمه، ولا يُسمّى اسمه»^(١).

بتقريب: أنّه لو أراد عليه السلام الإخبار بعدم وقوع تسميته في إحدى الغيتين أو كليهما للزم نسبة الكذب أو الجهل إليه عليه السلام، لوقوع التسمية في الغيتين كثيراً، فتعيّن أن يكون المراد من الإخبار عن ذلك هو إنشاء النهي عنه.

وإنّ أبيت إلا أن يكون إخباراً فهو إخبار عن التحريم، لا عن عدم الوقوع الذي لازمه نسبة الكذب أو الجهل إليه عليه السلام.

والتحصّل: أنّ الإطلاق في هذا الصنف من الروايات موجب لحرمة التسمية مطلقاً، فإنّ قام دليل على التقييد فهو، وإلا كان الإطلاق هو المحكّم، فانتظر.

الصنف الثالث: ما دلّ منها على الحرمة حال الخوف عليه عليه السلام، مع كون القدر المتيقّن منها زمان الغيبة الصغرى، وهي روايتان:

١ - رواية أبي خالد الكابلي، في حديث وقد سأل من الباقر عليه السلام أن يسمي له المهدي عليه السلام باسمه، فقال عليه السلام: «سألني - والله يا أبا خالد - عن سؤال مجهدٍ، ولقد سألتني عن أمرٍ ما كنت محدّثاً به أحداً، ولو كنت محدّثاً به أحداً لحدّثتك، ولقد سألتني عن أمرٍ لو أن بني فاطمة عرفوه حرصوا على أن يقطّعه بضعةً بضعة»^(٢).

بتقريب: أنّ الحرص على ذلك لا يتصوّر حصوله لأحدٍ في زمن الغيبة

١. الكافي ١: ٣٣٣، باب النهي عن الاسم، الحديث ٣.

٢. الغيبة للنعمان: ٢٩٩، باب ١٦ ما جاء في المنع من التوقيت والتسمية لصاحب الأمر، الحديث ٢. ونقل

عنه الحديث في بحار الأنوار ٥١: ٣١، باب النهي عن التسمية، الحديث ١.



الكبرى في العادة، لليأس التام من الوصول إليه ﷺ فيها، بخلافه قبيل الغيبة الصغرى وفيها كما لا يخفى، بحيث لو عرفه المشار إليهم لتهمياً أو له قبل ولادته ﷺ، ولطلبوه بعدها طلباً حثيثاً.

وربما يشكل: بأن المقطوع به في عقيدة الإمامية أن في غيبة الإمام ﷺ ضرباً من الإعجاز، ولازمه عدم الفرق بين معرفة بني فاطمة عليها السلام بالأمر وعدمها، وبالتالي فلا يبقى وجه لعدم تحديث الباقر عليه السلام باسمه لأبي خالد.

ويمكن دفعه: بأن للإمام الباقر عليه السلام أن يجيب عن ذلك بأن لازم ما قلت هو أن يسعى بنو فاطمة عليها السلام للمنع من تولده ولو بقتل الحسن العسكري عليه السلام، فيكون المراد من تقطيعهم الحجة عليه السلام بضعة بضعة هو الكناية عن قتلهم الحسن العسكري عليه السلام.

٢ - رواية أو صحيحة أبي عبد الله الصالحي، قال: سألتني أصحابنا بعد مضي أبي محمد عليه السلام أن أسأل عن الاسم والمكان، فخرج الجواب: «**إن دلتهم على الاسم أذاعوه، وإن عرفوا المكان دلووا عليه**»^(١).

والترديد بين الرواية والصحيحة للتردد في ثبوت وثاقفة الصالحي، فإن المجلسي رحمته الله استظهر من هذه الرواية أو غيرها كون الرجل من وكلاء الحجة عليه السلام، وهو أمر يحتاج إلى تحقيق.

وتقريب الدلالة: أن إذاعة الاسم حاصلة عند الشيعة في الغيبة الكبرى، كما أن الدلالة على المكان لا تتصور إلا في الغيبة الصغرى عادةً.

ولعله قال في الوسائل: (هذا دالٌّ على اختصاص النهي بالخوف، وترتب المفسدة)^(٢).

١. الكافي ١: ٣٣٣، باب النهي عن الاسم، الحديث ٢.

٢. وسائل الشيعة ١٦: ٢٤٠، أبواب الأمر والنهي وما يناسبها، الباب ٣٣، ذيل الحديث ٧.

٣ - صحيحة عبد الله بن جعفر الحميري، قال: اجتمعتُ أنا والشيخ أبو عمرو عليه السلام عند أحمد بن إسحاق، فغمزني أحمد بن إسحاق أن أسأله عن الخلف - إلى أن قال: - قلت: فالاسم؟ قال: محرّم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندي، فليس لي أن أحلّل ولا أحرمّ، ولكن عنه عليه السلام، فإنّ الأمر عند السلطان أن أبا محمد مضى ولم يخلف ولداً - إلى أن قال: - وإذا وقع الاسم وقع الطلب، فاتّقوا الله، وأمسكوا عن ذلك^(١).

والكلام في هذه الرواية وسابقتها واحد، فإنّ صدور النهي قبل الغيبة الصغرى كنهى الإمام الباقر عليه السلام، وصدوره في وسط زمان الغيبة الصغرى كنهى الحجة عليه السلام نفسه في الروايتين الأخيرتين يقرب دعوى الاختصاص بزمانها.

ولكنك خبير بأنّه لا مفهوم لأيّ من الروايات الثلاث، فلا تصلح لتقييد ما تقدّم من عمومات النهي ومطلقاته.

بيان ذلك: أنّ ملاك الحكم - أيّ حكم - يمكن أن يكون واحداً، كما يمكن أن يكون متعدّداً، كما مثلنا بنهي المريض عن أكل الحامض مقيّداً بالضرر، ونهيه عن أكل مطلق الرّمان، ولازم النهيين اجتماع ملاكين في الرّمان الحامض. وعلى هذا يمكن أن يتصوّر في عالم التشريع وجود ملاك يقتضي التحريم المطلق، وآخر يقتضي التحريم المقيّد.

وفي مقامنا كما تحتمل وحدة الملاك في ترك التسمية كذلك يحتمل تعدّدها، ومع وجود العمومات والمطلقات يكون الاحتمال الثاني وجيهاً بدرجة لا تعود معها الروايات المقيّدة والخاصّة صالحة لتقييد أو التخصيص.

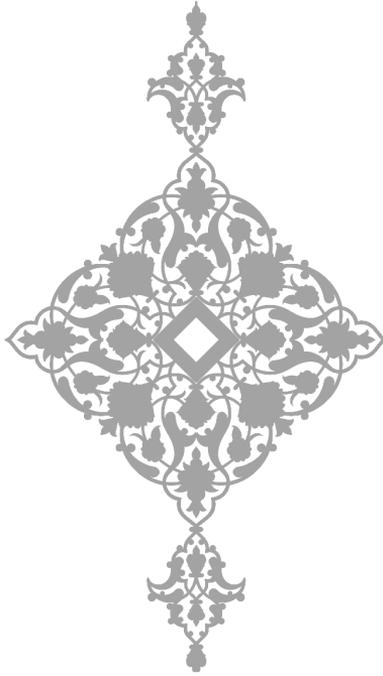
١. الكافي ١: ٣٢٩، باب تسمية من رآه عليه السلام، الحديث ١.



والنتيجة من كل ذلك: أن صناعة الإطلاق والتقييد تقتضي حمل روايات الصنف الثاني على روايات الصنف الأول، فتحمل المطلقة على المعية بالظهور المبارك، ويعود الصنفان صنفاً واحداً، وهو حرمة تسميته ﷺ إلى حين الظهور المبارك، ولا يحمل هذا الحكم على روايات الصنف الثالث المقيّد بما بزمان الغيبة الصغرى أو حال الخوف، لاقتضاء الصناعة المذكورة عدم الحمل المذكور، لعدم المفهوم للصنف الثالث.

والحاصل من كل ذلك: أن المناسب في المسألة هو القول بالحرمة، ولا أقلّ من التنزّل إلى الاحتياط فيها.

والحمد لله وحده.





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

لَتُفْسِدُنَّ.. مَرَّتَيْنِ

السيد باسم الصافي

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿١﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٢﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٣﴾ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُدتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ (الإسراء: ٤-٨).

مقدمة:

عُرف بنو إسرائيل عبر تاريخهم بعنادهم للحق وتمردهم على الله ﷻ وعلى أنبيائه ﷺ فحاربوهم وأذوهم وقتلوا منهم من قتلوا كما قال الله تعالى عنهم: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتَلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (آل عمران: ١٨١).

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ١٥٥).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ





مَرِيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَبْدَنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكَلَّمَا جَاءَكُم رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿البقرة: ٨٧﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿البقرة: ٩١﴾.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿غافر: ٢٨﴾.

واليهود يتصفون بحالة من العُجب بالنفس والغرور والحسد، ولا سيما في الأمور الدينية، فلا يجبون أن يلتزم بالدين أحدٌ غيرهم، أو أن يأتي نبيٌّ إلا منهم وعلى نهجهم، وإلا يتصدّون له حرباً حتى القتل، ومن ثم يبدلون كل الجهد ويستعملون أشد المكر في تحريف ما جاء به من دين إلهي حق، هذا ما فعلوه مع رسول الله عيسى عليه السلام الذي فضحهم ورفض سلطتهم الدينية المنحرفة، فحاربوه بشتى الوسائل حتى قدّموه للصلب والقتل كما اعتقدوا، قال الله تعالى:

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿النساء: ١٥٧﴾.

ثم ترصدوا النصرانية وحاولوا تحريفها من الداخل عن طريق اليهودي شاؤول (بولس) الذي أدخل فيها ما أدخل وحرّف فيها ما حرّف حتى غيرّها عن حقيقتها:



قال الإمام الكاظم عليه السلام في ذلك: «... وبولس الذي نصر النصارى...»^(١).

وقال الامام الصادق عليه السلام عنه: «... بولس الذي علم اليهود ان يد الله مغلولة...»^(٢).

وقال التاريخ: تواصلت مطاردة الرومان واليهود لوصيّه شمعون الصفا وبقية الحواريين والمؤمنين واضطهدوهم، حتّى جاء بولس بعد ثلاثين سنة وأدّعى أن عيسى عليه السلام ظهر له من السماء في حوران، فكثرت أتباعه ثم تبنت الدولة الرومانية مسيحية بولس وواصلت اضطهادها للحواريين وأتباعهم، حتّى انقرضوا^(٣).

وقال البغوي: وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال لليهود: إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا به والنار مصيرنا، فإني أحتال وأضلّهم حتّى يدخلوا النار... وأظهر الندامة ووضع على رأسه التراب فقال له النصارى: من أنت؟ قال: بولس عدوكم، فنوديت من السماء: ليست لك توبة إلا أن تنصّر، وقد تبت.

فأدخلوه الكنيسة ودخل بيتاً سنة لا يخرج منه ليلاً ولا نهاراً حتّى تعلّم الإنجيل ثم خرج وقال: نوديت أن الله قبل توبتك، فصدّقوه وأحبّوه، ثم مضى إلى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطورا وعلمه أن عيسى ومريم والإله كانوا ثلاثة، ثم توجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال: لم يكن عيسى بإنس ولا بجسم ولكنه ابن الله...^(٤).

١. ثواب الأعمال للصدوق: ٣٩٩.

٢. كامل الزيارات - جعفر بن محمد بن قولويه: ٥٤١.

٣. كتاب سليم بن قيس - تحقيق محمد باقر الأنصاري: ٨.

٤. تفسير البغوي ٢: ٢٨٤ - ٢٨٥؛ وتفسير الألويسي ١٠: ٨٢.



وهذا الخبث والمكر الذي مارسه اليهود عبر التاريخ ومع المسيحيين تقودهم فيه مؤسسة طاغية من رجال يتلبسون بلباس الدين، ويستأكلون الناس به، ويحكمونهم، ويكتمون ما أنزل الله من الحق ويحرفون الكلم عن مواضعه، قال الله تعالى عنهم:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٤٦).

﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْسِتِّهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ٤٦).

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٤١).

ومع الإسلام بدأت مكائدهم من قبل ولادة النبي ﷺ لأنهم كانوا يعلمون بولادة نبي آخر الزمان من خلال تراث أنبيائهم السابقين ومن بشارة عيسى عليه السلام به كما قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (الصف: ٦).



فبعثوا وفداً منهم إلى الحجاز ومكة يتربصون ولادة النبي ﷺ ويراقبون النجوم لتشخيص وقتها كما ورد عندهم من علامات للولادة المباركة، وقد علم بذلك عمّه أبو طالب في طريق تجارته إلى الشام من الراهب بحيرى حيث رأى الراهب الغيمة تظلمه ﷺ، فأخبر عمّه بأمر اليهود وتربصهم به ليقتلوه، ونصحه بالعودة به إلى مكة ليكون في مأمن منهم ومن غدرهم^(١). وبعد البعثة النبوية المباركة ونزول القرآن الكريم كان لهم الدور الخبيث المخرب بالتعاون مع المشركين والمنافقين في مكة والمدينة، وحتى بعد وفاة النبي ﷺ سعوا - كما فعلوا مع النصرانية - لأجل حرف الإسلام والمسلمين عن طريق الحق بواسطة رهبان منهم كوهب بن منبّه وكعب الأبحار وابن جريج وعبد الله بن سلام فقد ادّعوا الدخول في الإسلام وتظاهروا به وقاموا بث أخبار وروايات لتحريف الدين الاسلامي سُميت بالاسرائيليات، ولولا وجود النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام من بعده لنجحوا في مؤامرتهم ولم يبق للإسلام الحق من وجود.

الإفسادان:

إن الآيات الكريمة في بداية البحث تذكر إفسادين كبيرين لليهود قادمين في مستقبل الأيام بعد الإخبار، مع توعد الله ﷻ لهم بالإفشال والعقوبة الإلهية لهم فيها، قال الله تعالى:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي أعلمناهم وأخبرناهم بما

١. البداية والنهاية لابن كثير ٢، فصل في خروجه عليه السلام مع عمّه أبي طالب إلى الشام.



سيحصل - كما ذكر بعض المفسرين^(١) - ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ وهو القرآن الكريم - أو التوراة كما ذكر البعض^(٢) - أنكم ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ وهذا سيكون زمنياً بعد نزول سورة الإسراء في مكة إذا كان الإخبار ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ يراد منه القرآن الكريم - كما هو الأقرب -، أمّا إذا كان المراد من ﴿الْكِتَابِ﴾ التوراة فيصدق أيضاً كإخبارٍ متقدّم منذ زمن موسى عليه السلام والمراد به زمن النبي محمد ﷺ بقريظة المعاقبين الذين ذكرهم الله ﷻ في الآيات الكريمة كما سيأتي ذلك في تفسير القمي.

لقد ذكر المفسرون آراءً عديدة في تفسير الإفسادين لبني إسرائيل والعقوبتين فيهما والمعاقبين، وفي ما ذكروا اختلاف وتضارب وإشكالات، ومن أشهر ما أوردوا^(٣) السبي الذي تعرّض له بنو إسرائيل على يد الملك نبوخذ نصر^(٤). وتوقّف بعضهم في تطبيق وصف الله تعالى عليه وعلى جنده بقوله ﷻ: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ وهو ليس من المؤمنين، وحاول الإجابة عن ذلك^(٥) بانه مجازاة وتسليط للكفار على أمثالهم، كما وذكر بعضهم أن الإفسادين يتعلقان ببيت المقدس والمسجد الأقصى^(٦).

١. التبيان - الشيخ الطوسي ٦: ٤٤٨.

٢. تفسير جوامع الجامع - الشيخ الطبرسي ٢: ٣٦٠؛ والكشاف للزمخشري ٢: ٤٣٨.

٣. التبيان - الشيخ الطوسي ٦: ٤٤٨.

٤. نبوخذ نصر كان أعظم ملوك الكلدانيين، وملك في بابل من سنة ٦٠٤ إلى سنة ٥٦١ ق م، وقد وصف بالقوة والبأس، وعدّ من أبطال التاريخ في الشرق، وجاء ذكره في التوراة كثيراً لأنه عاقب الأمم الغربية عقاباً شديداً، وهاجم اليهود - سكان مملكة يهوذا الصغيرة - هجوماً صاعقاً بعد أن أجلى أكثرهم إلى بابل ودمّر عاصمتهم أورشليم تدميراً شديداً. [التوحيد - المفضل بن عمر الجعفي، هامش ص ١١٥].

٥. تفسير الميزان - السيد الطباطبائي ١٣: ٣٩.

٦. تفسير الميزان - السيد الطباطبائي ١٣: ٤١.

وقد ورد في تفسير القمّي تفسيرٌ تطبيقيٌّ عامٌّ لآيات البحث، إلا أن في جزءٍ من هذا التفسير ما يشير إلى أن العقوبة الأولى كانت على يد النبي ﷺ وأصحابه وعلي ﷺ، والعقوبة الثانية على يد القائم ﷺ وأصحابه.

قال علي بن إبراهيم القمّي في مقطع من تفسيره للآيات: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ يعني القائم وأصحابه ﴿لَيْسُوْا وَأُجُوْهُكُمْ﴾ يعني يسودون وجوههم ﴿وَلْيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني رسول الله ﷺ وأصحابه وأمير المؤمنين عليّ ﷺ ﴿وَلْيَسْبُرُوا﴾ أي يهلكوا علوّهم وطغيانهم^(١).

وقبل مناقشة ذلك نشير إلى أهميّة تفسير علي بن إبراهيم القمّي فيما أورد من روايات تفسيرية، وكذلك فيما ذكر من مقاطع تفسيرية للآيات تنطق عموماً عن الروايات - وإن كنا لم نعتد ما أوردته في تفسير هذه الآيات كاملاً، بل اكتفينا بما نعتقده دقيقاً في تفسيرها - حيث قيل فيه وفي تفسيره:

- ١ - إن هذا التفسير أصل أصولٍ للتفاسير الكثيرة.
- ٢ - إن رواياته مروية عن الصادقين عليهما السلام مع قلة الوسائط والإسناد....
- ٣ - مؤلفه كان في زمن الإمام العسكري عليّ ﷺ.
- ٤ - أبوه الذي روى هذه الأخبار لابنه كان صحابياً للإمام الرضا عليّ ﷺ.
- ٥ - إن فيه علماً جماً من فضائل أهل البيت عليهم السلام التي سعى أعداؤهم لإخراجها من القرآن الكريم.
- ٦ - إنه متكفّل لبيان كثير من الآيات القرآنية التي لم يفهم مرادها تماماً إلا بمعونة إرشاد أهل البيت عليهم السلام التاليين للقرآن^(٢).

وقال السيد الخوئي قدس سره عن المؤلف في معجم رجاله: علي بن إبراهيم بن

١. تفسير علي بن إبراهيم ٢: ١١٤.

٢. تفسير القمّي ١: مقدمة المصحح ١٥.

هاشم: قال النجاشي: (علي بن إبراهيم بن هاشم أبو الحسن القمي، ثقة في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر وصنّف كتباً، وأضّر في وسط عمره. وله كتاب التفسير...) (١).

المناقشة:

إن الإفسادين المذكورين هما من علم الغيب الذي قضاه الله ﷻ إعلاماً لبني إسرائيل في الكتاب، وهو التوراة - كما قيل - أو القرآن الكريم وهو الأظهر، وأخبرهم بسابق علمه بما سيفعلونه من إفسادين في الأرض كبيرين، وبما أعدّ لهم من عقابين كبيرين أيضاً.

ومع ملاحظة عموم الفساد والإفساد في تاريخ بني إسرائيل يكون هذان الإفسادان كبيرين وليسا من الذنوب والمعاصي الفردية والجماعية العامة الشائعة في حياتهم، ويكون أثرهما التخريبي في أعلى درجات الضرر الشامل، كأن يكون محاربة لرسول الله في بعثته أو وصي لرسول، ومنعاً للهداية العامة للناس، وصدّاً كبيراً عن سبيل الله تعالى، فما هذان الإفسادان؟

الإفساد الأول:

إن لمعرفة هذا الإفساد لبني إسرائيل المذكور في الآية الكريمة والعقوبة الموعودة، علينا تشخيص تاريخه وطبيعته وملاحظة ما حملته الآية الكريمة من إشارات وأوصافٍ للمعاقبين لهم، فنقول:

أولاً: أن هذا الوصف للإفساد الأول وعقوبته لا يمكن أن ينطبق في تاريخ اليهود على محاربتهم لنبي الله زكريا أو يحيى أو عيسى ﷺ - إن كان المراد بالكتاب التوراة - وذلك لعدم تحقق العقوبة الموعودة على الإفساد الأول المذكورة في قوله تعالى:

١. معجم رجال الحديث ١٢: ٢١٢.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾.

فبعد محاربتهم لزكريا ويحيى عليهما السلام، وأيضاً لعيسى عليه السلام ومحاکمته وصلبه بزعمهم استمرّوا في حياتهم وشأنهم من دون عقوبة كبرى يُجاس فيها خلال ديارهم، ممّا يجعل ذلك بعيداً عن تأويل وتطبيق الآية الكريمة.

ثانياً: ينطبق الوصف المذكور للإفساد الأول وبوضوح على تصدّي اليهود لبعثة رسول الله ﷺ ودولته في المدينة المنورة - فضلاً عن ترصدهم لولادته ومحاوله قتله في أول حياته لما كانوا يعرفون من علامات زمانه ووقت ولادته - فإن الآيات الكريهات مورد البحث هن من سورة الإسراء المكّية فيكون الإفسادان في الزمن اللاحق ما بعد نزولها.

إن الإفساد الأول كان تحالفهم مع المشركين والمنافقين في المدينة المنورة للقضاء على الرسالة الإسلامية بالأكاذيب والتكذيب والتصدّي العقائدي والنفسي. وكان أخطرها الخيانة العسكرية عندما تعاونوا مع المشركين في معركة الأحزاب الكبيرة متآمرين ومخالفين في ذلك العهود والمواثيق التي قطعوها مع النبي ﷺ في الدفاع المشترك عن المدينة وأهلها.

وقد قام رسول الله ﷺ والإمام علي عليه السلام والأصحاب بالقضاء على فتنهم وطردهم من المدينة بعد غدرهم الفاضح ذاك ونقضهم المعاهدة بتحالفهم مع المشركين ومساندتهم لهم في معركة الخندق الكبيرة.

ثالثاً: أن من القرائن على صحّة ما ذكرناه من تشخيص للإفساد الأول وعقوبته وأن المبعوثين لمعاقبة بني إسرائيل حينها هم رسول الله ﷺ والإمام علي عليه السلام والأصحاب قوله تعالى في العقوبة: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾ حيث إن البعث - بمعنى من يرسله الله تعالى من العباد لأمرٍ - ورد في القرآن الكريم في الأعم

الأغلب في ما يكون فيه المبعوث نبياً أو وصياً، كقوله تعالى:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (يونس: ٧٤).

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا﴾ (يونس: ٧٥).

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ (النحل: ٣٦).

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ٥١).

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ (البقرة: ٢١٣).

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (آل عمران: ١٦٤).

رابعاً: ويؤيد التفسير المذكور أيضاً في أن المبعوثين لعقوبة بني إسرائيل في

الإفسادين هم نبي أو وصي، قوله تعالى في آية البحث: ﴿عِبَادَ لَنَا﴾.

فكثيراً ما ورد الوصف لأنبياء الله ﷺ وأوصيائهم بنسبتهم ونسبة عبوديتهم

لله ﷻ كقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾

(الأنبياء: ١٠٥).

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ

قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: ٦٣).

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصفات: ١٧١).

﴿وَأذْكَرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (ص: ٤٥).

وبالتالي يكون الأقرب في التطبيق والتأويل في قوله تعالى في وصف المعاقبين:

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ أنهم بإمرة نبي أو وصي وتحت راية حق، وهم هنا

النبي ﷺ وأصحابه وعلي ﷺ.

خامساً: ويؤيد أيضاً أن المعاقبين هم النبي ﷺ والإمام علي ﷺ والأصحاب،

وصف العقوبة والهجوم على المفسدين من بني إسرائيل في الإفساد الأول الكبير

بقوله تعالى:

﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ أي هجموا على ديارهم، وفتشوا عن مقاتليهم، ولم يتركوا منهم أحداً، وهذا ينطبق على ما حدث من هجوم رسول الله ﷺ وأصحابه - وعلى رأسهم علي بن أبي طالب ؑ - في بني قريظة وبني قينقاع وبني النضير وخيبر وذلك بعد نكثهم العهد مع رسول الله ﷺ في معركة الأحزاب.

الإفساد الثاني:

ذكر القرآن الكريم الإفساد الثاني وعقوبته المنتظرة بعد وصف استعادة قوة بني إسرائيل وكرّتهم على العباد الذين عاقبهم في الإفساد الأول بما يعني استمرار وجود اليهود بعد العقوبة الأولى وأيضاً استمرار المعاقبين في الإفساد الأول في وجودهم وصفاتهم ودينهم وقيادتهم الربانية المتمثلة بالنبي ﷺ والإمام علي ؑ وامتدادهما وهم الأئمة الاثني عشر ؑ الممثلين لهما كمعاقبين في الإفساد الثاني.

إن هذه الكثرة لبني إسرائيل في قبائل نفس المعاقبين وامتدادهما ستكون بكثرة المال والأولاد والأنصار لهم من غيرهم من الشعوب الذين يحشدونهم في نفيهم وإفسادهم كما قال الله تعالى:

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾.

فعلى التطبيق المذكور للإفساد الأول والمعاقبين عليه تكون كرتهم في قبائل نفس المسلمين المعاقبين لهم حينها مع كثرة عددهم نسبة إلى عددهم عند الإفساد الأول، وأيضاً مع كثرة أموالهم وكثرة من يناصرهم من المسيحيين والدول الغربية حشداً ونفيراً وإعلاماً في قبائل المسلمين، وهو الحادث فعلياً



بقضية فلسطين وما يرافقها من إفساد وحرب مختلفة الأوجه وبلا هوادة يشنّها اليهود على بقية الشعوب والدول الإسلامية، قال الله تعالى في الإفساد الثاني:

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾.

وهنا يأتي الحديث عن موعد الإفساد الثاني وعقوبته، وعن المعاقبين والمنفذين لأمر الله ﷻ في ذلك، ووصف العقوبة وشدتها، وذكر علامة فعلية تدخل في سياق تلك الأحداث وهي دخول المسجد، فنقول:

أولاً: وصف القرآن الكريم مجيء الوعد الثاني للعقوبة - المرتبط بالإفساد الثاني المُشار إليه بإشارة واختصارٍ بلاغيٍّ رائع - ذاكراً حالهم عند العقوبة المسماة بوعد الآخرة بقوله تعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾.

إنه الوعد الثاني بالقضاء على إفسادهم الثاني الكبير في الأرض، وهو الأخير في شأنهم وشرهم بما يشير إلى شدة العقوبة الموعودة أخيراً وحسمها لأمرهم بما يسوء وجوههم ويفضحهم وبما يحل بهم من دمار وعقوبة شاملة في قبال قوتهم ونفيرهم.

ثانياً: أشارت الآية الكريمة إلى المعاقبين لليهود في الإفساد الثاني بواو الجماعة في قوله تعالى: ﴿لِيَسُوءُوا﴾ وهو ضمير عائد على قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾.

أي سيسوء أولئك العباد لله المبعوثون لعقوبة بني إسرائيل في الإفساد الأول



وجوهم في العقوبة الثانية على الإفساد الثاني بقتلهم وإخافتهم ووضع نهاية لأمرهم وفسادهم وطغيانهم مع فضيحة وسقوط أمام العالم والتاريخ ﴿لَيْسُوا وَوَا وَجُوهَكُمْ... وَلَيْتَبَرُوا مَا عَلُوا تَبِيرًا﴾ أي ليهلكوهم بعلوهم واستكبارهم في الأرض ويدمروا طغيانهم تدميراً شاملاً.

ومع وجود الفاصلة الزمنية بين الفسادين الأول والثاني لليهود ذكر القرآن الكريم اتحاد المعاقبين والعباد لله ﷻ في العقوبتين، وهذا يبطل كل تفسير لا يُثبت الاتحاد في الصفات والشأن بين المعاقبين، وهم هنا المسلمون بأئمتهم ﷺ وقيادتهم الربانية.

وهذا يؤكد ما ذكره القمي في تفسيره بأن المعاقبين لبني إسرائيل في إفسادهم الثاني هم القائم المهدي ﷺ وأصحابه، فهو عبدٌ لله ووصيُّ للنبي ﷺ ومعصومٌ وذو بأسٍ شديد في ذات الله جلّ وعلا وعمله امتدادٌ لعمل النبي ﷺ ومن معه والإمام علي عليه السلام المعاقبون لبني إسرائيل في إفسادهم الأول.

وفي عقوبة الإمام المهدي ﷺ لليهود في إفسادهم الثاني سيقضي على شرهم كاملاً، وستبدأ دولة العدل والحق الإلهية على الأرض كلها، وينزل المسيح عليه السلام من السماء لمساعدة الإمام في هداية المسيحيين وما تبقى من اليهود غير المحاربين. ثالثاً: يؤكد أن المراد من المعاقبين في الإفساد الثاني هو الامتداد لنفس المعاقبين في الإفساد الأول والمتحدين معهم في الوصف والشأن قوله تعالى في وعد الآخرة:

﴿وَلْيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

فمن ذكر أن المسجد في الآية الكريمة هو المسجد الأقصى لا يستطيع الإجابة باطمئنان عن الدخولين لهذا المسجد من قبل نفس العباد المعاقبين لبني إسرائيل في الإفسادين.



في حين ذكر تفسير القمّي أن الدخول الأول للمسجد هو من قبل رسول الله ﷺ وأصحابه وعلي عليه السلام، وهو دخول مكة وفتحها المؤذن ببداية نصرٍ على الأعداء - بما فيهم اليهود المفسدون في الافساد الأول - وانتشار للإسلام في الجزيرة العربية مقدّمة للانتشار في العالم.

وكذلك سيكون دخول الإمام المهدي عليه السلام وأصحابه إلى المسجد الحرام عند بداية الظهور المبارك له مقدمة حاسمة للقضاء على أعداء الدين وعلي رأسهم اليهود، وبما سيتبعه من إعادة الدين والحق والعدل في المنطقة الإسلامية والعالم، كالدخول الأول، لأن الإمام وأصحابه المعاقبين لبني إسرائيل في إفسادهم الثاني هم من رسول الله ﷺ والإمام علي عليه السلام وأصحابه المعاقبين لليهود في إفسادهم الأول.

وهكذا تكون الآيات الكريمة المحذّرة لليهود في زمان رسول الله ﷺ والكاشفة لهم وللمسلمين وقوع الإفساد الكبير منهم مرّتين، وأن الله أخبرهم بذلك في التوراة أو في القرآن الكريم في مكة المكرمة، كاشفاً سير الأحداث ومبيناً ما سيحلّ بهم أيام رسول الله ﷺ وعلي يديه وبإيدي الإمام علي عليه السلام والأصحاب، وما سيحلّ بهم أيام ولده ووصيّهِ الإمام الثاني عشر عليه السلام في آخر الزمان عند إفسادهم الثاني المبني على كثرتهم النسبيّة وسيطرتهم على المال والاقتصاد العالمي وأيضاً حصولهم على الدعم الغربي الواسع في قبال المسلمين. أمّا قوله تعالى في آخر آيات البحث:

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمۥ وَإِنْ عُدتُمۥ عُدتَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾.

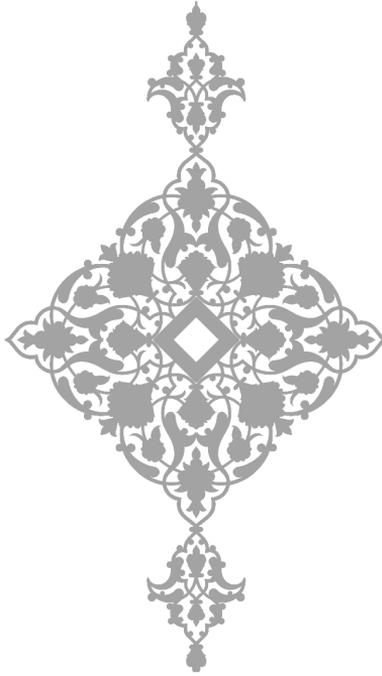
فالظاهر أنه يشير إلى مرحلة ما بعد العقوبة الربّانية على الإفساد الثاني لبني إسرائيل على يد الإمام المنتظر عليه السلام وأصحابه، حيث سينجو ويبقى المسلمون

منهم، ويقوم الإمام عليه السلام بهدایتهم ومحاججتهم بالتوراة الصحيحة، ويساعد الإمام عليه السلام في هدايتهم وهداية المسيحيين نبي الله عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء إلى الأرض لهدايتهم، فيكون لهم قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بهدايتكم.

ثم يتوعدهم الله عز وجل بعقوبة أخرى إن قاموا بإفسادٍ آخر بعد الإفساد الثاني بقوله تعالى:

﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾.

والحمد لله رب العالمين





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

الشواهد القرآنية في التوقيعات المهدوية

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

مقدمة:

لا يختلف اثنان من المسلمين في مرجعية القرآن الكريم العلمية والدينية، وفي كونه الدليل القاطع عند الخلاف، وفي أنه المرجع لتمييز الحجة عن غير الحجة من الأخبار، بل وفي تقديم حجة على أخرى فيما لو تعارضتا وكانت إحداها موافقة له دون الأخرى، على تفصيل مذكور في محله في علم أصول الفقه. ولقد حظي القرآن الكريم بالاهتمام البالغ حفظاً وقراءةً وبحثاً ومتابعة لمفاهيمه وتأسيساً على قوانينه وتفريعاً على قواعده، الأمر الذي أدى إلى تأسيس علوم القرآن المختلفة، والتي تستقي معارفها من آياته الكريمة. الاستشهاد بآياته الكريمة، كأثلة لقواعد، أو شواهد صدق، أو مؤيدات فكرة، هو الآخر كان له حضور واضح في مختلف العلوم، فضلاً عن العلوم الدينية - كالفقه وأصوله، والكلام والتفسير وغيرها - فإن العلوم الأخرى أيضاً أخذت تغترف من بحره اللجّي، خصوصاً علوم اللغة العربية - نحواً و صرفاً وبلاغةً وبياناً -.





هذا، وأن المسلم إذا أراد أن يبين مطلباً دينياً، فإن من أهم ما يستند إليه لتقوية فكرته، وللإستدلال على دعواه، هي الآيات القرآنية الكريمة، خصوصاً وأن القرآن الكريم قطعي الصدور في جميع آياته، فلا يبقى على الباحث إلا أن يجد من الآيات ما يدل على مطلوبه - بالظهور أو النص والصراحة - ليستدل على ما يريد إثباته.

من هنا، كان من أهم مقومات البحوث الدينية والإنسانية عموماً هو استنادها إلى آيات القرآن الكريم، بشرط الدقة في اختيار الآيات الكريمة والبيان المقنع والجلي في مورد الاستشهاد أو الاستدلال بالآية.

إن الاستدلال بآية قرآنية على مطلب، هو ما يحتاج إليه أي باحث في العلوم الدينية، وهذا لا يمنع من وجود أدلة أخرى من غير القرآن الكريم، لكنه لو وجد دليلاً قرآنياً، فإنه سيكون صاحب حجة قوية بلا شك. كل ما تقدم صحيح.

ونلفت النظر إلى أن هذه القيمة المعرفية الضخمة للقرآن، كانت باعتبار أنه معصوم، بمعنى أن ما جاء فيه هو مطابق للواقع تماماً، ولا يتحمل فيه غير ذلك، وهو ما صرح به القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَأِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (فصلت: ٤١-٤٢).

ولا غرابة، حيث إنه كلام الرب الجليل لفظاً ومعنى.

فقوة حجته إذن جاءت على خلفية كونه معصوماً، لأنه صادر عن الباري جل وعلا.

وهذه النكته العلمية سيّالة، بمعنى أنها غير خاصة بالقرآن الكريم، بل هي تشمل كلام أي معصوم - إن ثبتت عصمته طبعاً - فإدام الشخص معصوماً فكلامه يمثل الواقع نفسه، فلا يقبل الخطأ، ويكون هو والبديهي سواء.



من هنا، كانت ألفاظ النبي الأكرم ﷺ حجة مطلقاً، بل وأفعاله وتقريراته، لأنه كان معصوماً، ولذلك تأسست على هذه العصمة ضرورة الأخذ بجميع ما يأتي به ﷺ وطاعته المطلقة وعدم جواز الالتواء ولا الاعتراض عليه بحال.

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر: ٧).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦).

وعلى نفس المنوال يلزم التعامل مع ما ثبت صدوره عن الأئمة عليهم السلام إذ ثبت بالدليل القطعي أنهم معصومون، فيثبت أن ما يصدر عنهم - من قول أو فعل أو تقرير - يمثل عين الواقع، ولا نحتاج إلى دليل آخر غير محض قولهم. ورغم ذلك، نجد أن الأئمة عليهم السلام عادة ما يستشهدون بالآيات القرآنية على ما يأتون به، فمثلاً روي عن أبي الجارود قال: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِذَا حَدَّثْتَكُمْ بِشَيْءٍ فَاسْأَلُونِي مِنْ كِتَابِ اللَّهِ»، ثُمَّ قَالَ فِي بَعْضِ حَدِيثِهِ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْقَيْلِ وَالْقَالِ وَفَسَادِ الْمَالِ وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ». فَقِيلَ لَهُ: يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ، أَيَنْ هَذَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، وَقَالَ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥]، وَقَالَ: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَلْ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]»^(١).

١. الكافي للكليني: ج ١، ص ٦٠، باب الرد إلى الكتاب والسنة وأنه ليس شيء من الحلال والحرام وجميع ما يحتاج الناس إليه إلا وقد جاء فيه كتاب أو سنة، ح ٥.

وَعَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى مَوْلَى آلِ سَامٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: عَثَرْتُ فَانْقَطَعَ ظُنْفَرِي فَجَعَلْتُ عَلَى إِصْبَعِي مَرَارَةً، فَكَيْفَ أَصْنَعُ بِالْوُضُوءِ؟ قَالَ: «يُعْرَفُ هَذَا وَأَشْبَاهُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تعالى: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، امْسَحْ عَلَيْهِ»^(١).

من هنا، قد يرد في الذهن تساؤل عن حاجة المعصوم عليه السلام للاستدلال أو الاستشهاد على كلامه ببعض الآيات القرآنية، رغم أن عصمته كافية لإثبات قوله وأنه هو الواقع.

إن تبرير الاستشهاد بالآيات القرآنية من قِبَل المعصوم عليه السلام، لعله للتالي:

١ - ليس هناك تنافٍ بين كون قول المعصوم عليه السلام يمثل الواقع، وبين الاستشهاد عليه بآية قرآنية، فلا مانع من الجمع. بمعنى أنه قد يكون استشهادهم عليهم السلام بالآيات القرآنية هو لبيان أن المنبع الذي يستقون علمهم منه والمنبع الذي يرجع إليه القرآن هو منبع واحد، وهو منبع الوحي، الذي يكشف الواقع، ولا يبقى معه أي عذر للمخالفة.

٢ - منهجياً: فإن تراكم الأدلة وتنوعها ينفع في زيادة اليقين والوصول به إلى حالة الاطمئنان، بحيث تركز النفس إلى مؤداه أكثر مما لو تم الاستدلال عليه بدليل واحد.

٣ - إن الاستشهاد بالآيات ينفع في إثبات دعوى المعصوم لدى من لا يؤمن بعصمته من أبناء المذاهب الأخرى، والمعصوم هو في مقام إثبات الواقع لجميع من يطلبه، لا لخصوص شيعته والمؤمنين بعصمته.

١. الكافي للكليني: ج ٣، ص ٣٣، باب الجبائير والقروح والجرّاحات، ح ٤.



٤ - ولعل الاستشهاد بالآيات يأتي في سياق تعليم الشيعة المنهجية العلمية الرصينة لاستنباط الأحكام الشرعية والمعارف الدينية من القرآن الكريم، كما رأينا هذا واضحاً في رواية أبي الجارود ورواية عبد الأعلى المتقدمتين.

٥ - في بعض الأحيان، يحتاج العالم إلى إبراز زوايا مختلفة من علمه ليثبت للطرف الآخر سعته المعرفية وقدرته على الوصول إلى مطلوبه عبر عدة مناهج معرفية، الأمر الذي يقطع الأعذار على الآخر لو أراد أن يخالف العالم في ما انتهى إليه.

ولعل المعصوم عليه السلام يستشهد أحياناً كثيرة بالآيات القرآنية من هذا الباب، خصوصاً أمام منكري إمامتهم وعصمتهم.

٦ - فضلاً عن أن تراتبية الحجج - وكون القرآن الكريم هو المنبع الأول لها ثم سنة النبي صلى الله عليه وآله - تقتضي ذكر الدليل القرآني أو الاستشهاد به ولو كان المتحدث معصوماً، ولا يُقلّل هذا من شأن المعصوم، بل على العكس، هو يقوّي من مكانته العلمية والروحية في النفوس، كونه يتحدث وفق المنهج الإسلامي في ما يتعلق بتراتبية الحجج.

لهذه الأسباب وغيرها، نجد المعصومين عليهم السلام يؤيدون أقوالهم بآيات من القرآن الكريم.

وفي نفس السياق، وجدنا أن الإمام المهدي عليه السلام يستشهد ببعض الآيات القرآنية الكريمة عند الاستدلال على كونه هو الإمام الثاني عشر من الأئمة الذين نصّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله، أو لتكذيب من يدّعي الإمامة بعده، أو لتأييد بيانه لحكم شرعي، وأمثال هذه الجهات.

في هذا البحث محاولة لتسليط الضوء على الآيات القرآنية التي تم الاستشهاد بها منه عليه السلام في توقيعاته ومكاتباته، وقد وجدنا (تسع) آيات كريمة



جاءت للاستدلال بها أو الاستشهاد بها على مطلب عقائدي أو فقهي أو سلوكي، وسيتم بيان المعنى العام للآية أولاً، ثم بيان محل الاستشهاد بها من التوقيع الشريف.

الآية الأولى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء ٥٩]:

هناك موردان للاستشهاد بهذه الآية، وهما:

المورد الأول: التوقيع الذي خرج فيمن ارتاب فيه ﷺ عن الشيخ الموثق أبي عمر العامري رحمته الله (١):

نص التوقيع الشريف:

عَنْ الشَّيْخِ الْمُوثِقِ أَبِي عُمَرَ الْعَامِرِيِّ (٢) رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ: تَشَاجَرُ ابْنُ أَبِي غَانِمِ الْقَزْوِينِيُّ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الشَّيْعَةِ فِي الْخَلْفِ فَذَكَرَ ابْنُ أَبِي غَانِمٍ أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَضَى وَلَا خَلْفَ لَهُ، ثُمَّ إِنَّهُمْ كَتَبُوا فِي ذَلِكَ كِتَابًا وَأَنْفَذُوهُ إِلَى النَّاحِيَةِ، وَأَعْلَمُوا بِمَا تَشَاجَرُوا فِيهِ فَوَرَدَ جَوَابُ كِتَابِهِمْ بِخَطِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْفِتَنِ، وَوَهَبَ لَنَا وَلَكُمْ رُوحَ الْيَقِينِ، وَأَجَارَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ سُوءِ الْمُنْقَلَبِ، إِنَّهُ أُنْهِىَ إِلَيَّ ارْتِيَابَ جَمَاعَةٍ مِنْكُمْ فِي الدِّينِ، وَمَا دَخَلَهُمْ مِنَ الشُّكِّ وَالْحَيْرَةِ فِي وُلَاةِ أَمْرِهِمْ، فَغَمَّنَا ذَلِكَ لَكُمْ لَا لَنَا وَسَأُونَا (٣) فِيكُمْ لَا فِينَا، لِأَنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَلَا فَاقَةَ بِنَا إِلَى غَيْرِهِ، وَالْحَقُّ مَعَنَا فَلَنْ يُوحِشَنَا مَنْ قَعَدَ عَنَّا، وَنَحْنُ صَنَائِعُ رَبَّنَا، وَالْخَلْقُ بَعْدَ صَنَائِعِنَا.

١. بحار الأنوار: ص ١٧٨، ج ٥٣، باب ٣١ - ما خرج من توقيعاته ﷺ...؛ الاحتجاج: ص ٤٦٦، ج ٢، احتجاج الحجة القائم المنتظر المهدي.

٢. في المصدر: (عن الشيخ الموثق أبي عمرو العامري).

٣. مصدر، بمعنى السوء على القلب المكاني، يقال: سأوت فلاناً: أي سؤته.



يَا هَؤُلَاءِ مَا لَكُمْ فِي الرَّيْبِ تَتَرَدَّدُونَ وَفِي الْحَيْرَةِ تَتَعَكِّسُونَ^(١) أَوْ مَا سَمِعْتُمْ
 اللَّهُ ﷻ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ
 مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]؟ أَوْ مَا عَلِمْتُمْ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَثَارُ مِمَّا يَكُونُ وَيَحْدُثُ
 فِي أُمَّتِكُمْ عَلَى الْمَاضِينَ وَالْبَاقِينَ مِنْهُمْ ﷺ؟ أَوْ مَا رَأَيْتُمْ كَيْفَ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ
 مَعَاقِلَ تَأْوُونَ إِلَيْهَا، وَأَعْلَامًا تَهْتَدُونَ بِهَا مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ ظَهَرَ الْمَاضِي ﷺ
 كُلَّمَا غَابَ عِلْمٌ بَدَأَ عِلْمٌ، وَإِذَا أَفَلَ نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ...»^(٢).

١ - المعنى العام للآية:

أ - الآية تُخاطب المؤمنين بأنه يجب عليهم أن يُطيعوا الله تعالى، ويجب عليهم
 أن يُطيعوا الرسول ﷺ وأولي الأمر أيضاً، فإن كلمة (أَطِيعُوا) فعل الامر،
 والامر ظاهر في الوجوب.

ب - الآية فيها دلالة على عصمة من تجب طاعتهم، إذ الامر بالطاعة كان
 مطلقاً فيها، ولم يُقيد بقيد، والإطلاق يعني لزوم الطاعة في كل شيء، ولا وجه
 لهذا الاتباع المطلق إلا مع افتراض العصمة، وإلا لزم تغيير العبد بالمعصية فيما
 لو أطاع غير المعصوم وصادف أنه أمر بغير ما يريد الله تعالى.

ج - أولوا الأمر في الآية هم أهل البيت ﷺ، للروايات العديدة، ومنها ما
 روي عن جابر بن يزيد الجعفي أنه قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري
 يقول: لما أنزل الله ﷻ على نبيّه محمد ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] قلت: يا رسول الله عرفنا
 الله ورسوله، فمن أولوا الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال ﷺ: «هم

١. كذا في الأصل المطبوع وهكذا المصدر، والظاهر: (تتكسون)، يقال: انتكس: أي وقع على رأسه وانقلب
 على رأسه حتّى جعل أسفله أعلاه، ومقدمه مؤخره.

٢. الغيبة للطوسي: ٢٨٥ / رقم ٢٤٥.



خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين [من] بعدي؛ أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سمّي وكنّي حجة الله في أرضه، وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها...»^(١).

٢ - وجه الاستشهاد بالآية في التوقيع:

الآية جاءت في معرض الجواب عن من ارتاب في الخلف بعد الإمام العسكري عليه السلام، إذ ورد في صدر التوقيع: عن الشيخ الموثق أبي عمر العامري رحمته الله قال: (تساجر ابن أبي غانم القزويني وجماعة من الشيعة في الخلف فذكر ابن أبي غانم أن أبا محمد عليه السلام مضى ولا خلف له ثم إنهم كتبوا في ذلك كتابا وأنفذوه إلى الناحية وأعلموا بما تساجروا فيه).

وفي مقام دفع هذا التشكيك، وأنه يجب على المؤمنين أن يكونوا على يقين من أمرهم، استهل الإمام المهدي عليه السلام توقيعه بعبارة لهم بأنهم ابتعدوا عن اليقين وترددوا في الشك والريب، فقال: «إنه أنهي إليّ ارتياب جماعة منكم في الدين وما دخلهم من الشك والحيرة في ولاة أمرهم، فغمنا ذلك لكم لا لنا وسأونا فيكم لا فينا».

ثم بيّن أنه لا ينبغي الارتياب في إمامة أهل البيت عليهم السلام، لما كانوا عليه من مؤهلات افتقدها غيرهم، وأنهم مؤيدون من الله تعالى بتأييد خاص يجعلهم في

١. كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، ج ١، ص ٢٥٣ باب ٢٣ ح ٣.



غنى عما سواهم، فقال عليه السلام: «لأنَّ الله معنا فلا فاقة بنا إلى غيره والحقُّ معنا فلن يوحشنا من قعدنا ونحن صنائع ربِّنا والخلق بعد صنائعنا».

وبعد هذا، أخذ يُبين لهم أنه هو الخلف، وليُتقرب الفكرة لهم، ذكرهم بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

وهنا قد يُتساءل فيُقال:

إن أصل التوقيع كان ردًّا على من شكَّك في ولادته عليه السلام، وكان الجواب المناسب لهذا التشكيك هو إثبات الولادة، فما هي علاقة لزوم الطاعة بإثبات الولادة، بعد وضوح أن الطاعة متأخرة رتبة ووجوداً عن أصل الولادة؟

الجواب:

تتضح كيفية المناسبة بالتالي:

كأن الإمام عليه السلام يسألهم: مَنْ أولوا الأمر الذين يلزمكم أتباعهم؟ إنهم ليسوا إلا أهل البيت عليهم السلام، كما ثبت بالنصوص الأكيدة، ومنها الرواية المتقدمة. هذه مقدمة.

وهناك مقدمة ثانية حاصلها:

إن أهل البيت عليهم السلام الذين تلزم طاعتهم عددهم منحصر باثني عشر، وهذا ما أكّده النصوص لدى الفريقين.

أمَّا في رواياتنا فالأمر أبين من الشمس، فعن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دَخَلْتُ عَلَى فَاطِمَةَ عليها السلام وَبَيْنَ يَدَيْهَا لَوْحٌ فِيهِ أَسْمَاءُ الْأَوْصِيَاءِ مِنْ وُلْدِهَا، فَعَدَدْتُ اثْنَيْ عَشَرَ، أَخْرَجَهُمُ الْقَائِمُ عليه السلام: ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ مُحَمَّدٌ، وَثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ عَلِيٌّ ^(١).

١. الكافي للكليني: ج ١، ص ٥٣٢، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْإِثْنَيْ عَشَرَ وَالنَّصُّ عَلَيْهِمْ عليهم السلام، ح ٩.



وقد روي عن زُرَّارَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: نَحْنُ اثْنَا عَشَرَ
إِمَاماً مِنْهُمْ حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ ثُمَّ الْأَئِمَّةُ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ عليه السلام (١).

وأما في رواياتهم فالأمر كذلك لكل منصف لم يكابر ولم يجحد الحق بعد
انبلاجه، فقد روى البخاري في صحيحه عن جابر بن سمرة أن النبي صلى الله عليه وآله قال:
«يكون اثني عشر أميراً»، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي إنه قال: «كلهم من
قريش» (٢).

ونضم مقدمة ثالثة، وهي:

إنَّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام هو الإمام الحادي عشر، فحتى لا نقع في
مخالفة النص الثابت عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ولا في تكذيب ما ثبت عنه صلى الله عليه وآله،
فلا بد من الإيمان بوجود إمام ثانٍ عشر لهم، لتكتمل العدة.
ويتج: أنه لا بد أن يكون قد وُلد للإمام العسكري عليه السلام ولدٌ يكون هو
الإمام الثاني عشر وهو الحجة اليوم على الناس.
هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فإن أولئك الأئمة عليهم السلام من لدن رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى
الإمام العسكري عليه السلام كانوا قد بشرُوا بالإمام المهدي عليه السلام، وقد بينوا الكثير من
المسائل والقضايا والحيثيات المتعلقة بالمهدي عليه السلام بدءاً من ولادته والظروف
المحيطة به وغيبتيه وعلامات ظهوره إلى آخر تفاصيل القضية التي ملأت
بطون الكتب، والتي صارت هي المنبع للمعرفة المهدوية.

١. الكافي للكليني: ج ١، ص ٥٣٣، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْإِثْنَيْ عَشَرَ وَالنَّصُّ عَلَيْهِمْ عليهم السلام، ح ١٦.

٢. صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، حديث ١١٤٨؛ سنن الترمذي، ج ٤، ح ٢٢٢٣؛

مستدرک الحاکم، ج ٣، ص ٧١٥، ح ٦٥٨٦.



فهذه الآثار والروايات الواردة عنهم عليهم السلام تمثل تشريعات قد كُلف بها من يؤمن بطاعتهم، وبالتالي، حيث يلزم الأخذ بها، والإيمان بها، والسير على نهجها، وهي دلت على ضرورة ولادة المهدي عليه السلام فهذا يقتضي أن يكونوا مؤمنين بالمهدي ولا ينبغي أن يُخالج صدورهم شك في ذلك، وبالتالي، فما حصل لديهم من الشك في صاحب الأمر في غير محله، لأنه مخالف لوجوب الطاعة عليهم، والذي يستلزم الإيمان بكل ما جاء عنهم عليهم السلام، ومنه ضرورة ولادة المهدي عليه السلام.

فقال لهم الإمام عليه السلام: إنكم لن تجدوا مصداقاً للثاني عشر الذي تكتمل به تلك العدة في وقتكم الحالي غيري، وليس لكم مندوحة في ترك الإيمان بي بعد أن ثبت عن أئمتكم ضرورة ولادتي، فيلزمكم إذن التثبت وعدم الريب في هذا الأمر، فقال عليه السلام: «أَوْ مَا عَلِمْتُمْ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَثَارُ مِمَّا يَكُونُ وَيَحْدُثُ فِي أئِمَّتِكُمْ عَلَى الْمَاضِينَ وَالْبَاقِينَ مِنْهُمْ عليهم السلام؟ أَوْ مَا رَأَيْتُمْ كَيْفَ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَعَاقِلَ تَأْوُونَ إِلَيْهَا، وَأَعْلَامًا تَهْتَدُونَ بِهَا مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ ظَهَرَ الْمَاضِي عليه السلام كُلَّمَا غَابَ عِلْمٌ بَدَأَ عِلْمٌ، وَإِذَا أَقْلَ نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَلَمَّا قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ أَبْطَلَ دِينَهُ، وَقَطَعَ السَّبَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، كَلَامًا كَانَ ذَلِكَ وَلَا يَكُونُ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، وَيُظْهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارَهُونَ.

وَإِنَّ الْمَاضِي عليه السلام مَضَى سَعِيداً فَقِيداً عَلَى مِنْهَاجِ آبَائِهِ عليهم السلام حَذَوِ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ وَفِينَا وَصِيَّتُهُ وَعِلْمُهُ، وَمَنْ هُوَ خَلْفُهُ، وَمَنْ يَسُدُّ مَسَدَهُ، وَلَا يُنَازِعُنَا مَوْضِعَهُ إِلَّا ظَالِمٌ آثِمٌ، وَلَا يَدَّعِيهِ دُونَنَا إِلَّا جَاحِدٌ كَافِرٌ، وَلَوْ لَا أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ لَا يُغْلَبُ، وَسِرَّهُ لَا يُظْهَرُ وَلَا يُعْلَنُ، لَظَهَرَ لَكُمْ مِنْ حَقَّنَا مَا تَبْهَرُ^(١) مِنْهُ عُقُولُكُمْ، وَيُزِيلُ سُكُوكَكُمْ، لَكِنَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ...».

١. في المصدر: (تبيين) بدل (تبهر).

المورد الثاني:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَهْزِيَارٍ أَنَّهُ وَرَدَ الْعِرَاقَ شَاكًّا مُرْتَادًا فَخَرَجَ إِلَيْهِ: «قُلْ لِلْمَهْزِيَارِ^(١): قَدْ فَهَمْنَا مَا حَكَيْتَهُ عَنْ مَوَالِينَا بِنَاحِيَّتِكُمْ، فَقُلْ لَهُمْ: أَمَا سَمِعْتُمْ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]؟ هَلْ أَمَرَ إِلَّا بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ أَوْ لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ ﷻ جَعَلَ لَهُمْ مَعَاقِلَ يَأْوُونَ إِلَيْهَا وَأَعْلَامًا يَهْتَدُونَ بِهَا مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ ظَهَرَ الْمَاضِي^(٢) صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ كُلَّمَا غَابَ عِلْمٌ بَدَأَ عِلْمٌ، وَإِذَا أَقْلَ نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَلَمَّا قَبَضَهُ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِ، ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ قَطَعَ السَّبَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، كَلَّا مَا كَانَ ذَلِكَ، وَلَا يَكُونُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، وَيَظْهَرُ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارَهُونَ...»^(٣).

وجه الاستشهاد بالآية في التوقيع:

التوقيع جاء في مقام بيان الحجة على الناس بعد الإمام العسكري عليه السلام، حيث شكَّ البعض فيه، وفي مقام دفع هذا الشك وإثبات وجود الحجة، استشهاد الإمام عليه السلام بالآية، ووجه الاستشهاد:

إن الآية الكريمة في مقام بيان أمر واقعي، وهو: لزوم طاعة الله تعالى ورسوله وأولي الأمر، وظاهر هذه الآية أن الأمر فيها مطلق من حيث الزمان، بمعنى أن لزوم الطاعة لم يقيد بزمن دون آخر، وبالتالي يكون شاملاً لكل الأوقات، وهو ما أشار له بقوله عليه السلام: «هل أمر إلا بما هو كائن إلى يوم القيامة».

وفي هذا الوقت (بعد الإمام العسكري عليه السلام)، إن قيل: بعدم وجود أحدٍ

١. في المصدر: (للمهزياري).

٢. في المصدر إضافة: (أبو محمد).

٣. كمال الدين ٢: ٤٨٦ / باب ٤٥ / ح ٥.



من أولي الأمر، لزم أن يكون الخطاب في الآية بلا معنى، إذ لا يمكن للناس أن يمثلوا الأمر في هذه الآية لعدم وجود من يُطاع من أولي الأمر، وحيث إنه يلزم صون كلام الحكيم عن اللغوية، فلزم افتراض وجود أحد من (أولي الأمر) تلزم على الناس طاعته، وليس هو إلا ابن الإمام العسكري عليه السلام.

الآية الثانية: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]:

نص التوقيع:

ومما خرج عن صاحب الزمان عليه السلام ردّاً على الغلاة من التوقيع جواباً لكتاب كتب إليه على يدي محمد بن علي بن هلال الكرخي: «يا محمد بن عليّ تعالى الله تعالى عما يصفون سبحانه وبحمده، ليس نحن شركاءه في علمه ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره، كما قال في محكم كتابه تبارك وتعالى ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وأنا - وجميع آبائي من الأولين آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من النبيين ومن الآخرين محمد رسول الله وعليّ بن أبي طالب والحسن والحسين وغيرهم ممن مضى من الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) إلى مبلغ أيامي ومنتهى عصري - عبيد الله تعالى... وأشهد الله الذي لا إله إلا هو وكفى به شهيداً، ومحمداً رسوله وملائكته وأنبياءه وأولياءه، وأشهدك وأشهد كل من سمع كتابي هذا أنّي بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول إنّنا نعلم الغيب أو نشارك الله في ملكه أو يجلّنا محلاً لسوى المحلّ الذي نصبه الله لنا وخلقنا له أو يتعدّى بنا عما قد فسّرتك لك وبيّنته في صدر كتابي...»^(١).

١. الإرشاد: ص ٣٦٤، ج ٢، باب طرف من دلائل صاحب الزمان عليه السلام؛ بحار الأنوار: ص ٢٩٩، ج ٥١، باب ١٥ - ما ظهر من معجزاته؛ تقريب المعارف: ص ١٩٥؛ كشف الغمة: ص ٤٥٤، ج ٢، باب طرف من دلائل صاحب الزمان عليه السلام.



١ - المعنى العام للآية:

الغَيْبُ: مصدر غَابَتِ الشَّمْسُ وغيرها: إذا استترت عن العين، يقال: غَابَ عَنِّي كذا... واستعمل في كلِّ غَائِبٍ عن الحاسَّة، وعمَّا يَغِيبُ عن علم الإنسان بمعنى الغَائِبِ^(١).

الآية ظاهرة في حصر علم الغيب بالله تعالى، وأن كل من في السماوات والأرض لم يُتَح له أن يعلم الغيب.

٢ - وجه الاستشهاد بالآية في التوقيع:

الإمام عليه السلام في مقام الرد على من ادَّعى أنه عليه السلام يعلم الغيب، فإنه استشهد بهذه الآية لنفي ذلك، وبالتالي ليغلق باب الغلو فيهم عليهم السلام، فبيِّن أن الذي يقول بأنهم عليهم السلام يعلمون الغيب، فإنه في الحقيقة يخالف صريح القرآن الذي يحصر علم الغيب بالله تبارك وتعالى.

وفي نفس الوقت أشار الإمام عليه السلام إلى أن المنفي عنهم عليهم السلام هو أن يكونوا شركاء لله تعالى في علمه أو قدرته، فقال: «ليس نحن شركاءه في علمه ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره».

فيكون الحاصل: أن المنفي عن المعصومين عليهم السلام والذي أراد الإمام المهدي عليه السلام نفيه في هذا التوقيع هو علم الغيب بمرتبته الواجبة، أي العلم النابع من الذات، والذي لا يكون محتاجاً إلى أي شيء خارج الذات، فهذه المرتبة خاصة بالله تعالى، ولا يمكن لأي أحد أن يُشاركه فيها، ومن يدَّع ذلك فهو مشرك كافر بالله العظيم، وهو ما أشار إليه عليه السلام بقوله: «ليس نحن شركاءه في علمه ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره، وأنا وجميع آبائي من الأولين... إلى مبلغ

١. مفردات الراغب الأصفهاني مادة (غيب).



أيامي ومنتهى عصري، عبيد الله ﷺ... أني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول
إننا نعلم الغيب أو نشارك الله في ملكه أو يجلنا محلاً سوى المحل الذي نصبه
الله لنا وخلقنا له أو يتعدى بنا عما قد فسرتك لك وبيته في صدر كتابي...».
فهذه العبارات تشير إلى نفي العلم الذاتي عنهم ﷺ، وهذا هو الحق الذي
نؤمن به.

أمّا إذا كان العلم - ولو علم الغيب - هو بتعليم من الله تعالى، وبإذن
منه، فلا مانع منه بالغأ ما بلغ، نظير القدرة، فإن القدرة الذاتية المطلقة هي
مرتبة خاصة بالله تعالى، ولكن يمكن أن تكون هناك قدرات استثنائية خارقة
بإذن الله تبارك وتعالى، كما في قدرات النبي عيسى عليه السلام التي حكاها القرآن
الكريم بكل صراحة في قوله تعالى: ﴿...وَإِذْ نَخَلُّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِ
فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ نُخْرِجُ الْمَوْتَى
بِإِذْنِي...﴾ (المائدة: ١١٠).

وكما في قدرة الذي عنده علم من الكتاب، حيث فاقت قوة العفريت من
الجن كثيراً، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي
مُسْلِمِينَ﴾ (٣٨) قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي
عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ
إِلَيْكَ ظَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ
وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٣٨-٤٠].

وقد صرحت الروايات الشريفة بذلك المعنى (علم الغيب بإذن الله تعالى
وبتعليمه)، إذ روي عن أمير المؤمنين عليه السلام فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة
أنه قال: «يَا أَحْنَفُ، كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غَبَارٌ وَلَا



جَبُّ، وَلَا فَعَقَعَةُ جُحْمٍ^(١)، وَلَا مَحْمَمَةٌ خَيْلٍ^(٢)، يُشِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا
 أَقْدَامُ النَّعَامِ...»، ثم قال عليه السلام: «وَيَلُّ لِسِكَ كِكُمْ الْعَامِرَةَ^(٣)، وَدُورِكُمُ الْمُرْخَرَفَةَ
 الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النَّسُورِ، وَخَرَاطِيمٌ كَخَرَاطِيمِ الْفَيْلَةِ، مِنْ أَوْلِيكَ الَّذِينَ
 لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ، وَلَا يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ. أَنَا كَابُ الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا،
 وَنَاطِرُهَا بِعَيْنِهَا... كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْمًا كَأَنَّ وَجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمَطْرَقَةُ^(٤)، يَلْبَسُونَ
 السَّرَقَ وَالذَّبِيحَ^(٥)، وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ^(٦)، وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلِ^(٧)،
 حَتَّى يَمْشِيَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ، وَيَكُونُ الْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ الْمَأْسُورِ! فقال له
 بعض أصحابه: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب! فضحك عليه السلام، وقال
 للرجل - وكان كليياً -: «يَا أَخَا كَلْبٍ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمٍ غَيْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ
 مِنْ ذِي عِلْمٍ...»^(٨).

فكان الإمام عليه السلام هنا يريد أن ينفي علمه المستقل بالغيب، لذلك أوضح له
 بأن ما عنده إنما هو تعليم من الله تبارك وتعالى ورسوله الأكرم ﷺ، والرواية
 كما ترى لم تنف علم الغيب، بل إن الإمام بعد أن أخبر ببعض الملاحم
 المستقبلية، نفى أن يكون علمه بالغيب هذا مستقلاً كما تبين.

١. اللجب الصياح. واللجم جمع لجام. وقعقتها ما يسمع من صوت اضطرابها بين أسنان الخيل.

٢. الحممة صوت البرذون عند الشعير وعر الفرس (أي صوته) عندما يقصر في الصهيل ويستعين بنفسه.

٣. جمع سكة: الطريق المستوي وهو إخبار عما يصيب تلك الطرق من تخريب ما حوالها من البنيان على يد صاحب الزنج...

٤. في القاموس أي التي يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة أي المخصوفة، وهو عجز عن التعبير، والأحسن أن يقال أي التي ألزق بها الطراق ككتاب - وهو جلد يقور على مقدار الترس ثم يلزق به.

٥. السرق بالتحريك شقق الحرير الأبيض أو هو الحرير عامة.

٦. يعتقبون: يجتسون كرائم الخيل ويمنعونها غيرهم.

٧. استحرار القتل: اشتداده.

٨. نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٢٨؛ ابن أبي الحديد المعتزلي؛ شرح نهج البلاغة: ج ٨، ص ٢١٥.



وإلى هذا المعنى أشار العلامة المجلسي رحمته الله في بحاره بعد ذكره لهذه الرواية بقوله:

تحقيق: قد عرفت مراراً أن نفي علم الغيب عنهم معناه: أنهم لا يعلمون ذلك من أنفسهم بغير تعليمه تعالى بوحى أو إلهام. وإلا فظاهر أن عمدة معجزات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام من هذا القبيل، وأحد وجوه إعجاز القرآن أيضاً اشتتاله على الإخبار بالمغيبات، ونحن أيضاً نعلم كثيراً من المغيبات بإخبار الله تعالى ورسوله والأئمة عليهم السلام كالقيامة وأحوالها والجنة والنار والرجعة وقيام القائم عليه السلام ونزول عيسى عليه السلام وغير ذلك من أشراط الساعة، والعرش والكرسي والملائكة^(١).

وبنفس هذا المعنى تُفسر الروايات الشريفة التي أكّدت أنهم عليهم السلام لا يعلمون الغيب، وإنما إذا أرادوا أن يعلموا ذلك أعطاهم الله تعالى علمه، فكأنهم عليهم السلام ينفون العلم الفعلي الذاتي بالغيب عن أنفسهم، وفي نفس الوقت يثبتون علمهم بالغيب بتعليم من الله تعالى، وهذا يؤكد العلم الخاص لديهم ولا ينافيه.

ومن ذلك ما روي عن معمر بن خلاد قال: سأل أبا الحسن عليه السلام رجل من أهل فارس فقال له: أتعلمون الغيب؟ فقال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يَسْطُرُ لَنَا الْعِلْمُ فَنَعْلَمُ، وَيُقْبَضُ عَنَّا فَلَا نَعْلَمُ»، وقال: «سَرَّ اللَّهُ سبحانه أَسْرَهُ إِلَى جَبْرَائِيلَ عليه السلام، وَأَسْرَهُ جَبْرَائِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وَأَسْرَهُ مُحَمَّدٌ إِلَى مَنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٢).

وكذلك ما روي عن عمارة الساباطي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإمام يعلم الغيب؟ فقال عليه السلام: «لَا، وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ الشَّيْءَ أَعْلَمَهُ اللَّهُ ذَلِكَ»^(٣).

١. بحار الأنوار: ج ٢٦، ص ١٠٣.

٢. الكافي للكليني: ج ١، ص ٢٥٦، باب نادر فيه ذكر الغيب ح ١.

٣. الكافي للكليني: ج ١، ص ٢٥٧، باب نادر فيه ذكر الغيب ح ٤.

والخلاصة: أن القرآن الكريم واضح في أن علم الغيب مختص بالله تعالى، ولكن يمكن أن يظهر الله ﷻ علم الغيب لبعض أنبيائه وعبيده، قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٣٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ... ﴿ (الجن ٢٦-٢٧).

الآية الثالثة: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿ (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]:

نص التوقيع:

ومما خرج عن صاحب الزمان ﷺ ردًّا على الغلاة من التوقيع جواباً لكتاب كتب إليه علي بن محمد بن علي بن هلال الكرخي: «يا محمد بن عليّ تعالى الله ﷻ عما يصفون سبحانه وبحمده، ليس نحن شركاءه في علمه ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره... يقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿ (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾، يا محمد بن عليّ قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقائهم ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه...»^(١).

١ - المعنى العام للآية:

الآية تُبين أن الذي يُعرض عن ذكر الله تبارك وتعالى، ويتركه، ولا يتبعه، فإن الله تعالى سيبتليه بأمرين:

١. الإرشاد: ص ٣٦٤، ج ٢، باب طرف من دلائل صاحب الزمان ﷻ؛ بحار الأنوار: ص ٢٩٩، ج ٥١، باب ١٥، ما ظهر من معجزاته؛ تقريب المعارف: ص ١٩٥؛ كشف الغمة: ص ٤٥٤، ج ٢، باب طرف من دلائل صاحب الزمان ﷻ.



الأول: أنه تعالى يجعل معيشته الدنيوية ضيقة، بحيث يعيش الضنك فيها، يعيش الضيق في داخله، لأن أموراً تقلق مضجعه، وتسلب منه لذة الحياة.
الثاني: أن الله تعالى يحشر هذا المعرض عن ذكره في يوم القيامة أعمى البصر، وقيل: أعمى الحجة، يعني أنه لا حجة له يهتدي إليها، والأول هو الموافق لظاهر الآية، ولا مانع منه^(١).

ثم تنقل الآية مشهداً آخر، حيث إن هذا المعرض يتساءل عن العلة في أنه يُحشر أعمى رغم أنه في الدنيا كان بصيراً، فيأتيه الجواب من الله تعالى: أن هذا العمى هو نتيجة ما قدمت يدك في الدنيا، فأنت حينما أتت الآيات الواضحة في الدنيا أعرضت عنها ونسيتها، وهذا ما أدى إلى أن يكون جزاؤك في الآخرة هو النسيان أيضاً، وسيكون العمى هو أحد إفرات نسيانك في يوم القيامة.
٢ - وجه الاستشهاد بالآية في التوقيع:

بعد أن بين الإمام المهدي عليه السلام في بداية التوقيع أنه لا يعلم الغيب المختص بالله تبارك وتعالى - بالبيان المتقدم في الآية الثانية -، عطف ذلك بالاستشهاد بهذه الآية، وكأنه يريد الإشارة إلى: أن من لا يلتزم بما بينه عليه السلام، وادعى أنهم عليهم السلام يعلمون الغيب، فإنه في الحقيقة يكون معرضاً عن ذكر الله تعالى وبياناته وتعاليمه، وسيكون مصيره المعيشة الضنك في الدنيا والحشر أعمى في الآخرة.
فهو تحذير لأولئك الذين يخالفون الإمام رغم البيان الواضح منه.
على أنه عليه السلام بين أيضاً أن هذه المخالفة للبيان، وادعاء علمهم بالغيب مستقلاً عن الله تعالى، هو مما يؤذي الإمام عليه السلام، وهو يكشف عن ضعف دين هذا المدعي ضعيف جداً، بحيث إن جناح البعوضة أرجح منه.

١. مجمع البيان للشيخ الطبرسي: ج ٧، ص ٦٤.



إن مجرد ادّعاء شخصٍ ما ألوهيتهم ﷺ وغلوه فيهم، هو مما يؤذي الأئمة ﷺ عموماً، وهم يُصعقون أمام عظمة الباري ﷻ رغم أنهم بعيدون كل البعد عن هذه الدعاوى الباطلة، ولكن خشيتهم من الله تعالى ومعرفتهم بعظمته وبالقبح العظيم في دعوى ألوهيتهم والغلوف فيهم، تجعلهم يرتعدون خوفاً من الله تعالى، واستغفراً له.

عن مصادف قال: لما أتى القوم الذين أتوا بالكوفة، دخلت عليّ أبي عبد الله ﷺ فأخبرته بذلك، فخرّ ساجداً وألرزق جؤجؤه^(١) بالأرض وبكى، وأقبل يلوذ بإصبعه ويقول: «بل عبد الله، قن داخر، مراراً كثيرة»، ثم رفع رأسه ودموعه تسيل عليّ لحيته، فندمت عليّ إخباري إياه. فقلت: جعلت فداك وما عليك أنت من ذا؟ فقال: «يا مصادف، إن عيسى لو سكت عما قالت النصارى فيه، لكان حقاً عليّ الله أن يصمّ سمعه ويُعمي بصره، ولو سكتُ عما قال فيّ أبو الخطاب، لكان حقاً عليّ الله تعالى أن يصمّ سمعي ويُعمي بصري»^(٢).

ومن نفس هذا المنطلق تأذى الإمام المهدي ﷺ من جهلاء الشيعة الذين يدعون فيه ما ليس فيه.

الآية الرابعة: ﴿الم ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٢]:

نص التوقيع:

كمال الدين: تَوَقَّعُ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ خَرَجَ إِلَى الْعَمْرِيِّ وَأَبْنِهِ ﷺ رَوَاهُ سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ ﷺ: وَجَدْتُهُ مُشْتَبَاً بِحَطِّ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: «وَفَقَّكُمَا اللَّهُ لَطَاعَتِهِ، وَتَبَّتْكُمْ عَلَى دِينِهِ، وَأَسْعَدَكُمْ بِمَرْضَاتِهِ، أَنْتَهَى إِلَيْنَا مَا

١. جُؤْجُؤُ الْإِنْسَانِ: مُجْتَمَعُ رُؤُوسِ عِظَامِ صَدْرِهِ.

٢. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) للشيخ الطوسي: ج ٢، ص ٥٨٧ - ٥٨٨، رقم الترجمة (٥٣١).



ذَكَرْتُمَا أَنَّ الْمِيثَمِيَّ أَخْبَرَكُمَا عَنِ الْمُخْتَارِ، وَمُنَاطَرَتِهِ مَنْ لَقِيَ، وَاحْتِجَاجِهِ بِأَنْ لَا خَلْفَ غَيْرُ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ، وَتَصَدِيقِهِ إِيَّاهُ، وَفَهِمْتُ جَمِيعَ مَا كَتَبْتُمَا بِهِ مِمَّا قَالَ أَصْحَابُكُمْ عَنْهُ، وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْعَمَى بَعْدَ الْجَلَاءِ، وَمِنَ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْهُدَى، وَمِنَ مُوبَقَاتِ الْأَعْمَالِ، وَمُرْدِيَّاتِ الْفِتَنِ، فَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: ﴿الم ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]، كَيْفَ يَتَسَاقَطُونَ فِي الْفِتْنَةِ، وَيَتَرَدَّدُونَ فِي الْحَيْرَةِ، وَيَأْخُذُونَ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَارْقُوا دِينَهُمْ أَمْ ارْتَابُوا، أَمْ عَانَدُوا الْحَقَّ، أَمْ جَهَلُوا مَا جَاءَتْ بِهِ الرِّوَايَاتُ الصَّادِقَةُ وَالْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ، أَوْ عَلِمُوا ذَلِكَ فَتَنَسَوْا، أَمَا تَعْلَمُونَ^(١) أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حُجَّةٍ إِلَّا مَا ظَاهَرَ، وَإِمَّا مَعْمُورًا، أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنْتِظَامَ أُمَّتِهِمْ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ إِلَى أَنْ أَفْضَى الْأَمْرُ بِأَمْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْمَاضِي - يَعْنِي الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ -، فَقَامَ مَقَامَ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ. كَانَ نُورًا سَاطِعًا^(٢) وَقَمَرًا زَهْرًا، اخْتَارَ اللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ مَا عِنْدَهُ، فَمَضَى عَلَى مِنْهَاجِ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، عَلَى عَهْدِ عَهْدِهِ، وَوَصِيَّةِ أَوْصِيَّ بِهَا إِلَى وَصِيِّ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَمْرِهِ إِلَى غَايَةِ، وَأَخْفَى مَكَانَهُ بِمَشِيَّتِهِ، لِلْقَضَاءِ السَّابِقِ وَالْقَدَرِ النَّافِذِ، وَفِينَا مَوْضِعُهُ، وَلَنَا فَضْلُهُ...»^(٣).

١ - المعنى العام للآية:

الآية بصدد بيان سنة من سنن الحياة الدنيا، جاء بيانها بلسان التوبيخ، فقد يتوهم البعض ويتخيل أن هذه الحياة خالية من البلاء والاختبار، وبالتالي قد يستغرب أو لا يتقبل وقوعه في بعض الاعتبارات، فجاءت الآية لتقول: هل

١. في المصدر: (يعلمون).

٢. في المصدر إضافة: (وشهاباً لامعاً).

٣. كمال الدين ٢: ٥١٠ / باب ٤٥ / ح ٤٢.



يظن الناس أنهم يكونون في الدنيا من غير اختبارات؟! إن هذا مجرد توهم يكذبه الواقع المليء بالفتن والاختبارات، فالإنسان في الدنيا لا بد أن يواجه الامتحان لتظهر منه الأفعال والمواقف التي سترتب عليها جزاؤه في الآخرة.

٢ - وجه الاستشهاد بالآية في التوقيع:

الآية جاءت في توقيعه عليه السلام رداً على من أنكر ولادته وأنه لا خلف للإمام العسكري عليه السلام وأن نسل الإمام الهادي عليه السلام يستمر من خلال جعفر، لا من خلال الإمام العسكري عليه السلام.

يبدأ الإمام توقيعه بذكر سنة الابتلاء في هذه الدنيا، مستشهداً بالآية، ثم بيّن أن من موارد السقوط في الفتن هو أن ينكر البعض الحق بعد وضوحه ويغشى وجوههم الشك والريبة بعد انبلاج اليقين ونصوعه.

ويشير عليه السلام إلى أن التردد في هذه الحقيقة يرجع إلى أحد أسباب:

١ - عدم الرجوع إلى المعارف اليقينية مما يؤدي إلى الحيرة والارتباب.

٢ - العناد للحق بعد معرفته.

٣ - الجهل بهذه الحقيقة وأن الروايات الشريفة صرّحت بضرورة أن يكون

للإمام العسكري عليه السلام ولد هو المهدي عليه السلام.

٤ - أن يكون قد عرفوا ذلك، ولكنهم تناسوه، فكان سلوكهم سلوك من

نسي، وهو في الواقع غير ناسٍ.

يرد ذلك كله بأن الروايات واضحة في ضرورة وجود الحجة الواقعي،

والذي يتلاءم مع حالتي الظهور والغيب، وأن الروايات والواقع يشهدان

بسلسلة الأئمة عليهم السلام من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى يومهم المشهود واحداً بعد

واحد.



والحاصل: أن سنة الابتلاء وإن كانت حقيقة واقعية في هذا العالم بشهادة الآية محل البحث، إلا أن هذا لا يبرر إنكار الحق، ولا التشكيك فيه ولا تناسيه خصوصاً مع وجود الأدلة الواضحة والشواهد الناصعة التي تثبت الحق بكل وضوح.

الآية الخامسة: ﴿حَمِّمْنَا نَزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٦﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنْارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٩﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٠﴾﴾ (الأحقاف ١-٦):

نص التوقيع:

عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ جَاءَهُ بَعْضُ أَصْحَابِنَا يُعَلِّمُهُ أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ عَلِيٍّ كَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا يُعَرِّفُهُ فِيهِ نَفْسَهُ وَيُعَلِّمُهُ أَنَّهُ الْقَيِّمُ بَعْدَ أَبِيهِ^(١)، وَأَنَّ عِنْدَهُ مِنْ عِلْمِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ كُلِّهَا. قَالَ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا قَرَأْتُ الْكِتَابَ كَتَبْتُ إِلَى صَاحِبِ الزَّمَانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَيَّرْتُ كِتَابَ جَعْفَرٍ فِي دَرَجِهِ، فَخَرَجَ الْجَوَابُ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَنَانِي كِتَابُكَ أَبْقَاكَ اللَّهُ، وَالْكِتَابُ الَّذِي أَنْفَذْتَهُ دَرَجَهُ، وَأَحَاطَتْ مَعْرِفَتِي بِجَمِيعِ مَا تَضَمَّنَهُ عَلَى اخْتِلَافِ أَلْفَاظِهِ، وَتَكَرَّرَ الْخَطَأَ فِيهِ، وَلَوْ تَدَبَّرْتَهُ لَوَقَفْتُ عَلَى بَعْضِ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْهُ...»

١. في المصدر: (أخيه) بدل (أبيه).



وَقَدْ ادَّعَىٰ هَذَا الْمُبْطِلُ الْمُفْتَرِي عَلَىٰ اللَّهِ الْكَذِبَ بِمَا ادَّعَاهُ، فَلَا أُدْرِي بِأَيَّةِ حَالَةٍ هِيَ لَهُ رَجَاءٌ أَنْ يُتِمَّ دَعْوَاهُ، أَيْفَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا يَعْرِفُ حَلَالًا مِنْ حَرَامٍ وَلَا يَفْرُقُ بَيْنَ خَطَاٍ وَصَوَابٍ، أَمْ يَعْلَمُ؟ فَمَا يَعْلَمُ حَقًّا مِنْ بَاطِلٍ، وَلَا مُحْكَمًا مِنْ مُتَشَابِهٍ، وَلَا يَعْرِفُ حَدَّ الصَّلَاةِ وَوَقْتَهَا، أَمْ يَوْرَعُ؟ فَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ تَرْكِهِ الصَّلَاةِ الْفَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يَزْعُمُ ذَلِكَ لِطَلَبِ الشُّعُودَةِ، وَلَعَلَّ خَبْرَهُ قَدْ تَأْدَىٰ إِلَيْكُمْ، وَهَاتِيكَ ظُرُوفٌ مُسْكِرَةٌ مَنْصُوبَةٌ، وَأَثَارٌ عِصْيَانِهِ ﷺ مَشْهُورَةٌ قَائِمَةٌ، أَمْ بِأَيَّةٍ؟ فَلَيَاتِ بِهَا، أَمْ بِحُجَّةٍ؟ فَلْيَقْمِمْهَا، أَمْ بِدَلَالَةٍ؟ فَلْيَذْكَرْهَا.

قال الله ﷻ في كتابه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اتُّنَوْنِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ [الأحقاف ١-٦] ﴿٦﴾.

١ - المعنى العام للآيات:

الآيات الكريمة من سورة الأحقاف وهي تبين عدة أمور:

١ - إن الكتاب الكريم إنما هو تنزيل من الله تبارك وتعالى.

٢ - إن الله تعالى يخبر في هذا الكتاب الذي أنزله هو جل وعلا، أن خلق السماء والأرض هو فعلٌ من أفعاله، وقد شاء جل وعلا أن يتَّصف فعله هذا بوصفين هنا:

الوصف الأول: أنه فعل حق، موافق للحكمة، لا عبث فيه ولا لعب.



الوصف الثاني: أنه تعالى لم يكتب الخلود لهذا الفعل، وإنما جعل له أجلاً محدداً، نعم، هذا الأجل معلوم ومسمى عنده، ونحن لا نعلم به.

٣ - إن الكافرين معرضون عن إنذار الله تعالى مما أنزله في كتابه.

٤ - ثم يخاطب الكافرين: أنتم تكفرون بالله تعالى، وتذهبون إلى ألوهية غيره، فلو كان من تدعونهم آلهة فالمفروض أن تكون لهم أفعال محكمة كفعل الله تعالى، ولكانوا شركاء الله تعالى، والحال أنه لا يوجد أي دليل على ذلك ولا نص علمياً يدل عليه.

٥ - ويخلص إلى أن الذي يدعو شيئاً لا قدرة له على إجابة دعوته، فهو ضال، بل هو أضل الخلق، ليس هذا فحسب، بل إنهم يدعون من سيقف ضدهم معادياً لهم يوم القيامة، ومثل أولئك لا يدعوهم إلا الضالون الكافرون.

٢ - وجه الاستشهاد بالآية في التوقيع:

الآية جاء الاستشهاد بها في توقيع صدر منه ﷺ رداً على دعوى جعفر بأنه هو الإمام بعد أخيه العسكري عليه السلام، حيث أرسل كتباً يدعو الناس إلى الاعتقاد بإمامته، وقد وقف الإمام ﷺ على هذا الكتاب واطّلع على ما فيه، وبين زيفه، وفي مقام بيان زيفه ذكر الإمام ﷺ عدة أمور تثبت ذلك، ومنها: (١) إن في كتاب جعفر - الذي أرسله يدعو الناس فيه لنفسه - أخطاءً إملائية يستحيل صدورها من إمام الزمان ﷺ.

(٢) إن جعفرًا ليس عنده علم بالحلال والحرام وأنه لا يعرف حتى حد الصلاة، فكيف يكون إماماً؟!!

(٣) من الناحية العلمية تحدها بمطالبتة بتفسير ولو آية واحدة من الكتاب، فإن عجز كشف ذلك عن بطلان دعواه.



٤) مطالبته بإقامة حجة واضحة الدلالة على إمامته.

٥) نفي أن تكون الإمامة في أخوين بعد الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام.

وبعد هذا استشهاد الإمام عليه السلام بالآيات المذكورة، إذ إن موضوعها هو الاتّباع الأعمى لمن ليست له شأنية المعبودية، ليشير إلى أن من يصدق جعفرأ ويتبعه رغم وضوح عدم أهليته للإمامة للأسباب التي ذكرها الإمام عليه السلام في مكاتبتة، سيكون حاله حال من يعبد من دون الله تعالى ما لا قدرة له على الخلق ولا على حماية أتباعه.

الآية السادسة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ (المائدة: ١٠١):

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ يَعْقُوبَ أَنَّهُ وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْمُقَدَّسَةِ عَلَى يَدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَثْمَانَ: «وَأَمَّا عَلَّةُ مَا وَقَعَ مِنَ الْغَيْبَةِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي إِلَّا وَقَعَتْ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ لِطَاغِيَةِ زَمَانِهِ، وَإِنِّي أَخْرُجُ حِينَ أَخْرُجُ وَلَا بَيْعَةَ لِأَحَدٍ مِنَ الطَّوَائِفِ فِي عُنُقِي، وَأَمَّا وَجْهُ الْإِنْتِفَاعِ بِي فِي عَيْتِي فَكَأَلِإِنْتِفَاعِ بِالشَّمْسِ إِذَا غَيَّبَهَا عَنِ الْأَبْصَارِ السَّحَابُ، وَإِنِّي لِأَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ كَمَا أَنَّ النُّجُومَ أَمَانٌ لِأَهْلِ السَّمَاءِ، فَاغْلِقُوا أَبْوَابَ السُّؤَالِ عَمَّا لَا يَعْنِيكُمْ، وَلَا تَتَكَلَّفُوا عَلَى مَا قَدْ كُفَيْتُمْ، وَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ بِتَعْجِيلِ الْفَرَجِ، فَإِنَّ ذَلِكَ فَرَجُكُمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا إِسْحَاقَ بْنَ يَعْقُوبَ وَعَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى».

١ - المعنى العام للآية:

الآية الكريمة بصدد بيان حقيقة واقعية، وهي: أن هناك أشياء ينبغي عدم السؤال عنها، وعدم الإعلان عنها، لأن لها وقتاً يلزم أن يحضر حتى يكون الاستعلام عنها أو الإعلان عنها مناسباً وفي موضعه، وعدم الالتزام بالتوقيت المناسب قد يرجع على الفرد بالضرر والسوء.



وقد ورد في سبب نزول هذه الآية ما يؤكد هذا المعنى، إذ روي أنه خطب رسول الله ﷺ فقال: «إن الله كتب عليكم الحج»، فقام عكاشة بن محصن ويروي سراقه بن مالك فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «ويحك، وما يؤمنك أن أقول: نعم؟ والله ولو قلت: نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، ولو تركتم كفرتم، فاتركوني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»^(١).

ويعود السبب في ذلك إلى عدة أمور:

- أ - أن تكون معرفتها غير مفيدة في الوقت الحالي.
 - ب - أن يمنع من إظهارها مانع كالتقية أو غيرها ﴿إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾.
 - ج - عدم التكليف بمعرفتها ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾.
 - د - احتمال الكفر بها بعد معرفتها قبل الوقت المناسب.
- ٢ - وجه الاستشهاد بالآية في التوقيع:

الآية وردت في مقام الجواب عن السؤال عن العلة الحقيقية لغيبة الإمام المهدي عليه السلام، والإمام بدأ الجواب بالاستشهاد بالآية. مما يعني أن معرفة العلة الحقيقية للغيبة هي مما لم يكلف بها العباد، وأن الوقت ليس مناسباً لذكرها في الوقت الحالي، بل يظهر من الاستشهاد بالآية في المقام أن ذكر العلة الحقيقية يرجع على المجتمع أو على الشيعة بالضرر والسوء، لذلك يكون من الحكمة تأخير البيان فيها إلى الوقت المناسب. ولأن الإنسان امتاز بالفضول العلمي، أخذ الإمام يبين له عدة أمور متعلقة بهذا الشأن، وهي التالي:

١. بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ٣١.



١ - إن واحدة من الحكم التي كانت وراء غيبة الإمام عليه السلام هي حتى لا تكون في عنقه بيعة لظالم ولو من باب التقية والمسائلة، لأجل المصلحة العامة للإسلام، كما حدث هذا الأمر مع آبائه المعصومين عليهم السلام.

٢ - إن الغيبة - فضلاً عن عدم معرفة العلة الحقيقية لها - لا تلازم نفي الفائدة من الإمام الغائب، بل إن الاستفادة من بركات وجود الإمام هي حقيقة مشككة، أعلى مراتبها تكون بالتواصل المباشر معه، وبعد هذه المرتبة توجد مراتب عديدة قبل أن يصل الأمر إلى عدم الاستفادة المطلقة منه. تماماً كما أن الشمس نهراً تكون مشرقة ولا يحجبها السحاب، وأمّا في الليل فهي مختفية تماماً، لكنها في النهار موجودة، ويمكن الاستفادة منها، وليس شرطاً في ذلك أن تكون مشرقة تماماً، فيمكن ذلك ولو كانت محجوبة عن مباشرة الأرض بسبب السحاب. وما زال الناس يعرفون أنها موجودة، ويتعاملون مع هذا الوقت على أنها موجودة، سوى أن ظهورها غير تام.

وهكذا الإمام عليه السلام، رغم أنه غائب، لكن هذا لا يعني عدم الفائدة والاستفادة منه، وإنما الغيبة حجبت مرتبة من مراتب الاستفادة، لا مطلق الاستفادة.

٣ - وتلك الاستفادة تتمثل في أن وجوده الواقعي يمثل صمام الأمان لأهل الأرض من أن تسيخ بهم. وهذه الفائدة لا تتوقف على ظهوره المباشر كما هو واضح، بل هي تحصل بمحض وجوده الواقعي.

٤ - ثم يقدم الإمام عليه السلام نصيحة عامة، يطبقها في المقام، وهي: أنه ينبغي أن ينحصر السؤال فيما يرجع على الفرد بالفائدة، والابتعاد عما لا يعنيه، وعما لم يكلف بمعرفته، وبدلاً من إشغال النفس بمثل هذه الأسئلة، ينبغي ممارسة الأعمال التي من شأنها أن ترجع عليه بالنعف، والتي منها الدعاء بالفرج.



الآية السابعة: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ (الطلاق: ٢):

نص التوقيع:

وَسَأَلَ عَنِ الرَّجُلِ يُوقِفُ ضَيْعَةً أَوْ دَابَّةً، وَيُشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ بِاسْمِ بَعْضِ
وُكَلَاءِ الْوَقْفِ، ثُمَّ يَمُوتُ هَذَا الْوَكِيلُ أَوْ يَتَغَيَّرُ أَمْرُهُ، وَيَتَوَلَّى غَيْرَهُ، هَلْ يَجُوزُ
أَنْ يَشْهَدَ الشَّاهِدُ هَذَا الَّذِي أُقِيمَ مَقَامَهُ، إِذَا كَانَ أَصْلُ الْوَقْفِ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ أَمْ
لَا يَجُوزُ ذَلِكَ؟

فَأَجَابَ ﷺ: «لَا يَجُوزُ غَيْرُ ذَلِكَ لِأَنَّ الشَّهَادَةَ لَمْ تَقُمْ لِلْوَكِيلِ وَإِنَّمَا قَامَتْ
لِلْمَالِكِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾»^(١).

١ - المعنى العام للآية:

الآية تأمر الشهود بأن يقيموا الشهادة لله تعالى، وهذا يتضمن:

١ - ضرورة الشهادة بالحق، ولو كان على حساب المصلحة الشخصية.

٢ - إنه من كمال الشهادة أن تكون مصاحبة للإخلاص (لله) تعالى.

٣ - إن المطلوب هو إقامة الشهادة، الذي يعني الاهتمام بها وأدائها بصورة
تامة لا لبس فيها.

٢ - وجه الاستشهاد بالآية في التوقيع:

الآية وردت ضمن توقيع له ﷺ تضمن الإجابة عن عدة أسئلة فقهية تقدم
بها محمد بن عبد الله الحميري، ومنها أنه سأل الإمام ﷺ عن رجل يجعل
ضيعة له أو دابة وفقاً لله تعالى، ويأتي بشاهد يشهد على ذلك أمام أحد وكلاء
الوقف - وهم الذين يقومون بالاهتمام بالأوقاف وإدارة شؤونها ومتابعتها -
ويحصل أن هذا الوكيل على الوقف يموت، أو يحصل عنده مانع من

١. الاحتجاج للطبرسي: ج ٢، ص ٣١٣.



استمراره على وكالة الوقف، كأن يتغير أمره من الحق إلى الباطل، فيقوم وكيل وقف آخر مقامه.

والسؤال هنا: هل يجوز لذلك الشاهد أن يشهد بالوقف أمام الوكيل الثاني، أو إن شهادته انتهت بانتهاء وكالة الوكيل الأول؟

فجاء الجواب منه ﷺ: أنه لا يجوز غير ذلك، أي أنه يلزم على الشاهد أن يشهد بالوقف أمام الوكيل الثاني، والسبب في ذلك: هو أن الشهادة كانت على أن المالك أوقف ضيعته أو دابته، وليست متعلقة بالوكيل الأول لتنتهي بانتهاء وكالته، أي إن الشاهد تحمّل الشهادة على فعل ووقف المالك للعين، لا على الوكيل الأول، فهي باقية مع تبدل الوكيل أو متولي الوقف، فلا يجوز له تغييرها.

ومادامت متعلقة بفعل المالك ووقفه العين، وهو لم يتغير، إذن على الشاهد أن يؤدي شهادته أمام الوكيل الثاني، وأن يقيم شهادته امتثالاً لأمر الله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾.

هذا هو المعنى المحتمل في بيان التوقيع.

الآية الثامنة: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (هود: ١٨):

نص التوقيع:

«وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ أَمْرٍ مَنْ يَسْتَحِلُّ مَا فِي يَدِهِ مِنْ أَمْوَالِنَا أَوْ يَتَصَرَّفُ فِيهِ تَصَرُّفَهُ فِي مَالِهِ مِنْ غَيْرِ أَمْرِنَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مَلْعُونٌ وَنَحْنُ خُصَمَاءُؤُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْمُسْتَحِلُّ مِنْ عِثْرَتِي مَا حَرَّمَ اللَّهُ مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِي وَلِسَانِ كُلِّ نَبِيٍّ مُجَابٍ، فَمَنْ ظَلَمْنَا كَانَ فِي جُمَّلَةِ الظَّالِمِينَ لَنَا وَكَانَتْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، لِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾»^(١).

١. كمال الدين وتمام الدين - للشيخ الصدوق: ص ٥٢٠-٥٢١، الباب ٤٥، ح ٤٩.



١ - المعنى العام للآية:

الآية واردة في مقام إثبات لعنة الله تعالى - أي الطرد من رحمته والإبعاد عن عفوهِ مما يعني العذاب والعقاب الأليم - لمن اتَّصف بالظلم، وفي استعمال ﴿أَلَا﴾ الاستفتاحية، والجملة الاسمية الدالة على الثبوت ﴿لعنة الله﴾ تهويل عظيم مما يحيق بالظالمين.

الآية تذكر قاعدة عامة مضمونها: أن من يصدق عليه الظلم فهو ملعون من الله تعالى، ولهذه القاعدة تطبيقات عديدة، منها ما جاءت هي في سياقه، وهم من يكذبون على ربهم، حيث إن بداية الآية ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام: ٢١).

٢ - وجه الاستشهاد بالآية في التوقيع:

الآية وردت في توقيع له عليه السلام في جواب أسئلة أبي الحسين محمد بن جعفر الأسدي، حيث إنه سأل الإمام عليه السلام عن حكم من يستحل أموال المعصوم مما كانت تحت يده، من الخمس، بحيث يتصرف بها كتصرفه بسائر أمواله، أي من دون استئذان من الإمام عليه السلام ولا صرفها في الموارد التي أمر بها عليه السلام.

فجاءه الجواب أن من يفعل ذلك فإن جزاءه سيكون:

١ - ثبوت اللعنة في حقه.

٢ - إن خصمه سيكون هم أهل البيت عليهم السلام.

٣ - وسيكون بذلك مصداقاً للظالمين الذين استحقوا الإبعاد عن رحمة الله

تعالى والعقاب الأليم.



الآية التاسعة: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىٰ ظَاهِرَةً﴾ (سبأ: ١٨):

نص التوقيع:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الهمداني، قَالَ: كَتَبْتُ إِلَىٰ صَاحِبِ الزَّمانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ أَهْلَ بَيْتِي يُؤْذُونِي وَيَقْرَعُونِي بِالْحَدِيثِ الَّذِي رُوِيَ عَنْ أَبِيكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُمْ قَالُوا: خُدَّامُنَا وَقُومَانَا شِرَارٌ خَلَقَ اللهُ، فَكَتَبَ ﷺ: «وَيُحْكُمُ مَا تَقْرَأُونَ مَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىٰ ظَاهِرَةً﴾، فَنَحْنُ وَاللهِ الْقُرَىٰ الَّتِي بَارَكَ اللهُ فِيهَا وَأَنْتُمْ الْقُرَىٰ الظَّاهِرَةُ»^(١).

١ - المعنى العام للآية:

الآية وردت في بيان النعم التي وهبها الله تعالى لقوم سبأ، فذكر في هذه الآية أن من تلك النعم هي أنه تعالى جعل بينهم وبين القرى المباركة والخصبة، قرى ظاهرة، أي مناطق وبيوت سكنية قريبة وتُرى، وأن السير فيها هو بأمان تام ليلاً ونهاراً. هذا هو ظاهر الآية.

لنضع في الحسبان أن القرآن الكريم ضرب للناس الأمثال، واستعمل لغة الكناية والمجاز للوصول إلى أهداف معينة، وأنه يمكن أن يكون للآية معنى ظاهر، لكن يُطبق على معنى آخر مؤوَّل، يعرف ذلك الراسخون في العلم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢ - وجه الاستشهاد بالآية في التوقيع:

الآية وردت في توقيع له ﷺ جواباً عن سؤال محمد بن صالح الهمداني، حيث إنه كتب إلى الإمام المهدي ﷺ سؤالاً حاصله:

إن أهل بيته - ويظهر من سياق الرواية أنهم كانوا على غير خط أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ - كانوا يعيرونه ويؤذونه، وذلك لأنه يُعتبر من خدام أهل

١. الغيبة للطوسي: ٣٤٥، رقم ٢٩٥.



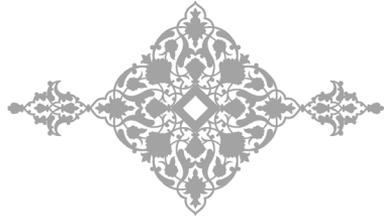
البيت ﷺ، وحيث إنه روي عن المعصومين ﷺ - فيما زعموا - أنهم قالوا: (خدّامنا وقوّامنا شرار خلق الله)، فهذا يعني أن محمداً الهمداني هو من شرار خلق الله تعالى، بسبب كونه من خدّامهم ﷺ.

فأجابه الإمام ﷺ بعدم صحة استدلالهم هذا، وأنه خلاف تأويل الآية المتقدمة، إذ إن أهل البيت ﷺ هم تأويل القرى التي بارك الله فيها، وخدّامهم وشيعتهم هم القرى الظاهرة العامرة، فكيف يكونون أعداءهم وشرار الخلق بسبب خدمتهم لهم ﷺ؟!!

جدير بالذكر أن هذه الرواية (خدّامنا وقوامنا شرار خلق الله) هي رواية ضعيفة السند، إذ هي مرسلة، حيث عبّر عنها الشيخ الطوسي في غيبته بقوله: (قد روي في بعض الأخبار أنهم قالوا: خدامنا وقوامنا شرار خلق الله)^(١).

ثم حاول الشيخ تبريرها - على فرض صحتها - بأنه لا يراد منها الشمول لجميع خدّامهم ﷺ، وإنما هي خاصة بمن بدّل وغير عقيدته من الحق إلى الباطل.

وهذا الحمل - لو سُلمت الرواية - مما لا بد منه، إذ لا يعقل ذمّ مثل سلمان المحمدي وأبي ذر الغفاري وزرارة وأبي بصير وأضرابهم. نعم، هو صادق على مثل البطائني والشلمغاني وأمثالهما.





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

الخسف في البيداء علامة حتمية

السيد جعفر القبانجي

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على خير خلق الله أجمعين محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.
أما بعد..

فقد اطلّعت على كتاب موسوم بعنوان (الثقافة المهدوية دروس منهجية) لأستاذ البحث الخارج في الحوزة العلمية سماحة السيد رياض الحكيم (حفظه الله) وهو كتاب نافع مفيد سدّ خلّة مهمّة في مجال التوعية والتثقيف المهدوي المنهج.

ولكنّ الذي لفت انتباهي أنّه بعد التفصيل الجميل في مختلف الأبحاث المتعلقة بالقضية المهدوية وبعد أن وصل إلى مبحث علامات الظهور، لم يذكر إحدى أهمّ العلامات، ألا وهي (الخسف في البيداء)، حيث قسم العلامات تقسيمين، تارة إلى ما دلّ عليه دليل معتبر وما لم يدلّ عليه دليل معتبر، وأخرى إلى حتميّة وغير حتمية، ولم يذكر الخسف في أي واحد من هذه الأقسام، مع أنّ المرتكز في الذهنية الشيعية العامّة أنّه أحد العلامات الحتميّة الخمسة، فهل ياترى أنّ هذا المرتكز خاطئ؟! أو أنّ المؤلّف لم يذكرها لأنّه يراها غير معتبرة البتة؟ أو لأنّه يراها لا تصلح لأن تكون علامة للظهور ولو ثبت اعتبار دليلها؟





فارتأيت أن أبحث عن هذه العلامة، وعن ما ورد فيها من روايات وأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام، فكان هذا البحث بين يدي القارئ الكريم. وأما ثلاثة إشكالات لابد أن نتجاوزها إذا أردنا البناء على أن الخسف في البيداء علامة حتمية:

الأول: هل يوجد دليل معتبر على أن الخسف علامة من علامات الظهور؟ وهل يوجد دليل معتبر أنه علامة حتمية؟

الثاني: لو ثبت اعتبار الدليل على الخسف في البيداء، فهل يصلح لأن يكون علامة كاشفة لتحقق حدث كوني مهم كالظهور؟ وهل أن البيداء التي يحصل فيها الخسف مكان محدد معروف؟ أو أنه مكان مبهم مجهول؟ أو قل: هل أن (البيداء) اسم علم لمكان معين؟ أو أنها اسم جنس للأرض القفرة؟ وعلى الاحتمال الثاني فهل يصلح الخسف لأن يكون علامة واضحة للظهور؟ وهل يصلح لأن يكون علامة حتمية؟ إذ إن أي خسف بأي جيش في أي بيداء من بقاع الأرض سيكون منطبقاً على هذه العلامة.

الثالث: أن الاستفادة من الروايات التي ذكرت الخسف في البيداء وتحديث عنه أن الخسف يكون بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام حيث إنه يظهر في المدينة فيرسل السفيناني له جيشاً من الشام لملاحقته، وبعدها يخرج عليه السلام من المدينة إلى مكة، فيتبعه الجيش ويخسف به في البيداء في الطريق بين مكة والمدينة، وهنا يأتي التساؤل: إذا كان الخسف علامة للظهور فكيف يكون بعد الظهور لاقبله؟ وللجواب عن الإشكالية الأولى سنستعرض الروايات الشريفة التي ذكرت الخسف في البيداء بجيش السفيناني وجعلته علامة من علامات الظهور، ونذكر مجموعة كبيرة منها، وغرضنا منها تحصيل التواتر - ولو المعنوي أو الإجمالي - على علامة الخسف في البيداء، أو تحصيل الاطمئنان بصدور هذا المضمون على أقل التقادير، ولذا لم نول الأسانيد عناية فائقة لاعتقادنا أن الأمر أوضح من أن



يُثَبَّتُ بأخبار الآحاد الثقات رغم أننا سنذكر العديد من الروايات الصحيحة والمعتبرة سنداً، ثم إننا سنقسّم الروايات إلى ثلاثة أقسام بحسب دلالتها، وذلك لكي يسهل علينا الجواب عن الإشكالية الثانية وهي تحديد المراد من البيداء في روايات الخسف، وكلي لا نكرّرها مرّة أخرى في حينها، والأقسام الثلاثة هي:

القسم الأول: روايات الخسف المطلقة:

وفي هذا القسم سنتناول الروايات التي ذكرت أنه سيحصل خسف قبيل ظهور الإمام المهدي عليه السلام ولم تحدد في أي مكان سيكون، بل جاء فيها لفظ الخسف بقول مطلق:

ما ورد في كتب الشيعة:

(١-١) الصدوق عليه السلام بسنده^(١) عن الحسين بن خالد الكوفي، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت: جعلت فداك، حديث كان يرويه عبد الله بن بكير، عن عبيد بن زرارة. قال: فقال لي: «وما هو»؟ قال: قلت: روي عن عبيد بن زرارة أنه لقي أبا عبد الله عليه السلام في السنة التي خرج فيها إبراهيم بن عبد الله بن الحسن فقال له: جعلت فداك، إن هذا قد ألف الكلام وسارع الناس إليه فما الذي تأمر به؟ قال: فقال: «اتقوا الله واسكنوا ما سكنت السماء والأرض». قال: وكان عبد الله ابن بكير يقول: والله لئن كان عبيد بن زرارة صادقاً فما من خروج وما من قائم.

قال: فقال لي أبو الحسن عليه السلام: «الحديث على ما رواه عبيد وليس على ما تأوّل به عبد الله بن بكير، إنما عنى أبو عبد الله عليه السلام بقوله: (ما سكنت السماء) من النداء باسم صاحبك و(ما سكنت الأرض) من الخسف بالجيش»^(٢).

١. ملاحظة: لم نذكر أسانيد بعض الروايات مراعاة للاختصار، وذكرنا المصادر بالتفصيل لمن أحب المراجعة.

٢. معاني الأخبار: ص ٢٦٦-٢٦٧، باب (معنى اسكنوا ما سكنت الأرض والسماء)، ح ١.



ورواه الطوسي رحمته الله: بسنده عن الحسين بن خالد، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام:...^(١).

والمستفاد من هذا الحديث الشريف أن الإمام جعل الخسف بالجيش علامة على انتهاء زمن الغيبة وبداية عصر الظهور، بل وجعلها علامة في عرض (الصيحة)، وهي علامة حتمية بلا خلاف.

(٢-٢) حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثني علي بن الحسن، عن علي بن مهزيار، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن مختار، قال: حدثني ابن أبي يعفور، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «أمسك بيدك، هلاك الفلاني - اسم رجل من بني العباس -، وخروج السفيناني، وقتل النفس، وجيش الخسف والصوت»، قلت: وما الصوت، هو المنادي؟ فقال: «نعم، وبه يعرف صاحب هذا الأمر»، ثم قال: «الفرج كله هلاك الفلاني من بني العباس»^(٢).

والحديث الشريف في صدد إعطاء علامات للفرج المتمثل بظهور صاحب العصر والزمان عليه السلام، وجعل منها جيش الخسف، أي الجيش الذي يخسف به، وهو تامّ سنداً.

(٣-٣) روى الصدوق رحمته الله بسنده عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل يتحدث عن بعض تفاصيل المعراج، قال: «إلهي وسيدي متى يكون ذلك [أي: ظهور المهدي عليه السلام]؟ فأوحى الله تعالى: يكون ذلك إذا رفع العلم، وظهر الجهل، وكثر القراء، وقُلّ العمل، وكثر القتل، و... وعند ذلك ثلاثة خسوف: خسوف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب،... وظهور السفيناني...»^(٣).

١. أمالي الطوسي: ص ٤١٢، ح ٩٢٦ / ٧٤.

٢. الغيبة للنعاني: ص ٢٦٦، باب ١٤، ح ١٦.

٣. راجع كمال الدين: ص ٢٥٠-٢٥٢، باب ٢٣، ح ١.



فالواضح من هذه الرواية أنّها في صدد بيان علامات الظهور، فإنّ رسول الله ﷺ قد سأل الله ﷻ عن وقت ظهور الإمام المهديّ ﷺ فجاء في الجواب ذكر علامات ظهوره وعدّها منها ثلاثة خسوف، ومحلّ الشاهد الذي نحن بصددّه هو (الخسف بجزيرة العرب).

(٤-٤) تفسير علي بن إبراهيم: في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ﴾ (سبأ: ٥١) قال: «من الصوت، وذلك الصوت من السماء»، وقوله: ﴿وَأَخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قال: «من تحت أقدامهم خسف بهم»^(١).

قال المجلسي في ذيل هذا الحديث: أقول: قال صاحب الكشاف: روي عن ابن عباس أنّها نزلت في خسف البيداء. وقال الشيخ أمين الدين الطبرسي رحمه الله: قال أبو حمزة الثمالي: سمعت علي بن الحسين والحسن بن الحسن بن علي عليه السلام يقولان: هو جيش البيداء يؤخذون من تحت أقدامهم. انتهى.

وهذا الحديث رغم أنّه لا نصّ فيه على علامات الظهور، ولكنّ الحديث عن الخسف جاء في سياق الحديث عن الصيحة في السماء والتي لا اختلاف في أنّها من العلامات الحتمية للظهور، فقريئة السياق دالة على أنّ الرواية في صدد بيان علامات الظهور وجعلت الخسف واحدة منها.

ورغم أنّ المجلسي نقل أنّها نزلت في خسف البيداء إلا أنّنا ذكرناها في قسم روايات الخسف المطلقة لأنّها بنفسها لم يرد فيها نصّ على مكان الخسف.

(٥-٥) الكافي: العدة، عن سهل، عن ابن فضال، عن ثعلبة، عن الطيار، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣) قال: «خسف ومسخ وقذف»، قال:

١. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٨٥-١٨٦، ح ١١؛ عن تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٠٥-٢٠٦.



قلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ﴾؟ قال: «دع ذا، ذاك قيام القائم»^(١).

وهذه الرواية تذكر أن من الآيات التي يريها الله ﷻ للإنسان هي الخسف، والغاية منها حتى يتبين لهم قيام القائم ﷺ، أي أنها اعتبرت الخسف علامة من علامات ظهور القائم ﷺ.

(٦-٦) روى المجلسي رحمه الله بسنده عن ابن محبوب رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا خسف بجيش السفياي» إلى أن قال: «والقائم يومئذ بمكة عند الكعبة مستجيراً بها يقول: أنا ولي الله، أنا أولى بالله وبمحمد ﷺ فمن حاجني في آدم فأنا أولى الناس بآدم...»^(٢).

ما ورد في كتب السنة:

(٧-٧) نعيم بن حماد المروزي بسنده: عن محمد بن علي [الباقر عليه السلام] قال: «إذا سمع العائد الذي بمكة بالخسف خرج مع اثني عشر ألفاً، فيهم الأبدال حتى ينزلوا إيليا، فيقول الذي بعث الجيش حين يبلغه الخبر بإيليا: لعمر الله لقد جعل الله في هذا الرجل عبرة، بعثت إليه ما بعثت فساخوا في الأرض، إن هذا لعبرة وبصيرة... الحديث»^(٣).

وفي هذا الحديث إخبار عن الخسف، بعده يتوجه الإمام المهدي عليه السلام بجيشه لمقاتلة السفياي، وقريب منه ما في بحار الأنوار عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام، ولكنه لم يذكر الخسف بلفظه^(٤).

وهناك روايات أخرى كثيرة من الفريقين يمكن إدراجها في هذا القسم لكننا نعرض عن ذلك هنا مراعاة للاختصار.

١. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٣٠٣، ح ٧١؛ عن الكافي: ج ٨، ص ١٦٦، ح ١٨١.

٢. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٣٠٥، ح ٧٨.

٣. الفتن للمروزي: ص ٢١٥.

٤. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٣٨٨، ح ٢٠٦.



القسم الثاني: روايات الخسف في البيداء:

وفي هذا القسم سنذكر الروايات التي ذكرت أن الخسف يكون في البيداء، ولكنها لم تصرح أي بيداء تلك، ولم تحدد أين تقع هذه البيداء. ما ورد في كتب الشيعة:

(٨-١) النعماني رحمته الله بسنده عن زرارة بن أعين، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: عجبت أصلحك الله، وإني لأعجب من القائم كيف يقاتل مع ما يرون من العجائب، من خسف البيداء بالجيش، ومن النداء الذي يكون من السماء؟ فقال: «إن الشيطان لا يدعوهم حتى ينادي كما نادى برسول الله صلى الله عليه وآله يوم العقبة»^(١).

وهذه الرواية الشريفة تؤكد أن الخسف بالجيش في البيداء هو من العلامات الواضحة الجليلة ويجعلها في عرض الصيحة في السماء، ويعجب زرارة كيف لا يدعن الناس لعلامتين جليتين كهاتين، فالحديث نصّ في أن الخسف في البيداء علامة جليّة من علامات الظهور، ولكنّه لم يحدّد مكان البيداء، ولذا جعلناه في القسم الثاني.

ولا يقال: إنّ الذي ذكر العلامتين هو زرارة وليس الإمام الصادق عليه السلام، وبالتالي تسقط الرواية عن الحجية؛ لأنّ إقرار المعصوم كلامه دليل على تمامه وقبوله به، وإلا - إن لم يكن ما ذكره تاماً - لبيّن له ذلك، بل إنّ ذيل الرواية كالصریح في إمضاء الإمام له، ولذلك تمّ لزرارة ما يرفع تعجبه بقوله أنّ الشيطان لا يدعوهم.

(٩-٢) النعماني رحمته الله بسنده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: جعلت فداك، متى خروج القائم عليه السلام؟ فقال: «يا أبا محمد، إنّ أهل بيت لا تُوقّت، وقد قال محمد صلى الله عليه وآله: كذب الوقتون. يا أبا محمد، إنّ قدّام هذا الأمر

١. الغيبة للنعماني: ص ٢٧٣، باب ١٤، ح ٢٩.



خمس علامات: أولاهنَّ النداء في شهر رمضان، وخروج السفياي، وخروج الخراساني، وقتل النفس الزكيّة، وخسف بالبيداء»^(١).

(١٠-٣) الصدوق رحمته الله بسنده عن محمد بن مسلم الثقفي، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، يقول: «القائم منّا منصور بالرعب مؤيد بالنصر...»، قال: قلت: يا بن رسول الله متى يخرج قائمكم؟ قال: «إذا تشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال... وخروج السفياي من الشام، واليمني من اليمن، وخسف بالبيداء، وقتل غلام من آل محمد عليه السلام بين الركن والمقام، اسمه محمد بن الحسن النفس الزكية، وجاءت صيحة من السماء بأن الحق فيه وفي شيعته، فعند ذلك خروج قائمنا»^(٢).

(١١-٤) الصدوق رحمته الله: وبهذا الإسناد [حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمته الله قال: حدثنا الحسين بن الحسن بن أبان]، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن أبي عمير، عن عمر بن حنظلة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قبل قيام القائم خمس علامات محتمات: اليمني، والسفياي، والصيحة، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء»^(٣).

وهذا الحديث تام سنداً وفيه نصّ أن الخسف في البيداء من العلامات الحتمية.

وروى النعماني في غيبته بسنده عن عمر بن حنظلة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «للقائم خمس علامات: ظهور السفياي، واليمني، والصيحة من السماء، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء»^(٤)، ولم يذكر عبارة (محتمات)، ومثله في غيبة الطوسي^(٥).

١. الغيبة للنعماني: ص ٣٠١ و٣٠٢، باب ١٦، ح ٦.

٢. كمال الدين: ص ٣٣٠، باب ٣٢، ح ١٦.

٣. كمال الدين: ص ٦٥٠، باب ٥٤، ح ٧.

٤. الغيبة للنعماني: ص ٢٦١، باب ١٤، ح ٩.

٥. الغيبة للطوسي: ص ٤٣٦-٤٣٧، ح ٤٢٧.



(١٢-٥) الصدوق رحمته الله بسنده عن ميمون البان، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «خمس قبل قيام القائم عليه السلام: اليماني والسفياني والمنادي ينادي من السماء وخسف بالبيداء وقتل النفس الزكية»^(١).

وهذا الحديث كغيره نصّ في أن الخسف في البيداء من علامات الظهور، ولكنه لم ينصّ بأن الخسف علامة حتمية، ولكن السياق يشعر بذلك، حيث جعله في عرض واحد مع السفياني واليماني والصيحة وقتل النفس الزكية، وهي من العلامات الحتمية.

(١٣-٦) النعماني رحمته الله: بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: قلنا له: السفياني من المحتوم؟

فقال: «نعم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، والقائم من المحتوم، وخسف البيداء من المحتوم، وكف تطلع من السماء من المحتوم، والنداء من السماء». فقلت: وأي شيء يكون النداء؟

فقال: «منادي باسم القائم واسم أبيه عليه السلام»^(٢).

وهذا الحديث الشريف يذكر أن الخسف في البيداء علامة من علامات الظهور، وينصّ أنّها حتمية.

(١٤-٧) النعماني رحمته الله بسنده عن محمد بن الصامت، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: ما من علامة بين يدي هذا الأمر؟ فقال: «بلى». قلت: وما هي؟ قال: «هلاك العباسي، وخروج السفياني، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء، والصوت من السماء».

فقلت: جعلت فداك، أخاف أن يطول هذا الأمر؟

فقال: «لا، إنما هو كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً»^(٣).

١. كمال الدين: ص ٦٤٩، باب ٥٧، ح ١.

٢. الغيبة للنعماني: ص ٢٦٥-٢٦٦، باب ١٤، ح ١٥.

٣. الغيبة للنعماني: ص ٢٦٩-٢٧٠، باب ١٤، ح ٢١.



(١٥-٨) النعماني رحمته الله: بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «من المحتوم الذي لابد أن يكون من قبل قيام القائم: خروج السفيناني، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية، والمنادي من السماء»^(١).

وهذه الرواية أيضاً تدلّ على أن الخسف من العلامات الحتمية.

(١٦-٩) المفيد رحمته الله: عبد العزيز بن صهيب، عن أبي العالية، قال: حدثني مزرع بن عبد الله، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «أما والله ليقبلن جيش حتى إذا كان بالبيداء خسف بهم»، فقلت له: إنك لتحدثني بالغيب، قال: «احفظ ما أقول لك، والله ليكونن ما خبرني به أمير المؤمنين عليه السلام، وليؤخذن رجل فليقتلن وليصلبن بين شرفتين من شرف هذا المسجد»، قلت: إنك لتحدثني بالغيب، قال: «حدثني الثقة المأمون في ابن أبي طالب عليه السلام».

قال أبو العالية: فما أتت علينا جمعة حتى أخذ مزرع فقتل وصلب بين الشرفتين، قال: وقد كان حدثني بثلاثة فنسيتهما^(٢).

وهذه الرواية وإن لم يأت فيها ذكر الإمام المهدي عليه السلام وظهوره والعلامات، إلا أن هذا النوع من الإخبار عن المستقبل يُحمل على علامات الظهور بقرينة باقي الروايات التي نصّت على أن الخسف علامة من علامات الظهور.

فهي بحد ذاتها قد لا تدلّ على ما نحن بصدده، ولكنها تنفع في تراكم الاحتمال وتكوين التواتر الذي نبحث عنه.

(١٧-١٠) الراوندي رحمته الله: عن الإمام الباقر عليه السلام ضمن حديث طويل: «وكذلك إذا ظهر المهدي عليه السلام بمكة ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة، فنادى جبرائيل عليه السلام واجتمع إليه أصحابه من الآفاق، بعث السفيناني أكثر من عشرين ألف رجل يقولون: (لا حاجة لنا في بني علي)، فإذا بلغوا إلى

١. الغيبة للنعماني: ص ٢٧٢، باب ١٤، ح ٢٦.

٢. الإرشاد: ج ١، ص ٣٢٦-٣٢٧؛ مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ١٠٧؛ مدينة المعاجز: ج ٢، ص ١٧٩.

البيداء خسف الله بهم الأرض فلا يبقى إلا رجلان منهم، ينصرف أحدهما إلى السفيناني، والآخر يخرج إلى مكة وقد صار قفاهما إلى موضع وجهيهما يخبران الناس بحال عسكر السفيناني...»^(١).

(١٨-١١) الطوسي رحمته الله بسنده عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «خطب سلمان، فقال: الحمد لله الذي هداني لدينه بعد جحودي له... ألا إن لبني أمية في بني هاشم نطحات. ألا إن بني أمية كالناقة الضروس تعض بفيها وتخبط بيديها وتضرب برجلها وتمنع درها. ألا إنه حق على الله أن يذل باديها وأن يظهر عليها عدوها مع قذف من السماء وخسف ومسح وسوء الخلق حتى أن الرجل ليخرج من جانب حجسته إلى صلاة فيمسخه الله قرداً. ألا وفتان تلتقيان بتهماة كلتاها كافرتان، ألا وخسف بكلب وما أنا وكلب، والله لولا ما^(٢) لأريتكم مصارعهم ألا وهو البيداء ثم يجيء ما تعرفون. فإذا رأيتم أيها الناس الفتن كقطع الليل المظلم يهلك فيها الراكب الموضع والخطيب المصقع والرأس المتبوع، فعليكم بآل محمد فإنهم القادة إلى الجنة والدعاة إليها إلى يوم القيامة...»^(٣).

(١٩-١٢) الطبري رحمته الله بسنده عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، عشر خصال قبل يوم القيامة، ألا تسألني عنها؟ قلت: بلى، يا رسول الله، قال: اختلاف وقتل أهل الحرمين، والرايات السود، وخروج السفيناني، وافتتاح الكوفة، وخسف بالبيداء، ورجل منا أهل البيت يبايع له بين زمزم والمقام، يركب إليه عصائب أهل العراق وأبدال الشام، ونجباء أهل مصر، وتصير أهل اليمن عدتهم عدة أهل بدر، فيتبعه بنو كلب

١. الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٩٢٦.

٢. في بعض النسخ (لولا ما لولا)، بمعنى لولا ما يلزم من محاذير لأريتكم مصارعهم.

٣. رجال الكشي: ج ١، ص ٨٢-٨٥، ضمن ح ٤٧.



يوم الأعماق، قلت: يا رسول الله، ما بنو كلب؟ قال: هم أنصار السفيناني، يريد قتل الرجل الذي يبايع له بين زمزم والمقام، ويسير بهم فيقتلون وتباع ذراريهم على باب مسجد دمشق، والحائب من غاب عن غنيمة كلب ولو بعقال»^(١).

ما ورد في كتب السنة:

(٢٠-١٣) نعيم بن حماد بسنده عن عبد الله بن عمرو ولم يسنده إلى النبي ﷺ: علامة خروج المهدي خسف يكون بالبيداء بجيش، هو علامة خروجه^(٢).

(٢١-١٤) نعيم بن حماد بسنده عن حفصة زوج النبي ﷺ [قالته]: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي جيش من قبل المغرب يريدون هذا البيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم، فيرجع من كان أمامهم لينظر ما فعل القوم فيصيبهم ما أصابهم ويلحق بهم من خلفهم لينظر ما فعلوه فيصيبهم ما أصابهم فمن كان مستكراً أصابهم ما أصابهم ثم يبعث الله تعالى كل امرئ منهم على نيته»^(٣).

ذكرنا هذا الحديث في هذا القسم لعدم معرفة مبدأ جيش السفيناني، فهذه الرواية ذكرت أنه من قبل المغرب، وفي بعض المصادر ذكرت أنه من قبل المشرق، ولكن المدينة المنورة والتي سيتين من مجموع الروايات أنها هي مبدأ انطلاقهم لمكة تقع شمال مكة فلا هي من المغرب ولا هي من المشرق، وكذلك الشام التي هي المبدأ الأول للجيش كذلك تقع شمال المدينة ومكة.

١. دلائل الإمامة: ص ٤٦٥-٤٦٦، ح ٤٥٠/٥٤، معجم أحاديث الإمام المهدي ﷺ: ج ١، ص ٥٠٦، ح ٣٤٨.

٢. الفتن للمروزي: ص ٢٠٢، عنه الملاحم والفتن لابن طاووس: ص ١٦١، الباب ١٦٨، ح ٢١٠.

٣. الفتن للمروزي: ص ٢٠٢-٢٠٣؛ وفي كنز العمال: ج ١٢، ص ٢٠٧-٢٠٨، ح ٣٤٦٨٨؛ والدر المشور: ج ٥، ص ٢٤١، ورد من قبل المشرق بدل من قبل المغرب.



(٢٢-١٥) نعيم بن حماد: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «يبعث إلى مكة جيش من الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم»^(١).

(٢٣-١٦) الحاكم النيسابوري بسنده عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج رجل يقال له السفياي في عمق دمشق وعامة من يتبعه من كلب، فيقتل حتى يقرر بطون النساء ويقتل الصبيان فتجمع لهم قيس فيقتلها حتى لا يمنع ذنب تلعة^(٢)، ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرة فيبلغ السفياي فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمهم فيسير إليه السفياي بمن معه حتى إذا صار ببيداء من الأرض خسف بهم، فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم». هذا حديث صحيح الأسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه^(٣).

(٢٤-١٧) القاضي المغربي: وعن الدغشي، يرفعه إلى رسول الله ﷺ، أنه قال: «يخرج بعدي من بني هاشم رجل يبايع بين الركن والمقام، فيغلب صاحب الشام أربعة آلاف يخسف لهم بالبيداء، ثم يسير إليهم، والمحروم من حرم غنيمتهم، ثم يملك بعد ذلك سبع سنين، فهذا مما ينتظر ويكون يبايع الناس الإمام يومئذ بين الركن والمقام، يهلك الله تعالى عدوه كما وعد بذلك على لسان نبيه بحوله وقوته»^(٤).

(٢٥-١٨) نعيم بن حماد بسنده عن علي [عليه السلام]: «إذا بعث السفياي إلى المهدي جيشاً فخسف بهم بالبيداء، وبلغ ذلك أهل الشام، قالوا لخليفتهم: قد خرج المهدي فبايعه وادخل في طاعته وإلا قتلناك، فيرسل إليه بالبيعة،

١. الفتن للمروزي: ص ٢٠٣.

٢. حتى لا يمنع ذنب تلعة: مثل للسيل إذا زاد فلا تمتنع منه الأرض العالية. والتلعة مسيل الماء من أعلاه.

٣. المستدرك للحاكم النيسابوري: ج ٤، ص ٥٢٠.

٤. شرح الأخبار: ج ٣، ص ٤٠١، ح ١٢٨٥.



ويسير المهدي حتى ينزل بيت المقدس، وتنقل إليه الحزائن، وتدخل العرب والعجم وأهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته من غير قتال حتى تبنى المساجد بالقسطنطينية وما دونها، ويخرج قبله رجل من أهل بيته بأهل الشرق، ويحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل ويمثل ويتوجه إلى بيت المقدس، فلا يبلغه حتى يموت»^(١).

وهذا الحديث وإن كان فيه نظر - كما عبّر السيد ابن طاووس حينما أورده - إلا أن مورد الريب الذي فيه لا يتعلّق بأصل حدوث الخسف بجيش السفيناني في البيداء، إنما فيما بعده، ولذلك فهو نافع في تراكم الاحتمال.

(٢٦-١٩) حماد بن نعيم: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يبعث إلى مكة جيش من الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم»^(٢).

(٢٧-٢٠) نعيم بن حماد بسنده عن كعب، قال: (يوجه جيش إلى المدينة في اثني عشر ألفاً، فيخسف بهم بالبيداء)^(٣).

(٢٨-٢١) نعيم بن حماد بسنده عن علي [عليه السلام]، قال: «إذا نزل جيش في طلب الذين خرجوا إلى مكة فنزلوا البيداء خسف بهم وبياد بهم وهو قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا فُوتَ وَأَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١] من تحت أقدامهم، ويخرج رجل من الجيش في طلب ناقة له ثم يرجع إلى الناس فلا يجد منهم أحداً ولا يحس بهم، وهو الذي يحدث الناس بخبرهم»^(٤).

١. الفتن للمروزي: ص ٢١٦، عنه الملاحم والفتن لابن طاووس: ص ١٣٩، باب ١٣٣، ح ١٦١.
٢. الفتن للمروزي: ص ٢٠٣، عنه الملاحم والفتن لابن طاووس: ص ١٥٨، باب ١٦٥، ح ٢٠٥.
٣. الفتن للمروزي: ص ٢٠٣، عنه الملاحم والفتن لابن طاووس: ص ١٦٠، باب ١٦٧، ح ٢٠٩.
٤. الفتن للمروزي: ص ٢٠٣، عنه الملاحم والفتن لابن طاووس: ص ١٥٩، باب ١٦٦، ح ٢٠٧.



وهذا الحديث لم يصرّح فيه بمبدأ انطلاق الجيش المتوجه إلى مكة، ولذا ذكر في هذا القسم وليس في قسم الروايات المصرّحة بأنّ الخسف يكون في بيداء المدينة.

القسم الثالث: الروايات المصرّحة أن الخسف يكون في البيداء التي بين مكة والمدينة:

وفي هذا القسم سنذكر الروايات التي صرّحت بأن الخسف يكون في البيداء وأن البيداء هي بيداء المدينة والتي تقع في طريق الخارج من المدينة قاصداً مكة:

ما ورد في كتب الشيعة:

(٢٩-١) العياشي رحمته الله: عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام يقول: «الزم الأرض، لا تحركن يدك ولا رجلك أبداً حتى ترى علامات أذكرها لك في سنة... ويظهر السفياي ومن معه حتى لا يكون له همة إلا آل محمد عليهم السلام وشيعتهم... ويبعث بعثاً إلى المدينة فيقتل بها رجلاً ويهرب المهدي والمنصور منها، ويؤخذ آل محمد صغيرهم وكبيرهم لا يترك منهم أحد إلا حبس، ويخرج الجيش في طلب الرجلين ويخرج المهدي منها على سنة موسى خائفاً يترقب حتى يقدم مكة وتقبل الجيش حتى إذا نزلوا البيداء وهو جيش الهملات^(١) خسف بهم فلا يفلت منهم إلاّ مخبر...»^(٢).

والذي يستظهر من هذه الرواية أن الخسف يقع في البيداء التي تكون بين المدينة ومكة، إذ إن جيش السفياي يكون في المدينة (ويبعث بعثاً إلى المدينة) والمهدي يكون قد خرج منها إلى مكة، فليحقه الجيش، أي يتوجه من المدينة إلى مكة حتى إذا حلّ بالبيداء خسف به.

١. وفي بعض النسخ (جيش الهلاك).

٢. تفسير العياشي: ص ٦٤-٦٥، ح ١١٧.



(٣٠-٢) النعماني رحمته الله بسنده عن الحارث الهمداني، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «المهدي أقبل، جعد، بخده خال، يكون من قبل المشرق، وإذا كان ذلك خرج السفيناني، فيملك قدر حمل امرأة تسعة أشهر، يخرج بالشام فينقاد له أهل الشام إلا طوائف من المقيمين على الحق، يعصمهم الله من الخروج معه، ويأتي المدينة بجيش جرار حتى إذا انتهى إلى بيداء المدينة خسف الله به، وذلك قول الله عز وجل في كتابه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١]»^(١).

(٣١-٣) المجلسي رحمته الله: تفسير العياشي: عن إبراهيم بن عمر، عمن سمع أبا جعفر عليه السلام يقول: «إن عهد نبي الله صار عند علي بن الحسين عليه السلام، ثم صار عند محمد بن علي، ثم يفعل الله ما يشاء، فالزم هؤلاء، فإذا خرج رجل منهم معه ثلاثمائة رجل ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عامداً إلى المدينة حتى يمر بالبيداء، فيقول: هذا مكان القوم الذين خسف بهم، وهي الآية التي قال الله: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [النحل: ٤٥-٤٦]»^(٢).

فظاهر الرواية أن الرجل الذي سيخرج هو الإمام المهدي عليه السلام، وهي نصّ في أن بيداء المدينة هي المكان الذي سيحصل فيه الخسف - وكذا الرواية السابقة -.

(٣٢-٤) الحميري رحمته الله: محمد بن عبد الحميد، وعبد الصمد بن محمد، جميعاً عن حنان بن سدير قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن خسف البيداء

١. الغيبة للنعماني: ص ٣١٦، باب ١٨، ح ١٤٤.

٢. بحار الأنوار: ج ٥١، ص ٥٦، ح ٤٤٤ عن تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٦١، ح ٣٤.



قال: «أمام مصيرا^(١) على البريد، على اثني عشر ميلاً من البريد الذي بذات الجيش»^(٢).^(٣)

ويمكن أن نعتبر هذه الرواية نصّاً في أنّ الخسف يكون في البيداء التي تكون بين مكة والمدينة، باعتبار أن (مصيرا) هي وادي الصفراء وهو وادٍ معروف بين مكة والمدينة، وإنّ أبيت وأصررت على أنّ (مصيرا) لفظ مجمل حمّال لوجوه لا يمكن إحراز المراد منه، فإنّ للرواية دلالة أخرى بغضّ النظر عن المراد من مصيرا، فقد نصّت أن الخسف يقع على اثني عشر ميلاً من البريد الذي بذات الجيش، و(ذات الجيش) منطقة معروفة بين مكة والمدينة كما عن معجم البلدان.

وبالتالي فإنّ هذه الرواية تعطي عنواناً دقيقاً للمكان الذي يحصل فيه الخسف.

(٣٣-٥) [الطبرسي] قال [أبو حمزة الثمالي]: وحدثني عمرو بن مرة، وحران بن أعين أنّهما سمعا مهاجراً المكي يقول: سمعت أم سلمة تقول: قال

١. اختلفت النسخ في نقل هذه الكلمة، ففي نسخة (هـ): صهراً، وفي نسخة (خـ): مصراً، ويبدو أنّ تصحيحاً وقع في نقلها فتضاربت النسخ في ذلك، لأنه لا وجود لأماكن تعرف بهذه الأسماء، ناهيك عن أطراف المدينة المنورة وما حولها حيث تذكر الروايات وقوع الخسف المعروف في هذه الأماكن، وهكذا فعمل الصواب هو: الصفراء، وهو وادٍ من ناحية المدينة كثير النخل والزرع والخير في طريق الحاج، وسلكه رسول الله ﷺ غير مرة، وبينه وبين بدر مرحلة، أو: صفر (بفتح أوله وثانيه) وهو جبل أحمر من جبال ملل قرب المدينة (هامش قرب الإسناد: ص ١٢٣).

٢. ذات الجيش: جعلها بعضهم من العقيق بالمدينة، وأنشد لعروة بن أذينة: كاد الهوى، يوم ذات الجيش، يقتلني لمنزل لم يهج للشوق من صقب، ويقال: إن قبر نزار بن معد وقبرانيه ربيعة بذات الجيش، وقال بعضهم: أولات الجيش موضع قرب المدينة وهو واد بين ذي الحليفة وبرثان، وهو أحد منازل رسول الله ﷺ إلى بدر وإحدى مراحل عند منصرفه من غزاة بني المصطلق، وهناك جيش رسول الله ﷺ في ابتغاء عقد عائشة ونزلت آية التيمم. (معجم البلدان: ج ٢، ص ٢٠٠-٢٠١).

٣. قرب الإسناد: ص ١٢٣، ح ٤٣٢؛ عنه بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٨١، ح ٣.



رسول الله ﷺ: «يعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه جيش حتى إذا كانوا بالبيداء يبداء المدينة خسف بهم»^(١).

(٣٤-٦) سليم بن قيس: أمير المؤمنين عليه السلام: «يا معاوية إن رسول الله ﷺ قد أخبرني أن بني أمية سيخضبون لحيتي من دم رأسي، وأني مستشهد، وستلي الأمة من بعدي... وأن رجلاً من ولدك مشوم ملعون، جلف جاف، منكوس القلب، فظ غليظ، قد نزع الله من قلبه الرأفة والرحمة، أخواله من كلب، كأني أنظر إليه، ولو شئت لسميته ووصفته وابن كم هو، فيبعث جيشاً إلى المدينة فيدخلونها، فيسرفون فيها في القتل والفواحش، ويهرب منهم رجل من ولدي، زكي نقي، الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وإني لأعرف اسمه وابن كم هو يومئذٍ وعلامته، وهو من ولد ابني الحسين الذي يقتله ابنك يزيد، وهو الثائر بدم أبيه فيهرب إلى مكة، ويقتل صاحب ذلك الجيش، رجلاً من ولدي زكياً برياً عند أحجار الزيت، ثم يسير ذلك الجيش إلى مكة، وإني لأعلم اسم أميرهم وأسمائهم وسمات خيولهم، فإذا دخلوا البيداء واستوت بهم الأرض خسف الله بهم. قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا

١. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٨٦، ضمن ح ١١؛ عن تفسير مجمع البيان: ج ٨، ص ٢٢٨، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا﴾ (سبأ: ٥١)، وكذلك ورد هذا الحديث في كثير من مصادر العامة: منها صحيح مسلم: ج ٨، ص ١٦٦-١٦٧، باب (الخشف بالجيش الذي يؤم البيت)، كما يلي: (حدثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم (واللفظ لقتيبة) قال: إسحاق أخبرنا وقال الأخران: حدثنا جرير عن عبد العزيز بن رفيع عن عبيد الله بن القبطية، قال: دخل الحارث بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان وأنا معهما على أم سلمة أم المؤمنين فسألاها عن الجيش الذي يخسف به، وكان ذلك في أيام ابن الزبير، فقالت: قال رسول الله ﷺ: «يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم»، فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارهاً؟ قال: «يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته» وقال أبو جعفر: «هي بيداء المدينة».

وكذلك صحيح ابن حبان: ج ١٥، ص ١٥٧؛ والمعجم الكبير: ج ٢٣، ص ٣٢٢، (وليس فيه: قال أبو جعفر...)، وكنز العمال: ج ١٢، ص ٢٠٣، وغيرها.



فَلَا قُوَّةَ وَأَخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿سبأ: ٥١﴾، قال: من تحت أقدامهم فلا يبقى من ذلك الجيش أحد غير رجل واحد، يقرب الله وجهه من قبل قفاه، ويبعث الله للمهدي أقواماً يجمعون من الأرض قرعاً كقرع الخريف، والله إني لأعرف أسماءهم واسم أميرهم ومناخ ركابهم، فيدخل المهدي الكعبة ويكي ويتضرع^(١).

وهذه الرواية أيضاً نصّ في أنّ جيش السفيناني يخرج من المدينة قاصداً مكة فيخسف به في البيداء التي تكون بين مكة والمدينة.

(٧-٣٥) الحميري رحمته الله: حدثني محمد بن عبد الحميد العطار قال: حدثني عاصم بن حميد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما انتهى إلى البيداء حيث الميل قربت له ناقة فركبها، فلما انبعثت به لبي بالأربع فقال: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، ثم قال: ها هنا يخسف بالأخابث^(٢).

وهو صحيح السند، صريح بأن الخسف يقع في بيدة المدينة، حيث إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان قاصداً الحج وهو في المدينة، فلا شك أن البيداء في هذا الخبر هي بيدة المدينة، ولفظ (البيداء) هنا إما اسم علم لخصوص بيدة المدينة - كما سثبت ذلك -، أو أنّ الألف واللام فيه عهدية تشير إلى مكان مشخّص ومحدد هو الذي سيقع فيه الخسف.

(٨-٣٦) الطوسي رحمته الله: الحسين بن سعيد عن صفوان عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا صليت عند الشجرة فلا تلبّ حتى تأتي البيداء حيث يقول الناس يخسف بالجيش»^(٣).

١. كتاب سليم بن قيس: ص ٣٠٩-٣١٠.

٢. قرب الإسناد: ص ١٢٥، ح ٤٣٨، ومثله باختلاف يسير في الأصول الستة عشر: ص ١٤٧-١٤٨، ح ٥٤، عن أصل عاصم بن حميد الخناط.

٣. الاستبصار: ج ٢، ص ١٧٠، ح ٢؛ تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٨٤، ح ٢٧٨/٨٦.



والحديث صحيح السند، والمراد من الشجرة هو مسجد الشجرة الذي هو ميقات أهل المدينة، والمستفاد من هذا الحديث أمران:
الأول: أن الخسف يقع في البيداء التي تكون بين مكة والمدينة بعد مسجد الشجرة.

والثاني: أن فكرة الخسف في البيداء فكرة واضحة راسخة في الذهنية الإسلامية العامة، بل وأن مكانها معروف محدد مشخص لدى عامة الناس، ففي هذا الخبر ليس الإمام هو من أخبر بأن الخسف يكون في هذا المكان المحدد، بل هو أشار إلى ما هو معروف لدى عامة الناس، حتى أن مكان الخسف أصبح علامة دالة لشدة وضوحه حينها، فأمر بالتلبية في المكان الذي يخسف فيه بالجيش.

ولا يقال: إن الرواية أجنبية عن المطلب، إذ لم تشخص الجيش الذي سيخسف به؛ فلا ريب أن الرواية تشير إلى جيش السفيناني الذي يخسف به حينما يكون متوجهاً إلى مكة، وذلك لعشرات القرائن المنفصلة في الروايات الأخرى، بل إن شدة وضوح هذا الأمر ورسوخه في أذهان الناس يُشكّل قرينة متصلة على المراد.

(٣٧-٩) الحسن بن سلمان الحلي بسنده عن المفضل ابن عمر (في حديث طويل) قال الإمام الصادق عليه السلام: «ثم يظهر السفيناني ويسير جيشه إلى العراق فيخربه ويحرب الزوراء وتركهما جماء ويحرب الكوفة والمدينة وتروث بغالهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وجيش السفيناني يومئذ ثلاثمائة ألف رجل بعد أن حرب الدنيا، ثم يخرج إلى البيداء يريد مكة وخراب البيت، فلما صار بالبيداء وعرس فيها صاح بهم صائح يا بيدااء أيديهم فقتلهم الأرض بخيلهم، فبقي اثنان فينزل ملك فيحول وجوههما إلى ورائهما ويقول: يا بشير امض



إلى المهدي وبشره بهلاك جيش السفياي، وقال للذي اسمه نذير: امض إلى السفياي فعرفه بظهور المهدي عليه السلام، مهدي آل محمد عليه السلام»^(١).

(٣٨-١٠) الحسن بن سلمان الحلبي: عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة (المخزون): «وخروج السفياي براية خضراء وصليب من ذهب أميرها رجل من كلب واثني عشر ألف عنان من خيل يحمل السفياي متوجهاً إلى مكة والمدينة أميرها أحد من بني أمية يقال له خزيمة، أطمس العين الشمال، على عينه طرفة تميل بالدنيا فلا ترد له راية حتى ينزل المدينة فيجمع رجالاً ونساءً من آل محمد عليه السلام فيحبسهم في دار بالمدينة يقال لها دار أبي الحسن الأموي، ويبعث خيلاً في طلب رجل من آل محمد عليه السلام قد اجتمع إليه رجال من المستضعفين بمكة، أميرهم رجل من غطفان حتى إذا توسطوا الصفائح البيض بالبيداء يخسف بهم فلا ينجو منهم أحد إلا رجل واحد يحول الله وجهه في قفاه لينذرهم وليكون آية لمن خلقه، فيومئذ تأويل هذه الآية ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١]»^(٢).

(٣٩-١١) المجلسي رحمته الله يرفعه إلى الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام: «وخروج السفياي براية حمراء أميرها رجل من بني كلب واثني عشر ألف عنان من خيل السفياي يتوجه إلى مكة والمدينة أميرها رجل من بني أمية يقال له: خزيمة، أطمس العين الشمال، على عينه ظفرة غليظة يتمثل بالرجال، لا ترد له راية حتى ينزل المدينة في دار يقال لها: دار أبي الحسن الأموي ويبعث خيلاً في طلب رجل من آل محمد وقد اجتمع إليه ناس من الشيعة يعود إلى مكة، أميرها رجل من غطفان إذا توسط القاع الأبيض خسف بهم فلا ينجو إلا رجل يحول الله وجهه إلى قفاه لينذرهم، ويكون آية

١. مختصر بصائر الدرجات: ص ١٨٥.

٢. مختصر بصائر الدرجات: ص ١٩٩.



لمن خلفهم، ويومئذ تأويل هذه الآية ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١]»^(١).

(٤٠-١٢) الحسين بن حمدان الخصبي بسنده عن محمد بن المفضل عن الصادق عليه السلام في حديث طويل: «... ثم يقبل على القائم رجل وجهه إلى قفاه وقفاه إلى صدره ويقف بين يديه فيقول أنا وأخي بشير أمرني ملك من الملائكة أن الحق بك وأبشرك بهلاك السفيناني بالبيداء، فيقول له القائم: بين قفتك وقصة أخيك نذير، فيقول الرجل: كنت وأخي نذيراً في جيش السفيناني فخربنا الدنيا من دمشق إلى الزوراء وتركناهم حمماً وخربنا الكوفة وخربنا المدينة وروثت أباغنا في مسجد رسول الله، وخرجنا منها نريد مكة وعددنا ثلاثمائة ألف رجل نريد مكة والمدينة وخراب البيت العتيق وقتل أهله، فلما صرنا بالبيداء عرسنا بها فصاح صائح يا بيداء بيدي بالقوم الكافرين، فانفجرت الأرض وابتلعت ذلك الجيش، فوالله ما بقي على الأرض عقاب ناقة ولا سواه غيري وأخي نذير، فإذا بملك قد ضرب وجوهنا إلى وراء كما ترانا وقال لأخي: ويلك يا نذير النذير الملعون بدمشق بظهور مهدي آل محمد وأن الله قد أهلك جيشه بالبيداء وقال لي: يا بشير الحق بالمهدي بمكة فبشره بهلاك السفيناني وتب على يده فإنه يقبل توبتك فيمير القائم يده على وجهه فيرده سوياً كما كان ويباعه ويسير معه»^(٢).

(٤١-١٣) النعماني رحمه الله: بسنده عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام (في حديث طويل): «... ويبعث السفيناني بعثاً إلى المدينة فينفر المهدي منها إلى مكة، فيبلغ أمير جيش السفيناني أن المهدي قد خرج إلى مكة، فيبعث جيشاً على أثره فلا يدركه حتى يدخل مكة خائفاً

١. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٢٧٣، ضمن ح ١٦٧.

٢. الهداية الكبرى: ص ٣٩٨.



يترقب على سنة موسى بن عمران عليه السلام، وقال: فينزل أمير جيش السفياي
البيداء فينادي مناد من السماء: يا بيداء، بيدي القوم، فيخسف بهم، فلا
يفلت منهم إلا ثلاثة نفر، يحول الله وجوههم إلى أفقيتهم، وهم من كلب،
وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آوَتُْوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا
لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَرَدَّهَا عَلَىٰ أَذْبَارِهَا﴾ [النساء: ٤٧]...^(١).

(٤٢-١٤) المجلسي رحمته الله: وروي عن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وآله ذكر
فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، قال: «فيينا هم كذلك يخرج عليهم
السفياي من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين،
جيشاً إلى المشرق وآخر إلى المدينة... ويحل الجيش الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة
أيام بلياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله
جبرئيل فيقول: يا جبرئيل! اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله
بهم عندها ولا يفلت منها إلا رجلان من جهينة، فلذلك جاء القول: (وعند
جهينة الخبر اليقين) فذلك قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا﴾ إلى آخرها، أورده
الثعلبي في تفسيره^(٢).

وبما أن جيش السفياي انتهب المدينة ثلاثاً وخرج منها قاصداً مكة فخُسف
به في البيداء، فلا ريب أن المراد من البيداء هنا هو بيداء المدينة.
ما ورد في كتب السنة:

(٤٣-١٥) يوسف بن يحيى المقدسي: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «... ويخرج
جيش آخر من جيوش السفياي إلى المدينة، فينتهبونها ثلاثة أيام، ثم يسرون
إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله تعالى جبرئيل عليه السلام، فيقول: يا جبرئيل

١. الغيبة للنعاني: ص ٢٨٨-٢٩١، باب ١٤، ح ٦٧؛ ومثله في الاختصاص: ص ٢٥٦.

٢. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٨٦-١٨٧، ضمن ح ١١؛ عن تفسير مجمع البيان: ج ٨، ص ٢٢٨.



عذبهم. فيضربهم برجله ضربة يخسف الجيش، فلا يهوله، فلا يبقى منهم إلا رجلاً، فيقدمان على السفيناني فيخبرانه بخسف الجيش، فلا يهوله...»^(١).

(٤٤-١٦) ابن شبة النميري بسنده عن أبي هريرة، قال: (يجيء جيش من قبل الشام حتى يدخل المدينة، فيقتلون المقاتلة ويقترون بطون النساء ويقولون للحبلى في البطن: اقتلوا صباية السوء، فإذا علوا البيداء من ذي الحليفة خسف بهم، فلا يدرك أسفلهم أعلاهم ولا أعلاهم أسفلهم). قال أبو المهزم: فلما جاء جيش حبيش بن دلجة قلنا: هم، فلم يكونوا هم^(٢).

من الناحية الدلالية يمكن أن يستفاد من هذا الحديث أمران:

الأول: المكان الدقيق للخسف وهو البيداء التي تكون بين مكة والمدينة والتي تكون قرب ذي الحليفة، وسيأتي أن بداية البيداء من عند ذي الحليفة. والثاني: أن فكرة الجيش الذي يقصد مكة فيخسف به في بيداء المدينة هي فكرة راسخة في الذهنية الإسلامية منذ ذلك الوقت، حتى أن المسلمين ينتظرون ذلك الجيش، ويطبقون هذه الفكرة على عدة جيوش مرت بهذه المنطقة ويظنون أن هذا الجيش هو الجيش الذي سيخسف به ثم يبين خطأهم، ومن ضمن هذه الجيوش جيش حبيش بن دلجة الذي ظن أبو المهزم ومن معه أنه الجيش الذي سيخسف به.

وهذه الاستفادة الثانية تتم حتى وإن لم يتم السند.

(٤٥-١٧) نعيم بن حماد: بسنده عن ابن عباس: (يبعث صاحب المدينة إلى الهاشميين بمكة جيشاً فيهزم موهم، فيسمع بذلك الخليفة بالشام فيقطع إليهم بعثاً فيهم ستمائة عريف، فإذا أتوا البيداء فنزلوها في ليلة مقمرة أقبل راعي ينظر إليهم ويعجب ويقول: يا ويح أهل مكة ما أصابهم فينصرف إلى

١. عقد الدرر: ص ٨١، الفصل الثاني في الخسف بالبيداء.

٢. تاريخ المدينة: ج ١، ص ٢٧٩.



غنمه ثم يرجع فلا يرى أحداً، فإذا هم قد خسف بهم، فيقول: سبحان الله، ارتحلوا في ساعة واحدة فيأتي منزلهم فيجد قطيفة قد خسف ببعضها وبعضها على ظهر الأرض فيعالجها فلا يطيقها، فيعرف أنه قد خسف بهم فينطلق إلى صاحب مكة فيبشره فيقول صاحب مكة الحمد لله هذه العلامة التي كتتم تحبسون فيسيرون إلى الشام»^(١).

وهذا الحديث أيضاً صريح بأن الخسف يكون بين مكة والمدينة لأن الجيش يتوجه من الشام قاصداً مكة، والشام تقع شمال المدينة، والمدينة شمال مكة، فمن الطبيعي أن يمرّ الجيش بالمدينة ثم ببدايتها فيقع الخسف فيه، وإن أبيت كونه نصّاً في المطلوب فأقل ما يقال فيه إنه ظاهر فيه.

(٤٦-١٨) يوسف بن يحيى المقدسي: عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«... ثم يرجع [أي السفيناني] دمشق، وقد دان له الخلق، فيجيش جيشين؛ جيش إلى المدينة، وجيش إلى المشرق، فأما جيش المشرق فيقتلون بالزوراء سبعين ألفاً، ويقرّون بطون ثلاثمائة امرأة، ويخرج الجيش إلى الكوفة، فيقتل بها خلقاً، وأما جيش المدينة إذا توسطوا البيداء صاح به صائح، وهو جبريل عليه السلام، فلا يبقى منهم أحد إلا خسف الله به، ويكون في أثر الجيش رجلاً، يقال لها بشير ونذير، فإذا أتيا الجيش لم يريا إلا رؤوساً خارجة على الأرض، فيسألان جبريل عليه السلام: ما أصاب الجيش؟ فيقول: أتما منهم؟ فيقولان: نعم. فيصيح بهما، فتتحول وجوههما القهقرى»^(٢).

والمراد من البيداء في هذه الرواية هو البيداء بين مكة والمدينة، بقرينة قوله:

«جيش المدينة».

١. الفتن للمرزوقي: ص ٢٠٢.

٢. عقد الدرر: ص ٩٠-٩٢.



(٤٧-١٩) ابن بطريق: وبالإسناد أيضاً قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يونس بن محمد حدثنا القاسم بن الفضل الحداني، عن محمد بن زياد، عن عبد الله بن الزبير: أن عائشة قالت: عبث رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله، صنعت شيئاً في منامك لم تكن تفعله، فقال: «العجب، إن ناساً من أمتي يؤمون البيت برجل من قريش قد لجأ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم»، فقلنا يا رسول الله، أن الطريق قد يجمع الناس؟ قال: «نعم، فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل، يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم».

وبالإسناد المقدم أيضاً قال: حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير حدثنا عبد العزيز بن رفيع بهذا الحديث، وفي حديثه قال: فلقيت أبا جعفر فقلت: إنها إنما قالت: بيداء من الأرض. فقال أبو جعفر: «كلا، والله إنها لبيداء المدينة»^(١).
(٤٨-٢٠) نعيم بن حماد، عن ذي قربات، قال: (إذا بلغ السفياي الذي بمصر بعث جيشاً إلى الذي بمكة فيخربون المدينة أشد من الحرة حتى إذا بلغوا البيداء خسف بهم)^(٢).

والحديث صريح في أن الخسف يقع في بيداء المدينة، حيث إن جيش السفياي يقصد مكة وفي طريقه إليها يخرب المدينة ويكمل طريقه إلى مكة حتى يصل البيداء بينهما فيخسف به.

(٤٩-٢١) نعيم بن حماد بسنده عن ابن مسعود، قال: (يبعث جيش إلى المدينة فيخسف بهم بين الجماوين، وتقتل النفس الزكية)^(٣).

والحديث أيضاً صريح في أن الخسف يقع في بيداء المدينة، حيث إن الجماوين

١. عمدة عيون صحاح الأخبار: ص ٤٢٧-٤٢٨، ح ٨٩٥ و ٨٩٦.

٢. الفتن للمروزي: ص ٢٠٣، عنه الملاحم والفتن لابن طاووس: ص ١٥٨، باب ١٦٤، ح ٢٠٤.

٣. الفتن للمروزي: ص ٢٠٣، عنه الملاحم والفتن لابن طاووس: ص ١٥٩، باب ١٦٧، ح ٢٠٨.



هما هضبتان عن يمين الطريق للخارج من المدينة إلى مكة كما عن معجم البلدان^(١).

(٥٠-٢٢) وعن أم سلمة عن النبي ﷺ قال: «يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام، وعصائب أهل العراق فيبايعونه، ثم ينشأ (رجل) من قريش، أخواله كلب، فيبعث إليهم بعثاً، فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب، ويعمل في الناس بسنة نبهم، ويلقي الاسلام بجرانه في الأرض، فيلبث سبع سنين. ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون» رواه أبو داود، ورواه أحمد وأبو يعلى والبيهقي، كما في جواهر العقدين^(٢).

(٥١-٢٣) الهيثمي: وعن أنس أن رسول الله ﷺ [كان نائماً في بيت أم سلمة، فانتبه وهو يسترجع، فقلت: يا رسول الله، ممّ تسترجع؟ قال: «من قبل جيش يجيء من قبل العراق في طلب رجل من المدينة يمنعه الله منهم، فإذا علوا البيداء من ذي الحليفة خسف بهم فلا يدرك أعلاهم أسفلهم ولا يدرك أسفلهم أعلاهم إلى يوم القيامة» ومصادرهم شتى قال إن فيهم أو منهم من جبر^(٣).

١. معجم البلدان ٢: ١٥٨.

٢. ينابيع المودة: ج ٣، ص ٢٥٧؛ وورد أيضاً في عمدة عيون صحاح الأخبار: ص ٤٣٣-٤٣٤، ج ٩١١؛ ومسند أحمد: ج ٦، ص ٣١٦؛ وسنن أبي داود: ج ٢، ص ٣١٠-٣١١؛ وصحيح ابن حبان: ج ١٥، ص ١٥٨-١٥٩؛ وبحار الأنوار: ج ٥١، ص ٨٨، عن محمد بن يوسف الشافعي في كتاب كفاية الطالب الذي أخرج الحديث من كتب العامة.

٣. مجمع الزوائد: ج ٧، ص ٣١٦.



وهذا الحديث رغم ضعف سنده، ورغم أنه ذكر أن مبدأ الجيش من قبل العراق وهو خلاف لما ثبت من أن مبدأ الشام، إلا أنه نص في أن الخسف يكون في البيداء بين مكّة والمدينة، حيث إن (ذا الحليفة) قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة، ومنها ميقات أهل المدينة^(١).

المستفاد من مجموع الروايات:

هذه مجموعة من الروايات التي تعرضت للخسف في البيداء من مصادرنا ومصادر العامة، وهناك غيرها الكثير لم نوردتها كلها هنا مراعاةً للمقام. والمستفاد من مجموع هذه الروايات هو القطع أو - لا أقل - الاطمئنان بأن هناك جيشاً للسفياي ينطلق من المدينة إلى مكّة قاصداً الفتك بصاحب العصر والزمان عليه السلام، فتحسف به الأرض في البيداء، وأن البيداء المقصودة من الروايات هي بيداء معيّنة محددة وليست مجملة مجهولة، وهي البيداء التي تكون بين مكّة والمدينة، وأن هذا الخسف هو علامة من علامات ظهور المهدي المنتظر عليه السلام. فما ورد من الروايات المطلقة التي ذكرت الخسف بالجيش ولم تذكر البيداء، وما ورد من الروايات التي ذكرت الخسف في البيداء ولكن لم تنص على أنها بيداء المدينة، كـه يحمل على أن الخسف يقع في بيداء المدينة بقرينة الطائفة الثالثة التي نصّت على ذلك.

استعمالات لفظ البيداء في خصوص بيداء المدينة:

ثم إن لفظ (البيداء) تحول إلى اسم علم للأرض القفرة التي تقع بين مكّة والمدينة، وهناك شيعاء في استعمال هذا اللفظ في هذا المعنى، وسنورد فيما يلي كثيراً من نماذج هذا الاستعمال لتؤيد ما نحن بصدده، وهو أن لفظ (البيداء) تحول إلى اسم علم لمكان مخصوص، على أنه توجد أمثلة أكثر بكثير مما سنذكره ولكننا نكتفي بهذا القدر مراعاةً للمقام.

١. معجم البلدان: ج ٢، ص ٢٩٥.



الاستعمال الأول: استعمال لفظ البيداء في روايات التلبية للحج:

أبرز نماذج استعمال لفظ (البيداء) في خصوص بידاء المدينة ما ورد في كتاب الحجّ في باب التلبية لمن يريد الإحرام من المدينة، فقد ورد استعمال لفظ (البيداء) بكثرة في الروايات الشريفة وفي أقوال الفقهاء في هذا الباب، ولم يشكّ أحد أن البيداء هناك هي غير بیداء المدينة، ومن هذه الروايات:

(١-٥٢) الصدوق رحمته الله: روى عبيد الله بن علي الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «الإحرام من مواقيت خمسة وقتها رسول الله صلى الله عليه وآله، لا ينبغي لحاج ولا معتمر أن يحرم قبلها ولا بعدها، وقت لأهل المدينة ذا الحليفة وهو مسجد الشجرة كان يصلي فيه ويفرض الحج، فإذا خرج من المسجد فسار واستوت به البيداء حين يجازي الميل الأول أحرم. ووقت لأهل الشام الجحفة، ووقت لأهل نجد العقيق، ووقت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقت لأهل اليمن يلملم ولا ينبغي لأحد أن يرغب عن مواقيت رسول الله صلى الله عليه وآله»^(١).

وفي هذه الرواية الشريفة استعمل لفظ (البيداء) خالٍ من القيد وأريد به بیداء المدينة، نعم قد يقال إن القيد في البيداء هنا قيد ذهني، أي أن البيداء اسم جنس له أفراد عديدة وليس اسم علم، ولكن الذي حدد الفرد المعين هو قرينة السياق.

أقول: نعم، لو كان الدليل الوحيد على المطلوب هو خصوص هذه الرواية أو روايات التلبية في الحج، لتّم ما قيل، ولكننا نأتي بهذه الطائفة من الروايات كشاهد على المطلوب، فهذه الطائفة مع ما تقدّم من طوائف روايات الخسف، ومع ما يأتي من الشواهد تكوّن صورة جليّة لا غبار عليها على المطلوب، وهو أن البيداء تحوّلت إلى اسم علم لمكان محدّد، وأنّه هو المراد من البيداء المذكورة في روايات الخسف.

١. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٠٢-٣٠٣، ح ٢٥٢٢.



(٥٣-٢) الصدوق رحمته الله بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا صليت في مسجد الشجرة فقل وأنت قاعد في دبر الصلاة قبل أن تقوم ما يقول المحرم، ثم قم فامش حتى تبلغ الميل وتستوي بك البيداء، فإذا استوت بك البيداء فلبّ»^(١).
(٥٤-٣) الصدوق رحمته الله: وروى ابن فضال، عن يونس بن يعقوب قال: خرجت في عمرة فاشتريت بدنة وأنا بالمدينة فأرسلت إلى أبي عبد الله عليه السلام، فسألته: كيف أصنع بها؟ فأرسل إليّ: «ما كنت تصنع بهذا فإنه كان يجزيك أن تشتري منه من عرفة»، وقال: «انطلق حتى تأتي مسجد الشجرة فاستقبل بها القبلة وأنخها ثم ادخل المسجد فصل ركعتين ثم اخرج إليها فأشعرها في الجانب الأيمن، ثم قل: (بسم الله اللهم منك ولك، اللهم تقبل مني)، فإذا علوت البيداء فلبّ»^(٢).

ومثله عن محمد بن يعقوب عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي، عن يونس بن يعقوب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام...^(٣).

(٥٥-٤) الصدوق رحمته الله: وروى فضالة بن أيوب، عن الكاهلي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النساء في إحرامهن، فقال: «يصلحن ما أردن أن يصلحن، فإذا وردن الشجرة أهللن بالحج ولبين عند الميل أول البيداء، ثم يؤتى بهن مكة يبادر بهن الطواف السعي، فإذا قضين طوافهن وسعيهن قصرن وجازت متعة، ثم أهللن يوم التروية بالحج وكانت عمرة وحجة، وإن اعتلن كن على حجهن ولم يفردن حجهن»^(٤).

(٥٦-٥) الطوسي رحمته الله: الحسين بن سعيد عن ابن أبي عمير عن حماد عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن التهيؤ للإحرام فقال: «في

١. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٢٠، ح ٢٥٦٢.

٢. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٢٤-٣٢٥، ح ٢٥٧٧.

٣. وسائل الشيعة: ج ١١، ص ٢٧٥، ح ١٤٧٨٠/٢.

٤. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٨٣، ح ٢٧٦٥.



مسجد الشجرة فقد صلى فيه رسول الله ﷺ وقد ترى الناس يجرمون فلا تفعل حتى تأتي البيداء حيث الميل، فتحرمون كما أنتم في محاملكم تقول: (ليك اللهم ليك ليك، لا شريك لك ليك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ليك) بمتعة بعمره إلى الحج^(١).

(٥٧-٦) الطوسي رحمه الله: الحسين بن سعيد عن صفوان عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا صليت عند الشجرة فلا تلبّ حتى تأتي البيداء حيث يقول الناس يخسف بالجيش»^(٢).

وهذه الرواية تقدّمت وأشرنا إلى ما استفدناه منها سابقاً، ونذكرها هنا للاستشهاد بها من جهة استعمال اللفظ وإطلاقه وإرادة المعنى المطلوب. (٥٨-٧) الطوسي رحمه الله: الحسين بن سعيد عن صفوان عن عبد الله بن سنان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن رسول الله ﷺ لم يكن يلبي حتى يأتي البيداء»^(٣).

(٥٩-٨) الطوسي رحمه الله بسنده عن عبد الله بن سنان، أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام: هل يجوز للمتمتع بالعمرة إلى الحج أن يظهر التلبية في مسجد الشجرة؟ فقال: «نعم، إنما لبّي رسول الله ﷺ على البيداء لأن الناس لم يعرفوا التلبية فأحب أن يعلمهم كيف التلبية»^(٤).

(٦٠-٩) الطوسي رحمه الله بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن كنت ماشياً فاجهر بإهلالك وتلبيتك من المسجد، وإن كنت راكباً فإذا علت بك راحلتك البيداء...»^(٥).

١. الاستبصار: ج ٢، ص ١٦٩-١٧٠، ح ١.

٢. الاستبصار: ج ٢، ص ١٧٠، ح ٥٦٠/٢.

٣. الاستبصار: ج ٢، ص ١٧٠، ح ٥٦١/٣.

٤. الاستبصار: ج ٢، ص ١٧٠، ح ٤؛ وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٣٧٣، ح ١٦٥٤٧/٢.

٥. الاستبصار: ج ٢، ص ١٧٠-١٧١، ح ٥.



(٦١-١٠) الكليني رحمته الله: علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله حين حج حجة الإسلام خرج في أربع بقين من ذي القعدة حتى أتى الشجرة فصلى بها، ثم قاد راحلته حتى أتى البيداء فأحرم منها، وأهل بالحج وساق ماء بدنة...»^(١).

(٦٢-١١) عبد الله بن جعفر في (قرب الإسناد) عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام: كيف أصنع إذا أردت الإحرام؟ قال: «اعقد الإحرام في دبر الفريضة حتى إذا استوت بك البيداء فلبّ»، قلت: رأيت إذا كنت محرماً من طريق العراق؟ قال: «لبّ إذا استوى بك بعيرك»^(٢).

(٦٣-١٢) الحر العاملي رحمته الله: وعن عبد الله بن الحسن، عن جده علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام، قال: سألته عن الإحرام عند الشجرة، هل يحل لمن أحرم عندها أن لا يلبي حتى يعلو البيداء؟ قال: «لا يلبي حتى يأتي البيداء عند أول ميل، فأما عند الشجرة فلا يجوز التلبية»^(٣).

(٦٤-١٣) دعائم الإسلام عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام: أنه سئل عن ساق بدنة كيف يصنع؟ قال: «إذا انصرف عن المكان الذي يعقد فيه إحرامه في الميقات، فليشعرها يطعن في سنامها من الجانب الأيمن بحديدة حتى يسيل دمها، [ويقلدها ويجللها] ويسوقها، فإذا صار إلى البيداء إن أحرم من الشجرة أهل بالتلبية، وكان علي (صلوات الله عليه) يجلل بدنه، ويتصدق بجلالها»^(٤).

١. الكافي: ج ٤، ص ٢٤٨، ح ٦؛ عنه وسائل الشيعة: ج ١١، ص ٢٢٢، ح ١٤٦٥٧/١٤.

٢. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٣٧١، ح ١٦٥٤٢/٧؛ عن قرب الإسناد: ص ٣٧٩، ح ١٣٣٨.

٣. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٣٧١، ح ١٦٥٤٣/٨.

٤. مستدرک الوسائل: ج ٨، ص ٩٥، باب ١٠ من أبواب أقسام الحج: ح ٦/٩١٤٥؛ عن دعائم الإسلام: ج ١، ص ٣٠١.



الاستعمال الثاني: ما ورد بين مصعب بن الزبير وأخيه:

(٦٥-١٤) ومن الشواهد على استعمال لفظ (البيداء) في بيدااء المدينة، ما ورد في كتاب الأغاني في الخلاف الذي دار بين مصعب بن الزبير وأخيه عبد الله، حيث إن مصعباً تزوج عائشة بنت طلحة فبلغ ذلك عبد الله فغضب عليه، وكتب إليه يؤتبه على ذلك ويقسم عليه أن يلحق به بمكة ولا ينزل المدينة ولا ينزل إلا بالبيداء، ثم بعد أن وصل مصعب إلى مكة قال له عبد الله: إني لأرجو أن تكون الذي يخسف به بالبيداء، فما أمرتك بنزولها إلا لهذا. ثم تراضيا^(١).

والمستفاد من هذا الخبر أن الذهنية العامة عند المسلمين ومنذ ذلك الوقت كان راسخاً فيها وواضحاً جلياً عندها أنه سيحصل خسف في جيش منطلق من المدينة قاصداً مكة، وهذا الخسف سيكون في مكانٍ محدّد معروف وهو بيداء المدينة، ولذا أمر عبد الله أخاه أن ينزل في ذلك المكان بالضبط، وما هذا الارتكاز الشديد في أذهانهم إلا لتواتر الروايات والأخبار عن رسول الله ﷺ عندهم على الخسف في البيداء.

الاستعمال الثالث: ولادة محمد بن أبي بكر في البيداء:

ومن الشواهد أيضاً على هذا الاستعمال ما ورد من أن أسماء بنت عميس ولدت محمد بن أبي بكر في البيداء:

(٦٦-١٥) الكليني رحمه الله بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن أسماء ولدت محمد بن أبي بكر بالبيداء وكان في ولادتها البركة للنساء لمن ولدت منهن أو طمئت، فأمرها رسول الله ﷺ فاستثفرت وتنظقت بمنطقة وأحرمت»^(٢).

(٦٧-١٦) وما في الفقيه: روى معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن أسماء بنت عميس نفست بمحمد بن أبي بكر بالبيداء لأربع بقين من ذي

١. راجع كتاب الأغاني: ج ١١، ص ١٢٣ ضمن أخبار عائشة بنت طلحة.

٢. الكافي: ج ٤، ص ٤٤٤، ح ٢؛ عنه بحار الأنوار: ج ٢١، ص ٣٧٨-٣٨٩، ح ١.



القعدة في حجة الوداع، فأمرها رسول الله ﷺ، فاغتسلت واحتشت وأحرمت ولبت مع النبي ﷺ وأصحابه، فلما قدموا مكة لم تطهر حتى نفرُوا من منى وقد شهدت المواقع كلها...»^(١).

والظاهر من هاتين الروايتين أن البيداء اسم لمكان معروف ومشخص، لا أنه اسم جنس للأرض القفرة ثم دخلت عليه الألف واللام العهدية فحددت فرداً واحداً من أفرادها.

الاستعمال الرابع: نزول آية على النبي ﷺ في البيداء:

ومن الشواهد ما ورد من نزول آية على النبي ﷺ في البيداء:

(٦٨-١٧) ما في تفسير مجمع البيان في تفسير قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ٦٤)، أي كافيك الله ويكفيك متبعوك من المؤمنين، وقال الحسن: معناه الله حسبك وحسب من اتبعك، أي يكفيك ويكفيهم، قال الكلبي: نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال...^(٢). ولا يخفى على المتتبع لجغرافيا المدينة المنورة، أن القاصد بدرًا من المدينة يمر بذئ الحليفة وبالبيداء، كما سنيين ذلك عند تحديد موقع البيداء على الخرائط المعاصرة في يومنا هذا.

إذن فقد استعمل لفظ (البيداء) في المكان المحدد، وهذا شاهد إضافي لما ندعيه من شياع هذا الاسم واستعماله في هذا المعنى بالخصوص وهو بيداء المدينة.

الاستعمال الخامس: النهي عن الصلاة في البيداء:

ومن شواهد استعمال لفظ (البيداء) في خصوص بيداء المدينة ما ورد من النهي عن الصلاة في البيداء:

١. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٨٠، ح ٢٧٥٥.

٢. تفسير مجمع البيان: ج ٤، ص ٤٩٠؛ عنه بحار الأنوار: ج ١٩، ص ١٥٤.

(٦٩-١٨) الطوسي رحمته الله: علي بن مهزيار عن فضالة عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «الصلاة تكره في ثلاثة مواطن من الطريق: البيداء وهي ذات الجيش^(١)، وذات الصلاصل^(٢) وضجنان^(٣)»، وقال: «لا بأس بأن يصلي بين الظواهر وهي الجواد - جواد الطرق - ويكره أن يصلي في الجواد»^(٤).

(٧٠-١٩) المجلسي رحمته الله: وبإسناده [محمد بن علي بن الحسين] عن علي بن مهزيار أنه سأل أبا الحسن الثالث عليه السلام عن الرجل يصير في البيداء فتدركه صلاة فريضة فلا يخرج من البيداء حتى يخرج وقتها، كيف يصنع بالصلاة وقد نهى أن يصلي في البيداء؟ فقال: «يصلي فيها ويتجنب قارعة الطريق»^(٥).

وفي هذه الرواية استعمل لفظ البيداء، ولا شك أن المراد منه ليس اسم الجنس الشامل لجميع الأراضي القفار، إذ لا شك في عدم النهي عن الصلاة في مطلقها، بل ورد استحباب بعض الصلوات في الصحاري والأراضي القفرة والبراري، كصلاة جعفر وصلاة الاستسقاء.

فقد روى الطوسي رحمته الله عن عبد الملك بن عمرو عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «صم يوم الأربعاء والخميس والجمعة، فإذا كان عشية يوم الخميس، تصدقت على عشرة مساكين مداً من طعام، فإذا كان يوم الجمعة اغتسلت وبرزت إلى الصحراء، فصل صلاة جعفر بن أبي طالب عليه السلام، واكشف ركبتيك، والزمها الأرض»^(٦).

١. ذات الجيش: وإدخسف به بين مكة والمدينة بينه وبين ميقات أهل المدينة ميل واحد (من هامش

التهذيب: ج ٥، ص ٤٢٥).

٢. ذات الصلاصل: موضع خسف في طريق مكة.

٣. ضجنان: جبل بناحية مكة.

٤. تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٣٧٥ / ٩٢.

٥. وسائل الشيعة: ج ٥، ص ١٥٦، ح ٦٢٠٤ / ٦؛ عن من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٤٤، ح ٧٣٤.

٦. مصباح التهجد: ص ٣٣٠، ضمن ٤٣٨ / ٥٠.



وروى الصدوق عليه السلام، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «مضت السنة أنه لا يستسقى إلا بالبراري، حيث ينظر الناس إلى السماء، ولا يستسقى في المساجد إلا بمكة»^(١).

فلا شك أن النهي عن الصلاة في البيداء لا يراد منه اسم الجنس وشمول جميع أفرادها، ولكن المراد من البيداء هنا هو مكان محدد، ولو لم يكن لفظ البيداء هنا اسم علم لبيداء المدينة لكان الكلام مجملاً، حيث إن المتكلم يكون قد أتى بلفظ لمعنى له عدة مصاديق وأراد أحدها بالخصوص ولم ينصب قرينة على الفرد المراد، مضافاً إلى ما سيأتي من قرائن في الروايات الأخرى الدالة على أن المراد من البيداء المنهي عن الصلاة فيها هي خصوص البيداء التي تكون في طريق مكة للخارج من المدينة.

وعليه فالمستفاد من هذه الرواية الشريفة أن البيداء اسم لمكان معين معروف عند المسلمين آنذاك، ومن المعروف لديهم أيضاً النهي عن الصلاة فيه، ولذا فإن السائل يسأل عن حال المضطر الذي لا يسعه الوقت للخروج من البيداء والصلاة، بعد التسليم عنده بالنهي عن الصلاة فيها، والظاهر من القرائن المنفصلة أن سبب النهي عن الصلاة في البيداء هو أنها أرض خسف، ويبدو أن هذا كان معروفاً لدى عامة المسلمين، ويشهد لذلك ما ورد في حادثة رد الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام في بابل، حيث رفض أن يصلي العصر فيها لأنها أرض عذاب^(٢).

١. الهداية: ص ١٥٧، باب ٦٣، باب صلاة الاستسقاء.

٢. الصدوق عليه السلام: روي عن جويرية بن مسهر أنه قال: أقبلنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من قتل الخوارج حتى إذا قطعنا في أرض بابل حضرت صلاة العصر فنزل أمير المؤمنين عليه السلام ونزل الناس، فقال علي عليه السلام: «أبها الناس، إن هذه أرض ملعونة قد عذبت في الدهر ثلاث مرات [وفي خبر آخر مرتين]، وهي تتوقع الثالثة وهي إحدى المؤتفكات، وهي أول أرض عبد فيها وثن، وإنه لا يجبل لنبي ولا لوصي نبي أن يصلي فيها، فمن أراد منكم أن يصلي فليصل»، فقال الناس عن جنبتي الطريق يصلون وركب هو عليه السلام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى.



(٧١-٢٠) ما أورده المفيد في المقنعة عن الصادق عليه السلام: «تكره الصلاة في طريق مكة في ثلاثة مواضع: أحدها البيداء، والثاني ذات الصلاصل، والثالث ضجنان»^(١).

في هذه الرواية قرينة على أن المراد من البيداء هي التي بين مكة والمدينة حيث عبّرت عن المواضع الثلاث أنّها في طريق مكة، والواضح أنّ (طريق مكة) المذكور في الرواية هو الطريق إليها من المدينة، سيما أننا سبقاً هو للقاصد إياها من المدينة لا غير.

الاستعمال السادس: ما ورد في الأمثال العربية:

(٧٢-٢٢) ما ورد في أمثال العرب عندما يريدون بيان الفارق الشاسع بين فضل شخص وآخر:

نزلوا بمكة في قبائل نوفل ونزلت بالبيداء أبعد منزل^(٢)

وهو كالمثل القائل (أين الثرى من الثريا)، بمعنى أن الجماعة في الشطر الأوّل نزلوا في أفضل المنازل وأقربها إلى الكعبة في قبائل نوفل، والظاهر أن نوفل هو

→ قال جويرية فقلت: والله لأتبعن أمير المؤمنين عليه السلام ولأقلدنه صلاتي اليوم، فمضيت خلفه، فوالله ما جزنا جسر سورا حتى غابت الشمس فشككت، فالتفت إليّ وقال: «يا جويرية أشككت؟» فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، فنزل عليه السلام [عن] ناحية فتوضأ ثم قام فنطق بكلام لا أحسنه إلا كأنه بالعبراني، ثم نادى الصلاة فنظرت والله إلى الشمس قد خرجت من بين جبلين لها صرير، فصلّى العصر وصلت معه، فلما فرغنا من صلاتنا عاد الليل كما كان فالتفت إليّ وقال: «يا جويرية بن مسهر، الله تعالى يقول: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ وإني سألت الله تعالى باسمه العظيم فردّ عليّ الشمس». وروي أن جويرية لما رأى ذلك قال: [أنت] وصي نبي ورب الكعبة. [من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٠٣-٢٠٤، ح ٦١١].

١. المقنعة: ص ٤٤٤، ضمن الباب ٢٩؛ عنه وسائل الشيعة: ج ٥، ص ١٥٧، ح ٦٢٠٧/٩.

٢. السوفي بالوفيات: ج ٧، ص ٢٣٤؛ جواهر الحسان: ج ٥، ص ١٥٠؛ طبقات الشافعية الكبرى: ج ٤، ص ٦٤؛ وفيات الأعيان: ج ١، ص ٧٣؛ مرآة الجنان: ج ٢، ص ١٤؛ البداية والنهاية: ج ١٢، ص ٤.



ابن عبد مناف عم جد النبي ﷺ^(١)، والمتكلم نزل في أبعد منزل من منازل الحجّاج وهو البيداء، ولا شك أنّ المراد من البيداء هنا هي بيداء المدينة والتي تكون بعد ذي الحليفة بميل، إذ لا بيداء غيرها يطلق عليها (منزل) بالنسبة للحجّاج.

تحديد مكان البيداء:

وفي ما يلي بعض النصوص التي عرّفت البيداء وحددت مكانها ونصّت على أنّها اسم لمكان معين بين مكّة والمدينة^(٢)، بعضها من الروايات الشريفة وبعضها من كتب الفقهاء وبعضها من كتب المعاجم:

ما ورد في الروايات الشريفة في تحديد البيداء:

(٧٣-١) الطوسي رحمه الله: أحمد بن محمد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إنّنا كنّا في البيداء في آخر الليل، فتوضأت واستكت وأنا أهم بالصلاة، ثم كأنه دخل قلبي شيء، فهل يصلي في البيداء في المحمل؟ فقال: «لا تصلّ في البيداء»، قلت: وأين حدّ البيداء؟ فقال: «كان أبو جعفر عليه السلام إذا بلغ ذات الجيش جد في المسير ولا يصليّ حتى يأتي معرس النبي ﷺ»، قلت له: وأين ذات الجيش؟ فقال: «دون الحفيرة^(٣) بثلاثة أميال»^(٤).

فالسائل هنا بعد أن كان من المسلمّ عنده أن الصلاة منهي عنها في البيداء،

١. الأنساب للسمعاني: ج ٥، ص ٥٣٦.

٢. ملاحظة: لا نريد من قولنا إنّ لفظ (البيداء) اسم علم لمكان معين أنّ المعنى الأصلي وهو اسم الجنس للأرض القفرة أو المفازة قد هُجر وترك، بل بقي على ما هو عليه.

٣. قال العلامة المجلسي: قوله عليه السلام: «دون الحفيرة» لعل المراد الأرض المنخفضة التي فيها مسجد الشجرة.

(ملاذ الأختيار: ص ٦١٥، ضمن ح ٩٠).

٤. تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٣٧٥، ح ٩٠.



وأن البيداء التي تُهي عن الصلاة فيها هي بيداء المدينة، ولكنّه سأل عن حدود البيداء الدقيقة التي لا بأس عليه بالصلاة فيما بعدها.

(٧٤-٢) الطوسي رحمته الله بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله أقام بالمدينة عشر سنين لم يحج ثم أنزل الله عليه ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج: ٢٧) فأمر المؤذنين أن يؤذّنوا بأعلى أصواتهم: أن رسول الله صلى الله عليه وآله يحجّ من عامه هذا، فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب، فاجتمعوا، فحج رسول الله صلى الله عليه وآله وإنما كانوا تابعين ينتظرون ما يؤمرون به فيصنعونه أو يصنع شيئاً فيصنعونه، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في أربع بقين من ذي القعدة، فلما انتهى إلى ذي الحليفة فزالت الشمس ثم اغتسل ثم خرج حتى أتى المسجد الذي عند الشجرة، فصلى فيه الظهر وعزم بالحج مفرداً، وخرج حتى انتهى إلى البيداء عند الميل الأول، فصف الناس له سباطين فلبى بالحج مفرداً وساق الهدى ستاً وستين أو أربعاً وستين، حتى انتهى إلى مكة...»^(١).

وهذه الرواية تحدد مكان البيداء بدقة، وأنها بين مكة والمدينة على بعد ميل من ذي الحليفة.

ما ورد من كلام الفقهاء في تحديد البيداء:

(٧٥-٣) قال العلامة الحلي في التعليق على روايات النهي عن الصلاة في البيداء: (البيداء في اللغة: المفازة، وليس ذلك على عمومها هنا، بل المراد بذلك موضع معين).

روى الشيخ في الصحيح، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن عليه السلام،

١. تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٤٥٤، ح ٢٣٤.



قلت: وأين حد البيداء؟ فقال: «كان أبو جعفر عليه السلام إذا بلغ ذات الجيش جد في السير ولا يصلي حتى يأتي معرس النبي صلى الله عليه وآله وسلم»، قلت: فأين ذات الجيش؟ قال: «دون الحفيرة بثلاثة أميال».

وقد ورد أنها أرض خسف. روي أن جيش السفياي يأتي إليها قاصداً مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيخسف الله تعالى بتلك الأرض، وبينها وبين ميقات أهل المدينة الذي هو ذو الحليفة ميل واحد وهو نصف فرسخ فحسب^(١).

(٤-٧٦) قال الشيخ الطوسي في عدة من كتبه: (ويكره الصلاة في طريق مكة في أربعة مواضع: البيداء وذات الصلاصل، وضجنان، ووادي الشقرة)^(٢). وهذا يعني أن الشيخ رحمته الله يرى أن البيداء هي موضع بين مكة والمدينة.

(٥-٧٧) وقال الفيض الكاشاني: (والبيداء على رأس ميل من ذي الحليفة، روي أن جيش السفياي يأتي إليها قاصداً مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيخسفه الله بتلك الأرض والتعريس بالمهملات النزول آخر الليل)^(٣).

وذو الحليفة منطقة معروفة في المدينة فيها مسجد الشجرة لازالت ليومنا هذا تعرف بهذا الاسم، وعليه فالفيض أيضاً شخّص مكان البيداء وأن بدايتها بعد ميل من ذي الحليفة.

ما ورد في كتب اللغة في تحديد البيداء:

(٦-٧٨) وفي مجمع البحرين: (والبيداء أرض مخصوصة بين مكة والمدينة على ميل من ذي الحليفة نحو مكة، كأنها من الإبادة وهي الإهلاك)^(٤).

١. انتهى المطلب: ج ٤، ص ٣٤٩.

٢. المبسوط: ج ١، ص ٣٨٤؛ النهاية: ص ١٠١ و ٢٨٥؛ مصباح المنهج: ص ٧٠٨.

٣. الوافي للفيض الكاشاني: ج ٧، ص ٤٦٧، ضمن ح ١/٦٣٦٧.

٤. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٨.



(٧٩-٧) وفي معجم البلدان: (البيداء: اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة، وهي إلى مكة أقرب^(١)، تعد من الشرف أمام ذي الخليفة)^(٢).

(٨٠-٨) وقال الفراهيدي: (البيداء: مفازة لا شيء فيها، وبين المسجدين أرض ملساء اسمها البيداء).

وفي الحديث: «أن قوماً يغزون البيت فإذا نزلوا البيداء، وهي مفازة بين مكة والمدينة ملساء، بعث الله ملكاً فيقول: يا بيداء بيدي بهم فيخسف بهم»^(٣).

وقوله صريح بأن لفظ (البيداء) اسم عَلم لأرض بين المسجدين، أي: مسجد النبي ﷺ والمسجد الحرام.

(٨١-٩) وفي كتاب المخصص: ويبدأ موضعُ بين مكة والمدينة وفي الحديث:

١. أقول: ورد تحديد مكان البيداء في معجم البلدان بهذا التعبير (وهي إلى مكة أقرب) وقد نقله عنه الكثير من المحققين والشرح في بيان معنى البيداء في الروايات الشريفة، ولكن هذا التعبير لا يخلو من إشكال، فكيف تكون أقرب إلى مكة؟ وهي في الوقت نفسه أمام ذي الخليفة - المنطقة المعروفة في المدينة -؟

ناهيك عن مخالفة هذا التعبير لجميع من حدّد مكان البيداء، سواء في الروايات الشريفة التي حددتها بأنها على بعد ميل من ذي الخليفة، أو في كتب المعاجم والبلدان، ولذا لا بد من أن يحمل كلامه على ما يناسب ما ذكرنا، بأن نقول إن قصده من (إلى مكة أقرب) هو كتعبير صاحب مجمع البحرين (نحو مكة)، أو أن نقول بأن الحموي يرى أن البيداء تمتد من المدينة إلى مكة قطعة واحدة، وبالتالي فقد نظر إليها من زاوية مكة، أو نقول أن مراده أن البيداء أقرب إلى مكة من ذي الخليفة فكلامه مقارنة بين البيداء وذي الخليفة من ناحية القرب إلى مكة، ولا يعني ذلك أن البيداء قريبة أو ملاصقة لمكة، أو يحمل على محمل آخر، وعلى كل فتعبيره (وهي إلى مكة أقرب) يبقى مشكلاً، وكذلك ما سيأتي من تعبیر الأندلسي.

ولكن هذا الإشكال لا يؤثر على مطلبنا، فيكفينا من كلامه أنه صرّح بأن البيداء اسم لأرض معينة مخصوصة تقع بين مكة والمدينة.

٢. معجم البلدان: ج ١، ص ٥٢٣.

٣. العين: ج ٨، ص ٨٤.



«إِنْ قَوْمًا يَغْزُونَ الْبَيْتَ، فَإِذَا نَزَلُوا الْبَيْدَاءَ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُ: يَا بَيْدَاءُ بِيَدِي، فَيُخَسَفُ بِهِمْ»^(١).

(٨٢-١٠) وقال البكري الأندلسي: (البيداء: قد تقدم ذكرها وتحديدتها في رسم البقيع، وهي أدنى إلى مكة من ذي الحليفة. روى عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة، أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش، انقطع عقدي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه. وذكر الحديث بطوله في نزول آية التيمم).

ومن حديث مالك عن موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد الله، أنه سمع أباه يقول: بيداؤكم هذه التي تكذبون فيها على رسول الله ﷺ، ما أهّل رسول الله ﷺ إلا من عند المسجد، يعنى مسجد ذي الحليفة.

وإنما قال: ذلك لأن أنساً وابن عباس قالوا: إنما أحرم النبي ﷺ حين استوت به راحلته على البيداء. رواه البخاري وغيره عنهما. والبيداء: هو الشرف الذي قدام ذي الحليفة، في طريق مكة^(٢).

(٨٣-١١) وقال ابن الأثير: (البيداء: المفازة التي لا شيء فيها، وقد تكرر ذكرها في الحديث، وهي هاهنا اسم موضع مخصوص بين مكة والمدينة، وأكثر ما ترد ويراد بها هذه)^(٣).

(٨٤-١٢) وفي لسان العرب: وَيَدَاءُ: موضع بين مكة والمدينة، قال الأزهري: وبين المسجدين أرض ملساء اسمها الْبَيْدَاءُ، وفي الحديث: «إِنْ قَوْمًا يَغْزُونَ الْبَيْتَ، فَإِذَا نَزَلُوا الْبَيْدَاءَ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُ: يَا بَيْدَاءُ

١. المخصص: ج ٥، السفر السادس عشر، ص ٥٣.

٢. معجم ما استعجم: ج ١، ص ٢٩٠-٢٩١.

٣. النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ١، ص ١٧١.



بِإيديهم، [وفي رواية: أَيْدِيهِمْ، فَيُخَسَفُ بِهِمْ] (١).

(٨٥-١٣) وفي تاج العروس: وفي الحديث: «إِنَّ قَوْمًا يَغْزُونَ الْبَيْتَ، فَإِذَا نَزَلُوا بِالْبَيْدَاءِ بَعَثَ اللَّهُ جَبْرِيْلَ فَيَقُولُ: يَا بَيْدَاءُ أَيْدِيهِمْ، فَيُخَسَفُ بِهِمْ» أي أهلَكِيهِمْ. وهي هنا اسمٌ مَوْضِعٍ بَعِيْنَه، وهي أَرْضٌ مَلْسَاءٌ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، بَطَّرَفِ الْمَيْقَاتِ الْمَدَنِيِّ الَّذِي يُقَالُ لَهُ ذُو الْحَلِيفَةِ...» (٢).

ملخص جواب الإشكال الأول والثاني:

وملخص ما استتجنناه مما تقدم: أن علامة الخسف في البيداء لظهور الإمام المهدي عليه السلام هو مما يطمئن بصدوره من المعصومين عليهم السلام، إن لم نقل أنه من المتواتر، وقد أثبتنا ورود بعض النصوص المعتبرة فيها، وهذا جواب الإشكال الأول الذي ذكرناه في المقدمة، والذي كان مفاده: هل يوجد دليل معتبر على أن الخسف من علامات الظهور؟

أمّا الإشكال الثاني والذي يتكون من مقدمتين: الصغرى: أن البيداء مكان مجهول غير محدد، والكبرى: أن كل مجهول لا يصلح لأن يكون علامة للظهور. فصغراه ترتفع بما أثبتناه من أن البيداء مكان محدد ومعروف ومشخص، وهو البيداء التي تكون بين مكة والمدينة على بعد ميل من ذي الحليفة، وأما بالنسبة للكبرى فمن قال أن البيداء إذا كانت غير معروفة ومحددة فإن الخسف فيها لا يصلح لأن يكون علامة للظهور؟ بل إن أمرها أهون من كثير من العلامات التي ذُكرت للظهور وآخر الزمان في النصوص الشريفة كاستحلال الرشوة وتشبه الرجال بالنساء وانتشار الظلم والهرج والمرج والفتن الشديدة والثورات والرايات، التي يمكن أن تنطبق على مصاديق عديدة وقد وقع البعض في خطأ

١. لسان العرب: ج٣، ص٩٩.

٢. تاج العروس: ج٤، ص٣٦٨.



التطبيق لكونها غير محددة ومشخصة ويمكن أن تنطبق على أفراد عديدة، ومع ذلك فهذا لا ينفي كونها علامة من علامات الظهور، بينما الخسف بجيش في البيداء ولو سلمنا أن البيداء مكان غير محدد فمصاديقه أقل بكثير من معظم العلامات، بل لعله لا مصداق له منذ عصر النص وإلى يومنا هذا.

جواب الإشكال الثالث:

وأما جواب الإشكال الثالث وهو أنه كيف يكون الخسف علامة للظهور، والظهور يكون قبله؟ فإن الروايات أشارت إلى أن السفياي يعرف أن الإمام المهدي عليه السلام موجود في المدينة، فيرسل له جيشاً، فيترك الإمام المدينة إلى مكة، فيتبعه الجيش إلى مكة ويخسف به في البيداء، وهذا يدل على أن الظهور يحصل قبل الخسف، فكيف يكون الخسف علامة على ما وقع قبله؟

فيمكن أن يكون على وجهين:

الوجه الأول: أن للظهور مراحل، مرحلة خفية محدودة الإعلان، ومرحلة ظاهرة علنية، فإن السفياي لما سمع بالإمام المهدي عليه السلام في المدينة وأرسل له جيشاً، لم يكن الإمام المهدي عليه السلام قد ظهر وأعلن دعوته رسمياً، ثم بعد الخسف يسند ظهره إلى بيت الله ويعلن ظهوره بشكل رسمي وعلني.

ويؤيد هذا الوجه ما رواه النعماني رحمته الله بسنده عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: «يا جابر، الزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك إن أدركتها...، ويبعث السفياي بعثاً إلى المدينة فينفر المهدي منها إلى مكة، فيبلغ أمير جيش السفياي أن المهدي قد خرج إلى مكة، فيبعث جيشاً على أثره، فلا يدركه حتى يدخل مكة خائفاً يترقب على سنة موسى بن عمران عليه السلام».



وقال: «فينزل أمير جيش السفياي البيداء فينادي منادٍ من السماء: يا بيداء، بيدي القوم، فيخسف بهم، فلا يفلت منهم إلا ثلاثة نفر، يحول الله وجوههم إلى أقيمتهم، وهم من كلب، وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطُوسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ [النساء: ٤٧]».

قال: «والقائم يومئذ بمكة، قد أسند ظهره إلى البيت الحرام مستجيراً به، فينادي: يا أيها الناس، إنا نستنصر الله، فمن أجابنا من الناس فإننا أهل بيت نبيكم محمد ﷺ، ونحن أولى الناس بالله وبمحمد ﷺ، فمن حاجني في آدم فأنا أولى الناس بآدم...».

قال: «فيجمع الله عليه أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، ويجمعهم الله له على غير ميعاد، قزعاً كقزع الخريف...»^(١).

ومفاد هذه الرواية أن السفياي أو قائد جنده يسمع بالإمام المهدي ﷺ قد نزل مكة، وهذا لا يدل على أنه ظهر وأعلن دعوته، بل الرواية تشير إلى أنه بعد الخسف أو أثناءه يسند ظهره إلى بيت الله ويجهر بالدعوة والظهور، ويجتمع له أصحابه الثلاثمائة والثلاثة عشر.

الوجه الثاني: لو سلّمنا بأنه لا يجوز أن تكون علامة الظهور متأخرة عن الظهور، فإننا نقول: إنه لا مانع من أن تكون العلامة مقارنة له، وهذه المقارنة لا يشترط أن تكون دقيّة تُقاس بالدقائق الثواني، بل تكفي المقارنة العرفية، والمستفاد مما تقدم من الروايات أنّ معرفة السفياي بتواجد الإمام في المدينة وإرساله الجيش ثم الخسف به في البيداء تكون متقاربة زماناً ولا يوجد فاصل زمني كبير بينها، وعليه يعتبر الخسف مقارناً للظهور عرفاً.

على أن الوجه الأول أوجه.

١. الغيبة للنعماني: ص ٢٨٨-٢٩١، باب ١٤، ح ٦٧.

مكان البيداء في الخرائط المعاصرة:

ومن الحسن ملاحظة مكان البيداء في الخرائط المعاصرة، حيث إن كثيراً من مناطق مكة والمدينة حافظت على تسمياتها القديمة وهذا يسهل علينا تحديد مكان البيداء في يومنا هذا:



١ - مسجد النبي ﷺ.

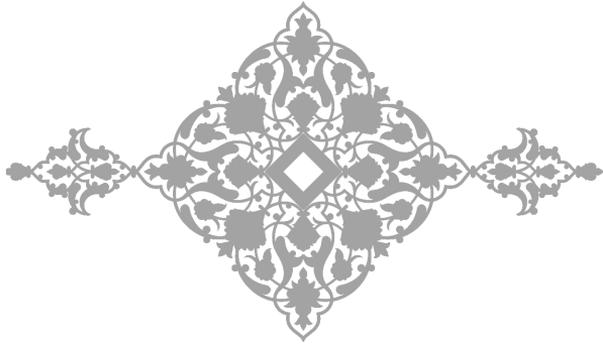
٢ - منطقة ذي الحليفة.

٣ - مسجد الشجرة، ميقات أهل المدينة.

٤ - بلدية البيداء.



والمستفاد من الروايات أن البيداء التي يقع فيها الخسف بجيش السفيناني تقع على بعد ميل من منقطة ذي الحليفة الميينة في الرقم (٢) أو من خصوص المسجد الذي يقع فيها وهو مسجد الشجرة المبين في الرقم (٣) باتجاه مكة، ومن الجدير بالملاحظة أنه ما زال اسم البيداء اسم عَلمَ لمكان مشخَّص في المدينة المنورة إلى يومنا الحالي، وهناك فنادق ومدارس وأماكن عديدة في المدينة سمّيت بالبيداء نسبة إلى تلك المنطقة، والموضح في الرقم (٤) هو بلدية البيداء، أي أنها مكان معترف به رسمياً، وقد يكون فيه اختلاف يسير عن البيداء التي في النصوص، ولكنه قريب منها جداً بل يكاد يكون هو. وهذه الملاحظة تفيد تأكيد ما توصلنا إليه أن البيداء اسم لمكان معيّن، وليس المراد منها مطلق الأرض القفرة أو المفازة.





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

الماشيح المنتظر اليهودي

أ.د. عامر عبد زيد الوائلي

مدخل:

إنَّ البحث في هذا الموضوع يعد من الأمور المهمة في فهم الاستقطاب اللاهوتي التي كان أنموذجها الأول هو الخطاب اليهودي، فهو انتهج تأسيس خطاب بطولي تخيلي للتاريخ الديني اليهودي، وهو نمط من التاريخ يحتل فيه الماضي دور المركز المؤثر في الحاضر، وأنموذجها الثاني هو التاريخ الإيديولوجي الذي سوف يظهر في العصر الحديث مع القراءة الصهيونية الأصولية المعاصرة، والتي سوف تؤثر في قيام اللاهوت المعاصر اليهودي، ورأسها هو التاريخ البطولي المتخيل الذي مثله التراث اليهودي الذي نحاول دراسته الآن في هذا المبحث.

فقد أدَّى هذا الأنموذج من التاريخ البطولي، الذي يؤثر فيه الماضي في الحاضر بوساطة المثال هنا هو المسيح المنتظر. والذي تم صياغته من قبل المؤسسة الدينية اليهودية في بابل، وقد كان للأدب الشعبي دوره في صناعة هذا الخطاب التخيلي، الذي أصبح بموجب هذا الخطاب أن ينتظر الإنسان أمراً لا يتمنى حدوثه في المستقبل القريب أو البعيد، في ضوء تفسيرات ماضوية يكون





أنموذجها الخطاب البطولي للماشيح المنتظر. أدى إلى إرساء ملامح عن الهوية اليهودية بشكلها التيولوجي^(١).

هذا المفهوم بمعناه العادي، واليوم هناك أشياء كثيرة تدخل أفق الانتظار يتمنى الإنسان وقوعها في حياته، وأخرى لا يتمنى وقوعها في حياته، هذا مسار الحياة، أمّا في الخطاب الديني اليهودي، فالأمر مختلف، إنه أمر يتعلق بما هو غيبي يدخل من ضمن أفق الانتظار، فقد ارتبط هذا المفهوم (بالعبرية משיח) المسيا أو الماشيح^(٢) أي من تم مسحه بزيت الزيتون؛ دلالة على تكريسه كاهناً أو ملكاً، ويرد أول ذكر لمثل هذا الطقس في (سفر الخروج ٢٩:٧).

إذا ما عملنا على تحليل مفهوم الماشيح من خلال ما يطرح النص له من معنى وفك الغاز ما هو غامض وتبسيط وتوحيد ما هو مشتت وتفصيل ما هو مجمل، انطلاقاً من هذه الآلية التي نحاول الوقوف فيها عند مفهوم انتظار الماشيح، فنجد في المدونات اليهودية أن أفق المنتظر مقيد بحدود واضحة، إذ (كان الإسرائيليون وهم ينتظرون المسيح من بيت داوود لتوحيد العالم وحكمه من عاصمته أورشليم)^(٣)، بمعنى أن هذه المعلومة قد جعلت منه منتسباً إلى إرث سياسي بعودته إلى داوود، ومن ناحية ثانية نلمس أنه لاهوت توسعي يجعله يمثل سلطة كونية يقوم على إخضاع كل البشرية إلى السلطة اليهودية في وقت كان اليهود يعيشون حالة من الضعف والخضوع إلى السلطات المحلية المهيمنة في بابل وآشور في الشمال، أو مصر في الجنوب؛ لكن كيف يمكن لهذا الشعب أن يمتلك هذه السلطة الكونية؟

١. التيولوجي، مفهوم يطلق على الدراسات اللاهوتية في العصر الوسيط، يقابلها مفهوم إيديولوجي يطلق على الدراسات الحديثة والمعاصرة.

Vocabulaire de Théologie Biblique. Publié sous la direction de Xavier Léon-Dufour. 2^e édition. Les Éditions du CERF «Messie» décliné de l'hébreu et de l'araméen, et Christ transcrit du grec, signifient tous deux (Oint). P608

٣. فؤاد منسي علي، المجتمع حتى تشريده، ص ٩٢.



نجد الجواب في هذا النص الموجود في سفر أشعيا ووصفاً لإله بني إسرائيل، فيقول الرب (المنقذ) في هذا السفر: (أنا الرب وليس غيري مخلص)^(١)، بمعنى أن الذي يشكل المصدر الأول لهذه السلطة المنتظرة في ذلك الوقت يعود إلى وعد غيبي بنصرة المنقذ الأول (يهوا) بحسب رؤية أشعيا. ونجد أن هناك صفة تجمع بين المنقذ يهوه والماشيح المنتظر، كون الاثنين يتّصفان بصفات حربية، فيهوه يوصف بكونه قائد الجيوش وهو بنظر اليهود الذي يشرف على الحروب ويعزز النصر، وهناك صفة أخرى يتميز بها هذا المنقذ كونه بطلاً محارباً شديد البأس، فمن صفاته شن الحرب، فالحرب شيء مقدس وفي سبيل (يهوه) يسقط كثيرون من أبطال إسرائيل في مواجهة الوغى، وصفة (يهوه) للقتال تتجلى واضحة في لقبه (يهوه حياء ون) أي يهوه قائد الجيوش)^(٢).

إلا إننا نجد في النص التوراتي إشارة إلى أن نصرة يهوه ليست مباشرة بل تأتي عبر الوساطة، وهذه تمثل مرحلة متأخرة في اللاهوت اليهودي الذي أخذ بالتجريد والتعالي في نظره إلى يهوه، على العكس من الصورة المبتكرة للتوراة التي يظهر فيها يهوه في علاقته بموسى ^{عليه السلام} ومن قبل يعقوب ^{عليه السلام}^(٣).

١. فالخ مهدي، البحث عن منقذ (دراسة مقارنة بين ثمانى ديانات)، دار ابن رشد، ط ١، بيروت، ١٩٨١، ص ٩٢، وانظر T.Hen shaw 310 ff the letter prophets.

٢. فالخ مهدي، البحث عن منقذ (دراسة مقارنة بين ثمانى ديانات)، ص ٩٣، وانظر: فؤاد حسين، اليهودية واليهودية المسيحية، ص ١٤.

٣. هذا يظهر في الصراع الذي حدث بين يهوا ويعقوب من أجل أن يمنحه الوعد بالأرض وموسى من خلال التجلي له على الجبل. سفر التكوين: ٢٤ (فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحَدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ). صعد موسى إلى الجبل وحل مجد الرب على جبل سيناء وغطاه بالسحاب مدة سبعة أيام. وفي اليوم السابع دُعي موسى من وسط السحاب. وكان منظر مجد الرب كنار آكلة أمام عيون جميع بني إسرائيل. ودخل موسى في وسط السحاب وصعد إلى الجبل. وكان موسى في الجبل أربعين يوماً وأربعين ليلة. (الخروج ٢٤: ١٢-١٨). وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار، وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً. فكان البوق يزداد اشتداداً وموسى يتكلم والله يجيبه. (الخروج ١٩: ٨-١٩).



بالمقابل سوف يظهر مفهوم سام عن يهوه بوصفه كائناً مفارقاً متعالياً وكي القداسة أن الخاطئ الذي يطلب الصفح، لن يجد أن يهوه يذوب حباً ورأفة من أول إشارة ندم، ذلك أن قدسية يهوه تتطلب مقاربة طقسية من قبل مجموعة من الأفراد الأظهار، يجتمعون في الهيكل في حالة من الطهارة الجسدية والنقاء الطقسي وبإشراف كهنة خبراء، لقد انسحب يهوه بعيداً في قدسيته اللامتناهية من عالم الإنسان، إذ لم يعد بالإمكان الاتصال به إلا من خلال وسطاء، كهنة وملائكة^(١).

لهذا نلمس هذا التعالي في التجريد في صورة يهوا لدى الأنبياء المتأخرين ومنهم أشعياء، إذ يظهر يهوا وهو ينصر اليهود من خلال إرسال الماشيح المنتظر (أن الله لا ينقذ بني إسرائيل بنفسه وإنما سيرسل إليهم منقذاً هو الماشيح المنتظر) والملاحظ أن كلمة الماشيح لم تعن المنقذ في الأصول الأولى للديانة اليهودية، ولكنها أصبحت مرادفة لكلمة المنقذ الذي سيظهر من بيت داوود^(٢). إذ نلمس أن (هذه الفكرة السياسية الدينية سميت بالمسيحانية، وهي فكرة غيبية تقوم على أساس الاعتقاد في قدوم مسيح مخلص وظيفته السياسية تحقيق الخلاص القومي لشعبه، ثم أضيفت لهذه الوظيفة السياسية وظيفة دينية تعطي للماشيح المخلص دوراً؛ لتحقيق الخلاص الديني لشعبه وبوساطة المزج بين الوظيفة السياسية والوظيفة الدينية التي تعطي للمسيح دور المخلص نشأت فكرة إقامة مملكة الله السماوية لتقويض ضياع المملكة الأرضية. ومن هنا فقدوم المسيح المخلص يتحقق من خلال إقامة مملكة الله على الأرض عند

١. تحرير: فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس، دار علاء الدين، ط ١، دمشق، ٢٠١٠، ص ١٤٤-١٤٥.

٢. فالج مهدي، البحث عن منقذ (دراسة مقارنة بين ثماني ديانات)، ص ٩٥.

وانظر the letter prophets.T.Hen shaw 310 ff



نهاية العالم ووضعت له في التراث اليهودي شروط وعلامات أهمها انتسابه إلى بيت داوود، والقيام بأعمال بطريقة خارقة للعادة^(١).

هذه الرؤية تظهر حالة تطور النصوص مع الزمن، وهذا ما سوف نحاول البرهنة عليه لاحقاً.

إن فكرة الانتظار للمسيح جاءت في ظروف معينة كان يعيشها اليهود وهي مرحلة متأخرة عكست موقفاً من الأحداث وأخذت هذه الرؤية التي جاءت في أولها الجانب السياسي ثم تطورت إلى دينية وكانت في أولها محلية تتعلق بالدولتين اليهوديتين؛ إلا أن الأمر أخذ بعبء كونياً وهذا ما جاء في هذا القول: (وسيكون المسيا إنساناً من هذا العالم، وسيكون يهودياً فطناً خائفاً لله) (أشعيا: ١١ / ٢).

و(الشر والطغيان لن يكونا قادرين على الوقوف في وجه قيادته) (أشعيا: ١١ / ٤).

و(معرفة الله سوف تملئ العالم) (أشعيا: ١١ / ٩).

و(سوف يضم ويجذب كل الشعوب من مختلف الثقافات والأُمم) (أشعيا: ١١ / ١٠).

على الرغم من أن هناك جذوراً بعيدة من الممكن أن نحفر بها في سياق البحث التاريخي؛ فهناك من يرجع مفهوم الماشيح إلى زمن موسى عليه السلام من خلال تجذير المعنى بالقول: (جاءت تسمية الماشيح من ضمن تعليمات موسى بشأن مراسيم تكريس هارون وأبنائه للكهنوت، وتأخذ من زيت المسح وتصب على رأسه وتمسحه)، ويوصف هذا الطقس مرات عديدة في الكتاب المقدس خاصة؛ لتثبيت تتويج ملك جديد حينما جرى خلاف حول شرعية ملكه.

فهذا المعنى يبين معنى اسم مشيح كونه يعود إلى تأسيس الخطاب الديني داخل سلالة هارون وأبنائه، لكنه من ناحية ثانية فقد ارتبط هذا الطقس بتنصيب الحاكم اليهودي - أي الملك - عبر مسحه من قبل الكاهن (الماشيح كنية للملك أو الكاهن الذي يمسح بالزيت المقدس والمتخذ المؤمل لبني

١. مصطفى عبد المعبود، علامات آخر الزمان في اليهودية، مكتبة الناظدة، ط ١، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٥٨.



إسرائيل الذي سيأتي في الأيام الأخيرة بعد ظهور مبشره اليهو النبي ابن داوود هو المنقذ المؤمل الذي سيأتي للخلاص التام لبني إسرائيل وهو المنقذ والكاهن المسوح بالزيت بحسب اعتقادهم، والفعل (מִשַׁח) وضع طبق الدهن أو طلي بالزيت المقدس على الأدوات أو على الشخص؛ لتقديسه أو لتتصيه لوظيفة مهمة (מִשַׁח מֶלֶךְ) (١)، إذ في الأسفار الأخيرة من الكتاب المقدس، كثيراً ما يذكر التعبير (الملك المسيح) بالعبرية: (הַמֶּלֶךְ הַמְּשִׁיחַ) إشارة إلى كونه ملكاً شرعياً يجب الخضوع له، حتى لو كان ذاك الملك غريباً مثل الملك الفارسي قورش الثاني الذي أطلق عليه النبي أشعيا لقب المسيح سفر أشعيا (١: ٤٥) حيث يظهر من النص أن الطقس جاء مع موسى ^{عليه السلام} على الرغم من أن الطقس بابلي قديم، هذا من ناحية (٢).

ومن ناحية ثانية أن الأمر ارتبط بالسياسة من خلال التأكيد على كون قورش الثاني هو مشايخ على الرغم من أنه ليس يهودياً ولا موحداً؛ إلا أن النبي أشعيا على وصفه المسيح. وهذا يبين أن المفهوم يمر بتطور عبر التاريخ. هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ لِمَسِيحِهِ، لِكُورَشَ الَّذِي أَمْسَكَتُ بِيَمِينِهِ لِأَدُوسَ أَمَامَهُ أُمَّماً، وَأَحْقَاءَ مُلُوكِ أَحْلُ، لِأَفْتَحَ أَمَامَهُ الْمِصْرَاعَيْنِ، وَالْأَبْوَابُ لَا تُغْلَقُ. (سفر أشعيا ٤٥: ١).

أَنَا أَسِيرُ قَدَامَكَ وَالْهُضَابَ أُمَهِّدُ. أَكْسِرُ مِصْرَاعِي النُّحَاسِ، وَمَعَالِيْقَ الْحَدِيدِ أَقْصِفُ. (سفر أشعيا ٤٥: ٢)

١. سعاد عبد الكريم محمد، المنتظر في التوراة والإنجيل، مجلة العقيدة، شهر ربيع الأول ١٤٤٠ هـ / ٢٠١٨ م، العدد ١٦، تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ص ٢٥٦-٢٥٧.
٢. يقول (الخوري بولس الفغالي): (لم يكن هذا الطقس (المسح بالزيت) خاصاً بشعب إسرائيل، فهناك رسالة من تل العمارنة تعلمنا أن ملوك أرام وفينيقية وكنعان، كانوا يمسحون ملوكاً على يد رسولٍ من عند فرعون، وقد وُجد في أحد مقابر ملوك جيبيل إناء يوضع فيه البلسم (هذا السائل العطري) من أجل تنصيب الملوك على عروشهم. ونعرف أيضاً أن الموظفين الكبار في مصر، كانوا يمسحون بالزيت قبل أن يتسلّموا مهامهم، وهكذا يتبين لنا أن طقس المسح بالزيت جاء إلى العبرانيين من مصر. انظر: حلمي القمص يعقوب، كتاب النقد الكتابي: مدارس النقد والتشكيك والرد عليها (العهد القديم من الكتاب المقدس).



وَأَعْطَيْكَ ذَخَائِرَ الظُّلْمَةِ وَكُنُوزَ المَخَابِي، لِكَيْ تَعْرِفَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي
يَدْعُوكَ بِاسْمِكَ، إِلَهُ إِسْرَائِيلَ. (سفر أشعيا ٤٥: ٣)

تظهر مرحلة ثالثة إذ يتم الجمع بين المفهوم الديني والملك بمعناه السياسي؛
إذ يظهر الملك المتدين وهو يجمع بين كونه كاهناً وملكاً معاً وهي مرحلة
متأخرة جاءت في الأدبيات اليهودية وليس بالضرورة إن كان له تحقق فعلي
عند مدّعي المسيحية فيما بعد^(١).

وهكذا هناك مزيد من النصوص التي تحدث عن المنقذ بقولهم: (وفي وصايا
القضاة الاثني عشر فإن المنقذ يرجع أصله إلى قبيلة لاوي ويظهر كمحارب...) ^(٢).
ولعل هذا القول ارتبط بمرحلة متأخرة مثلها الأنبياء المتأخرون أو عرّافو اليهود إذ
الذين أنتجوا سرديات وأشعاراً أخذت طابعاً تخيلياً يقوم على تجييش المشاعر
لاهوتياً، وهو ما أصبح رأساً لجمعاً في تعزيز السلطة الدينية وهي تقدم
البديل عن الشتات والأسر مما جعل اليهودي يشعر بغرته إلى الوطن الذي
يسكنه ويعيش تخيل العودة إلى القدس كما تم تخيلها من قبل هذا الأدب،
إذ كان يتحدث عن قيام (ثورة تشمل الكون كله ويقررون أنها على وشك
الحدوث، وأن الإله سيتدخل فيها بطريق مباشر، وأن هناك شخصيات فوق
الطبيعة ستظهر وستعمل على مساعدة بني إسرائيل للوصول بهم إلى المجد،
وإنها ستأتي للسيطرة على الأرض، بعد أن تكون قد تغيرت من جراء تلك
الثورة السعيدة التي يصفونها، ويمثل هذه الفكرة الأدب الذي سمي بالأدب
(الابوكاليسي) ^(٣).

١. تحرير: فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس، دار علاء الدين، ط ١، دمشق، ٢٠١٠،
ص ١٤٤-١٤٥.

٢. فالج مهدي، البحث عن منقذ (دراسة مقارنة بين ثماني ديانات)، ص ١١٨.

٣. عبد الوهاب المسيري موسوعة اليهودية والصهيونية، دار الشروق، ط ١، القاهرة، ١٩٨٢ م، ص ٦٠.



فهذا النمط من الأدب هو أدب ذو طابع شعبي كان يحرك مشاعر الناس فهو (أدب الرؤى) الذي يعرض هذه الفكرة عن طريق الأحلام الرمزية، وقد أدت هذه الأحلام الشعبية ثمارها إلى حد كبير، إذ إن عدداً كبيراً من المتحمسين اعتقدوا في أنفسهم أنهم هم هذا المسيح المنتظر. وقد وجد من هذا النوع من الناس عددٌ كبيرٌ منذ القرن الأول قبل عيسى عليه السلام حتى يومنا هذا^(١).

إلى جانب هذه الصورة التي يظهر فيها المسيح كمحارب عقائدي ينشد بناء دولة كونية يسيطر بها اليهود وتكون القدس عاصمة العالم، وهنا يأتي المسيح إلى هذه المدينة مسالماً وليس محارباً، إذ يصوره سفر زكريا، نقرأ عن قول المسيح المنقذ: (بَتَّهَجِي جِدًّا يَا ابْنَةَ صِهْيُونَ، اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكَ يَأْتِي إِلَيْكَ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدَيِّعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى جِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ. ١٠ وَأَقْطَعُ الْمُرْكَبَةَ مِنْ أَفْرَايِمَ وَالْفَرَسَ مِنْ أُورُشَلِيمَ وَتُقْطَعُ قَوْسُ الْحَرْبِ. وَيَتَكَلَّمُ بِالسَّلَامِ لِلْأُمَّمِ، وَسُلْطَانُهُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ، وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ) (زكريا ٩: ٩-١٠).

والذي يهمننا هنا في سياق هذا البحث أننا سوف نحاول أن نعرض إلى الظروف التي مهدت أو كانت وراء هذا المخيال الديني حول مفهوم المسيح المنتظر إذ (تعلق اليهود بفكرة المخلص والبناء الفكري المعقد الذي ارتبط بهذا الأجل والذي أصبح عالماً حافلاً بحكايات كثيرة ترتبط به وشخصيات لعل أعظمها وأشهرها وأشدّها ارتباطاً بما يراه اليهود في المسيح هو شخصية النبي إلياس الذي يسميه اليهود (إلياس النبي))^(٢). وهذا ما سوف نحلله في المبحث الأول ونحن نعرض إلى بنية الخطاب اليهودي وتمركزه حول ذاته وكيف تحول إلى خطاب لاهوتي متشكك. فيما سوف نقف في المبحث الثاني عند عقيدة الخلاص (الماشيح المنتظر اليهودي).

١. محمد عبد المجيد، اليهودية، مكتبة سعيد رافت، ط ١، القاهرة، ١٩٧٨ م ص ٢٩-٣٠.

٢. محمد خليفة حسن، تاريخ الديانة اليهودية، القاهرة، ١٩٩١ م، ص ١٥٢-١٥٣.

المبحث الأول: البنية الأصولية اليهودية:

إن البحث في الجذور العقائدية التي كانت وراء تأسيس الهوية الدينية اليهودية الأصولية نجدها تكمن في (الخطابات ذات النزعة الكلية، تغذي في القول الأنتربولوجي والسويولوجي، وتشكلات سردية قادرة على وجه التقريب على أن تشرح واقعاً معيناً. وتلاؤم تشكيل سردي مع هذا الواقع يتوقف بالدقة على درجة سداد الخطاب ذي النزعة الكلية)^(١)؛ فهذه القراءات التي قامت عليها المؤسسة الدينية اليهودية في بابل، حلّت محل السلطة السياسية والدينية قبل السبي فإنها - أي الهياة الجديدة - هي التي اعتادت على تشكيل الهوية الدينية اليهودية حتى تحافظ على سيطرتها على اليهود وتحول دون ذوبانهم في المجتمع البابلي؛ لهذا اصطنعت لهم هوية تعزز اختلافهم عن المحيط وهي في الوقت نفسه عززت هيمنتها عليهم، وجعلت كل اليهود بالعالم في عزلة عن الأوطان التي يعيشون بها ويكون انتهاؤهم إلى ساريا، الوطن المتخيل، وهم ينتظرون منقذاً منتظراً سوف يقوم بإرجاعهم إلى هذا الوطن.

فإن مفهوم التخيل (Fantasm fantasy) يمثل الصور أو الحوادث المصورة التي يعيشها الشخص وتكون مصبوغة مشوهة بأغراض دفاعية باطنية وتعبّر لا شعورياً عن إنجاز رغبة مكبوتة. وهو نفسه نجده في المخيال اليهودي الذي تم الترويح له في الأدب الشعبي كما سبق القول، ثم أصبح جزءاً أساساً في السردية التلمودية والتوراتية والتي تعد الأصول التي تنشق عنها الأصولية العقائدية اليهودية.

وهذا ما سوف يجعلنا نقف عند سلطة النص بكل حملتها التيولوجية وتوظيف مؤسسة الكنيسة منذ بابل، إذ تمّ تشكيل جهد الكُتّاب في سعيهم إلى المحافظة على الهوية اليهودية في ظل مجتمع بابلي متقدّم حضاري على الأصول

١. جويل كاندو، الذاكرة والهوية، ترجمة، وجيه أسعد، الهياة العامة السورية للكتاب، ط ١، دمشق، ٢٠٠٩ م، ص ٣٥.



الرعية لليهود، إذ سعى كُتّاب التوراة والتلمود فيما بعد إلى الموروث الشفوي، فأخذ هؤلاء بجمع الموروث القديم من (بابلي أو مصري أو كنعاني) وتوظيفه لغاياتهم الشخصية؛ من أجل بلورة الهوية اليهودية عبر الخطاب التوراتي التي تعود بالأصل إلى (أصول الحضارات الجزرية وليست إراثاً لليهود، وإنما إراثٌ قديم)^(١).

فهذه النصوص تحمل أقنعةً واستعارات تعبر عن أهداف ومرامٍ عدوانية تنفي الآخر وتحلل إزاحته وقتله وسلب مقتنياته وأرضه. كما تتجسد في القراءات الإحيائية الأصولية في الصهيونية والأصوليات الدينية الأخرى، فهي تحاول أن تدفع الذات اليهودية إلى أن تؤسس الاختلاف عن أعدائها، وتجعلهم خارج مورد الحق، وفي النهاية قتلهم واستباحة دمائهم.

لكن تبقى العوالم التي شكّلتها النصوص المقدّسة ومنها التوراة والتلمود بمثابة عوالم تخيلية تحوي كثيراً من الأقنعة والاستعارات، فإن (التخيّل يمكن أن يقدم عالم الهجاء المنحط، أو عالم الأنشودة العاطفية البطولي، أو عالم الحكاية المحاكي؛ لكن العالم الحقيقي محايد أخلاقياً، أمّا العوالم التخيلية فإنها محملة بالقيّم، وهي تقدم لنا وجهة نظر عن وضعنا نفسه بطريقة تجعلنا - ونحن نحاول تبيين موضعها - نلتزم في وضعنا الخاص)^(٢).

في التأويل والقراءة اليهودية للنصوص، في التلمود والتوراة تحاول جعلها نماذج للفرد اليهودي في علاقته بأخيه اليهودي أو بالآخر، متخذين من تلك النصوص فوق إراث الإنسانية؛ بحجة كونها نصوصاً مقدّسة تعود إلى الله، فإن الوصايا الإلهية للشعب اليهودي تسمو على الأفكار الإنسانية وبالاتي (يفترض ويفرض الانكفاء على الذات؛ والافتناع بحياسة الحقيقة الإلهية؛ والخوف من

١. ناجح المعموري، أقنعة التوراة، دار الأهلّة للنشر والتوزيع، ط ١، غان، ٢٠٠٢ م، ص ٩.

٢. عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة، المركز الثقافي العربي، ط ١، الدار البيضاء - المغرب، ص ٥٦-٥٧.



التأثيرات الخارجية؛ والرجوع باستمرار للنصوص المقدّسة؛ والاشتمزاز من أي نصوص قد تؤثر في العقيدة. ويقدم الإيمان دائماً على القواعد الدينية، فالإيمان بإله كلي له القدرة هو وحده المبرر لكل الأوامر والنواهي الموجهة للإنسانية^(١) وهي التي جعلت منهم يقومون بالإبادة الجماعية التي شملت البشر والحيوان للشعوب التي أخضعوها لسلطتهم - بحسب تاريخهم التوراتي -، ويمكن أن نستعرض أهم ملامح هذه السردية الأصولية ومقولاتها الأبرز:

١ - عقيدة الصفاء العرقي والديني:

من الممكن أن نرصد بعض تلك النصوص في توصيفها للعلاقة بين اليهود والآخر، كما جاءت في التلمود مثلاً: (يجب ترك غير اليهودي إذا وقع في البئر)، ويشرح الراباي جوزيف هذا القول: (فيما يخص عبدة الأصنام ورعاة الأغنام ليس هناك إجبار على إخراجهم من الحفرة التي يقعون فيها وإنما لا يجب إلقاءهم في الحفرة)^(٢)، فإنّ هذا التشريع يخفي رغبة قوية في إزالة الآخر وإقصاءه بوصفه مختلفاً، سواء كان يعبد الأوثان أم راعٍ يختلف عنهم بالمدينة؛ فهو أقل ولا يستحق أن يكون ندّاً، ولعل هذا ما تظهره التشريعات التالية: (إذا أقدم غير اليهودي على ضرب يهودي؛ فإن غير اليهودي يستحق القتل، لكن لا يقتل اليهودي إذا قتل غير اليهودي، وإذا قتل شخص يهودي شخصاً غير يهودي فإن اليهودي لا يعاقب بالقتل، وما يسرقه من غير اليهودي يمكنه الاحتفاظ به)^(٣).

فهذه النظرة إلى الآخر تقوم على الإقصاء؛ لأنّه مختلف وأقل من اليهودي؛ فإنهم بهذا يفسرون المختلف للانسياق معهم وقهره لصالح الأنا المتضخمة

١. إيمانويل هيمن، الأصولية اليهودية، ترجمة، سعد الطويل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٢٤.

٢. عاطف عثمان حلبية، غرائب التلمود، ج ١، القاهرة، ص ٢٥.

٣. غرائب التلمود المصدر السابق، ص ٢٧-٢٨.



للمتجبر في الحيز المتاح لها في التعبير عن نزعتها الإقصائية؛ لإلغاء التنوع بقصد إرضاء جبروتها المدمر لكل أشكال التنوع.

مشكلتنا إذن تكمن في التخلص من سطوة أيديولوجيا المتجبر وتطرفه الفكري، وهذا ما يظهر بنظرهم إلى الآخر بأن (أبناء غير اليهود حيوانات وأنّ بنات غير اليهودي قذرات منذ مولدهن)^(١)، ويظهر بنظرهم إلى المسيح وأتباعه (المسيح وتلاميذه كانوا يمارسون السحر الأسود وكانوا حلفاء لغير اليهود؛ لكي يبدّلوا الدين اليهودي)^(٢)، وبالتالي فإنّ (الذين يقرأون العهد الجديد لا نصيب لهم في الآخرة)^(٣)، وانطلاقاً من هذا يرى التلمود أنّ على اليهود (تدمير كتاب العهد الجديد)^(٤)؛ فهم يصفون غير اليهودي بـ(عابد الأوثان) أو أجنبي، ومعناها يشمل المسيحي، فهم يسمون الأمم الأخرى (أكيم)؛ لأنه قيل: (إذا صلّى يهودي وتقابل في طريقه مع (أكيم) يحمل صليماً وكان اليهودي وصل للنقطة الواجب الانحناء فيها؛ فعليه ولو كان قصده وموجهاً لله الذي يحمل صليب لا شك أنه المسيحي)^(٥).

طبعاً هذه النصوص المقدّسة عند اليهود تجد ترجمتها في حياة اليهود، إذ يقول إسرائيل شاحك: (إذ شهدتُ بأمّ عيني يهودياً متطرفاً دينياً يرفض أن يستخدم هاتفه يوم السبت لاستدعاء سيارة إسعاف لشخص غير يهودي

١. المرجع السابق، ص ٢٨.

٢. المرجع السابق، ص ٣٠. وانظر: بيتر شيفر، يسوع في التلمود المسيحية المبكرة في التفكير اليهودي الحاخامي، ترجمة، نبيل فياض، المركز الأكاديمي للأبحاث، ط ١، بيروت، ٢٠١٦ م.

٣. المرجع السابق، ص ٣٢.

٤. المرجع السابق نفس الصفحة. وانظر في هذا الصدد أيضاً: روهليخ، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص ٥١-٥٥. وانظر أيضاً منير العكش، تلمود العم سام، رياض الريس، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٤ م. وفي هذا الكتاب لقاء الأصولية اليهودية والأصولية المسيحية وهو ما سوف نقف عندها في هذا البحث.

٥. روهليخ، الكنز المرصود في قواعد التلمود المرجع السابق.



صادف أن وقع مريضاً في حارته في القدس^(١)؛ فهذه التفسيرات التلمودية مهمّة في تفسير التوراة، وبالتالي فإن الحكيم (التلمودي) له أهمية، (تفوق أهمية النبي؛ لأنه هو الذي يفسر رسالة الوحي وهو الذي يدمجها في حياة البشر، ومن دون التأثير الراسخ للفهم التقليدي للكتاب المقدس (أي التوراة)، تصبح تعاليمه - أي تعاليم الكتاب المقدس - عرضة لتفسيرات قد تؤدي إلى تحطيم وحدة الثقافة اليهودية)^(٢).

٢- العودة إلى الأصول:

فكرة العودة إلى الأصول فكرة عميقة الحضور في الفكر الأسطوري، فهناك دائماً إحياء دوري للأصول الأولى في السنة البابلية وغيرها، يبدو أن الفكرة انتقلت إلى اليهودية، وأصبحت فكرة راسخة في الدين اليهودي، إذ يتم القيام بهذا الأمر عبر الطقوس والتوجيهات في الكنيسة، عبر الضغط على وعي المتلقي من خلال الطقس المحاط بالمقدس ودفعه إلى (إمّا استرجاع إرادي للمدركات أو الأفكار، فهذا يتضمن المجهود الذي يبذله العقل في البحث عن الأفكار أو الألفاظ المنسية؛ أو استرجاع لا إرادي تظهر فيه الذكريات تلقائياً لأنها قد تظهر أحياناً من تلقاء نفسها في عقولنا، فترتفع من مستوى الخلايا المظلمة التي كانت توجد فيها إلى الظهور في ضوء النهار)^(٣).

هذا الفعل يستند على أن هناك أصلاً نقيماً لا بد من إحيائه وتمثله، والصراع عن من يمثله تمثيلاً كاملاً (فالأصولية تعني تبني فكرة العودة إلى العقيدة القديمة الخالية من شوائب اندماج اليهود بغيرهم من الشعوب وأتباع إسرائيل شاحك، تاريخ اليهود وديانتهم عبر ثلاثة آلاف عام، ترجمة، ناصرة السعدون، دار كنعان، طبعه خاصة، ٢٠١٢م، ص ٢٩.

٢. ألان أنترمان، اليهود عقائدهم الدينية وعباداتهم، ترجمة، عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٠٧.

٣. محمد الجويلي، الزعيم السياسي، دار سراس للنشر، تونس ١٩٩٢م، ص ٢٥، ٢٦.



الديانات الأخرى^(١). فالاندماج وإن كان يجعل المواطن اليهودي يتخلص من أسر رجال الدين؛ إلا أنهم يبقون يطاردون بالتكفير وذوبانه في (أكيم) عبدة الأوثان قديماً وحديثاً، وبالتالي فهو السبب في ضياع دولة إسرائيل التاريخية؛ بسبب الذنوب وعبادة آلهة الوثنيين إذ جعلت الرب يسلّط الأقسام الجبابرة على إسرائيل، وهذا حاضر بعمق في التوراة والتلمود، وهذه المطاردة التي يقوم بها رجال الدين من أجل استعباد اليهودي بحجة التكفير والطرده من الجنة، أو لكونه السبب في سقوط إسرائيل، أو السبب بعدم ظهور المخلص، وهذا ما جاء في التلمود (سمعت صوتاً مقدساً ينوح كالحمامة يقول: تبأً للأبناء الذين بسبب خطاياهم دمّرت بيتي وأحرقت معبدي وشرّدتهم بين أمم الأرض)^(٢). فهذا النص الذي يرويه هذا الراي يعبر عن تفسير تلمودي للتوراة ويمارس ضغطاً على الضمير اليهودي ويحمّله أسباب دمار دولة إسرائيل المتخيّلة، ويجعله مسؤولاً عن ما حدث عبر خروجه على العهد وباندماجه مع الأميين من غير شعب إسرائيل أو قصوره في الطقوس والحقوق الشرعية التي يدفعها للمعبد. وقد واصل الكنيس اليهودي والحاخامات المحافظة على نقاء الشعب من الاندماج مع الأغيار، وجاءت الأصولية الصهيونية وقدمت تأويلاً عنصرياً أيديولوجياً يستثمر الميراث التلمودي والحاخامات؛ من أجل توظيفه في بناء دولة إسرائيل المعاصرة.

٣ - التأسيس العرقي للدين اليهودي (شعب الله المختار):

وهذا قد عبرت التوراة عنه مثل سفر التثنية بشأن الوعد (لأن أعينكم هي التي أبصرت كل صنائع الرب العظيمة التي عملها، فاحفظوا كل الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم؛ لتتشددوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي أنتم عابرون

١. عبد الأمير زاهد وفكري جواد، الأسس الدينية للأصولية في الأديان الإبراهيمية، ص ١٩.

٢. غرائب التلمود، المصدر السابق، ص ١٢٧.

إليها لتمتلكوها. ولكي تطيلوا الأيام على الأرض التي أقسم الرب لآبائكم أن يعطيها لهم ولنسلهم أرض تفيض لبنا وعسلاً) (سفر التثنية: ٧-١٠).

تبدو هذه الأصولية على الرغم من طابعها الديني وصراعاتها على الأرض كأى صراع بدوي إلا إنها تحاول أن تمارس دمجاً دنيوياً بآخر غيبي مقدس، من أجل جعل الصراع مقدساً؛ فالمؤمن هنا يمنح كل ما هو نسبي ودنيوي طابعاً كونياً مقدساً على حساب الإنسان وكرامته من أجل خرافات أو أضغاث أحلام، فـ(إن بني إسرائيل سيكونون طرفاً في علاقة تعاھدية مع يهوذا، فهو الإله الذي تصوّره التوراة بصورة الملك، وهم الشعب الذي تصوّره التوراة بأنه شعب خاص بذلك الإله، ويلاحظ أن هذه النصوص تشير في النفوس شعوراً بالتفوق والعلو والتمييز على الأمم الأخرى)^(١).

يبدو أن غاية اليهود هي حرمان العالم من الأمن والاستقرار، وأساس تلك الغاية الرؤية التلمودية التي تقول: (يجب على كل يهودي أن يسعى لأن تظل السلطة على الأرض لليهود من دون سواهم، وقبل أن يحكم اليهود باقي الأمم يجب أن تقوم الحرب على قدم وساق، ويهلك ثلثا العالم، وسيأتي المسيح الحقيقي، ونحقق النصر القريب، وحينئذ تصبح الأمة اليهودية غاية في الشراء؛ لأنها تكون قد ملكت أموال العالم جميعاً، ويحقق أمل الأمة اليهودية بمجيء إسرائيل، وتكون هي الأمة المتسلطة على الأمم الأخرى عند مجيء المسيح)^(٢)؛ فهذا النص مثلما يسوغ تقبل الصعوبات بالأسر أو الشتات؛ فهو أيضاً يواصل الضغط على الفرد لكونه لم يمارس الطقوس وطاعة رجال الدين؛ فهذا يجلب الذنب، ويقود إلى انتقام الإله من ذنب الإنسان، فالكتب المقدسة اليهودية تطارد الإنسان وتحاول تطويعه من أجل غاياتها المادية؛ لهذا فهي ترسم له

١. فكري جواد، الأسس الدينية للأصولية في الأديان الإبراهيمية، ص ٢٧.

٢. صفوان الشوادفي، اليهود نشأة وتاريخاً، دار التقوى للتوزيع والنشر، (د.ت)، ص ٦٧.



أصلاً متخيلاً متعالياً على الأجناس الأخرى: عرقياً ودينياً؛ من أجل المحافظة على وحدة الجماعة اليهودية في مواجهة التأثيرات السلبية للأغيار، فالجيتو^(١) على الرغم من كونه سلب اليهود في (الحقوق والعدالة وحق الدفاع عن النفس)، إلا إن هذا الوضع أرحم في نظر السلطة الدينية من الذوبان في الواقع الاجتماعي للأغيار؛ لأنه في هذه الحالة يخرج من هيمنة رجال الدين والمؤسسة الدينية. واليوم في المجتمع الإسرائيلي هناك صورة متشددة لتعريف اليهودي، فإن أتباع المذهبين (المحافظين والأرثوذكسي) لا يجيزون الزواج من هؤلاء المتهودين أو من يمثلهم، بل يعدون النسل عن مثل هذا الزواج أبناء زنا^(٢).

أكيداً يمكن القول: لا توجد ديانة معصومة عن التعصب، ولكننا وجدنا أن هذه الترسانة من النصوص، تحض على نفي الآخر وتجوز قتله وتصوره بصور نمطية^(٣)، فهذه المؤسسة غير المتسامحة بل الأصولية غير المفتحة وغير متحاورة، ولا تقبل مراجعة نفسها، وتعتقد أنها تمتلك الحقيقة وتريد إخضاع الآخرين لها، أكيداً هي سبب كل المحن التي خلقتها لليهود على اختلاف أجناسهم وأوطانهم ومذاهبهم، واليوم هذه الأصولية تجد ترجمتها في دولة إسرائيل.

١. يشير إلى منطقة يعيش فيها، طوعاً أو كرهاً، مجموعة من السكان يعتبرهم أغلبية الناس خلفية لعرقية معينة أو لثقافة معينة أو لدين. أصل الكلمة يعود للإشارة إلى حي اليهود في المدينة، مثل الغيتو في مركز مدينة روما. يشار إلى الغيتو في الدول العربية بـ(حارة اليهود). الغيتو أيضاً درج على وصف الأحياء الفقيرة الموجودة في المناطق المدنية الحديثة.

٢. انظر: عرفات عبد الحميد فتاح، اليهودية عرض تاريخي، دار عمان، ط١، عمان، ١٩٩٧ م، ص١٢٨.

٣. الصورة النمطية: هناك فرق بين الصورة النسخ المنبثقة من الإدراك والصور الاستيهامية التي تلعب دور التعويض عن النقص، والصورة النمطية هي من جنس الثانية وهي تلعب دور حارية للذاكرة من تحولات الزمن. انظر: محمد نور الدين أفاية، الغرب المتخيل، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٠، ص٢٠-١٢.

المبحث الثاني: عقيدة الخلاص (الماشيح المنتظر اليهودي):

١- تأصيل تاريخي:

لقد جاءت كثير من النصوص التي وعد بها إله إسرائيل على جمعهم من كل شتاتهم إلى القدس، وإلى أرض إسرائيل، إذ سيحكمون بالعدل والسلام وبياركون بمحبة الله، ويتحقق هذا من خلال الشخص الموعود الذي يحكم في آخر الزمان بالعدل، هو من نسل داوود حصراً؛ لكن يهودا وحده هو الذي سيحقق النصر والخلاص، علماً بأنه لم يرد في العهد القديم ما يشير إلى أن شخصاً بطلاً منقذاً سيقوم بمعجزة؛ لتحقيق هذا الخلاص^(١).

وهذا الخلاص يتحقق من خلال (فكرة الحرب)، فالتاريخ لا يتغير إلا بالحرب، لهذا تجد فكرة الحرب والصراع الدموي حاضرة في كتب اليهود المقدسة ثابتة ومستمرة ومتصلة، تكاد تشمل من أوله إلى آخره؛ لهذا فإن العنصرية اليهودية تحققت بفعل نفس اليهود المسبوكة بنيران الحروب^(٢).

وتبقى مقاومتهم لكل أشكال الاندماج هي التي تقودهم إلى تغيير دينهم تلاقي مقاومة عنيفة منهم، وفي هذا يقول بن ميمون: القول إنه على اليهودي الهجرة إذا ما أجبر على انتهاك الشرع الإلهي: (عليه أن لا يبقى في دنيا ذلك الملك؛ وأن يجلس في بيته حتى يهاجر). ويقول مرة أخرى، بإلحاح أشد: (عليه أن لا يبقى في منطقة التحول القسري بأي شكل؛ وكل من يبقى في مكان كهذا إنما يجذّف على اسم الله وهو شرير كالأثم عن قصد؛ أمّا بالنسبة لأولئك الذين يضللون أنفسهم بالقول: إنهم سيبقون حتى يأتي الماشيح (المسيح

١. رشيد باني الظالمي، الميثولوجيا في النص التاريخي والديني، مصدر سابق، ص ١٢٨.

٢. انظر: حسن ظاظا وآخرون، شريعة الحرب عند اليهود دار الاتحاد العربي للطباعة، ط ١، الاسكندرية،

١٩٧٦م، ص ١٦.



المنتظر) ويقودهم في حرب إلى القدس؛ فلا أعرف كيف سيظهرهم (المسيح) من وصمة عار تبديل الدين)^(١).

٢- الجذور التوراتية للمفهوم:

إن الفكر اليهودي المتأخر يرسم له ملامح مميزة، ويمنحه نسباً يعود إلى الملك داود، وهو يحتل مكانة مهمة في السرد الديني الذي يظهر في التوراة وقد اتخذ في التاريخ مساراً حتمياً كما يتجلى في الخطاب التوراتي^(٢).

تبدو حتمية أن الإنسان ليست له أي سلطة فيها، كما أن اليهودية أخضعت سلوك الفرد إلى أسس يتعامل بها مع مفردات الزمن. إلا أننا نلمس في المقاربات اللاهوتية المتأخرة التي نحاول الوقوف عليها في ثنايا هذا المبحث؛ إذ ارتبطت فكرة نهاية التاريخ لدى اليهود بفكرة الماشيح المخلص^(٣)، التي تم ربطها بما جاء في التوراة التي جمعت في بابل إذ (أخذوا منها تجديداً للعهد الذي قطعه الله مع أنبيائه: (إبراهيم ويعقوب وموسى) بأن يجعل من بني إسرائيل شعبه المختار، ويمنحهم القدرة لحكم بقاع الأرض كلها، وإذا كان هذا العهد لم يتحقق بحسب رؤيتهم؛ فإنه نتيجة لمعاصيهم وذنوبهم التي ارتكبوها، ولكن لا بد أن يأتي اليوم الذي يجيء فيه المسيح المخلص ويجمع شتات بني إسرائيل في القدس التي ستغدو في حينها مدينة لا مثيل لها بين المدن^(٤).

والأحداث المتوقعة عند وصول الماشيح بحسب الإيمان اليهودي تشابه أحداث يوم القيامة في المسيحية، وتشابه النبوءات التي يعتقد بتحققها اليهود؛ أو باحث في أنثروبولوجيا العقائد القديمة سيجد أن صوراً متشابهة لشخصية

١. من مقدمة المترجم، ابن ميمون، رسالة اليمون، ترجمة وتقديم نبيل فياض، ص ٦.

٢. ينظر: الملاح، هاشم، الفصل في فلسفة التاريخ، ص ٨٠-٨١.

٣. ينظر: الملاح، هاشم مجي، الفصل في فلسفة التاريخ، ص ٨٩.

٤. ينظر: المصدر والصفحة نفسها.



ذلك المنقذ المخلص؛ (فهو المعين الإنساني الذي نهلت منه جميع المجموعات المظلومة ملامح تراثها العقدي في صراع: الخير والشر، النور والظلمة، الحق والباطل...، وهذا ما تجسده لنا العديد من النصوص عند مجمل الفرق، أو الديانات المسيحية واليهودية، وحتى المذاهب والعقائد القديمة، التي احتاجت إلى بطل، منقذ عندما ضاقت بها السبل، فرسمت صورة غلب عليها الطابع الأسطوري لمنقذها، نسجها خيال أولئك المضطهدين في كل جماعة بشرية^(١).

نستطيع أن نميز في التاريخ اليهودي مرحلتين:

المرحلة الأولى:

تلك التي ارتبطت بمجموعة من النبوءات التي جاء بها الأنبياء المتأخرون والتي كانت تعبر عن دراما السقوط التي تجسد الصراعات السياسية في المنطقة بين مصر وأشور ومن ثم بابل، إذ (وقع العبرانيون بين النفوذ الآشوري البابلي في منطقة ما بين النهرين وبين النفوذ المصري في الجنوب وظل تاريخهم يتأرجح بين التبعية لهذه القوة أو للأخرى بحسب الظروف التاريخية التي مرّت بها إمبراطوريات الشرق الأدنى القديم، وغالباً ما كانت الأجزاء الشمالية من منطقة العبريين تتبع آشور وبابل، بينما أغلقت المنطقة الجنوبية ولائها للمصريين)^(٢).

وقد وقعت أورشليم بين الاثنين وهي تخضع إلى تأويل ذي بعد لاهوتي متعال تجد أن الشعب خرج عن عهده مع يهوه، لهذا فإن يهوه سوف يتخلى عن شعبه ويسلمهم إلى الأشرار بمقابل ما قاموا به من أفعال لا أخلاقية وتتعارض مع الإيمان قدمها مجموعة من أنبياء اليهود المتأخرين:

أرميا (نحو ٦٠٠ ق.م): في مجال البحث عن الأنبياء الذين كان لهم دور في

١. محمد صديقي، فكرة المخلص (الإنسانية) بحث في فكر المهدي، دار جداول، ط ١، بيروت.

٢. محمد حايقة حسن أحمد، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، ص ٢٢-٢٢٤.



التحذير من الانحراف الأخلاقي والوثنية والابتعاد عن الإله الغيور يهوه الذي كان يجد أن شعبه إسرائيل قد خرج عن العهد، وأخذ يرسل الرسل من أجل التحذير والحث على الإصلاح، وألا يكون العقاب بالتخلي عن الشعب بل وتسليط الأشرار من باقي الدولة عليهم. كان هذا التفسير الديني لما كان يدور من صراع بن القوي الكبيرة في المنطقة، وكانت الدولة اليهودية صغيرة تقع بين المتصارعين وهذا يجعل منها ضحية.

فالتفسير الديني يقوم على تفسير ما يحدث أنه نتيجة عن ابتعاد اليهود عن عهدهم مع يهوه، وهذا هو سبب كل ما يحدث بهم من مصائب. ولعل هذا يسهم في حصار المدينة ودمارها والهيكل والسبي.

لقد كان أرميا أحد الرسل الذين عللوا ما يحدث وقدموا استبصارهم لما سوف يحدث في المستقبل، من دمار وسبي ثم ظهور المنقذ. (كانت الخدمات النبوية التي قدمها أرميا، في معظمها تنصب على تحذير الشعب من الكوارث التي من الممكن إحباطها أو تفاديها بمعونة يهوه، لكن جهده كان يذهب هباءً. مما جعل مهمته عسيرة في كثير من الأحيان). بقوله: (صرت للضحك كل النهار. كل واحدٍ استهزأ بي. لأنني كلما تكلمت ناديت: لظلم واغتصاب...) (أرميا ٢٠: ٧-٩).

كانت كلماته مؤثرة وقاسية ومقلقة بإخبارها عما يراه من المستقبل كما كان يحس أن الرب يريد أن يقوله. وقد جاء إلى الهيكل وقال على العكس مما كان يتوقعه زملاءه مما سوف يحدث بفعل خروج دولتهم عن عهدها مع السلطة الكلدانية، جاء وألقى خطاباً اتهامياً مقذعاً ضد ارتداد الشعب إذ أعلن: قال الرب هكذا تقول لهم: (أجعل هذا البيت كشيلوه وهذه المدينة أجعلها لعنة لكل شعوب الأرض) (أرميا ٢٦: ٦).

لقد أثارت هذه النبوءة رجال الدين والشعب (فقال الأخبار والأنبياء



للرؤساء ولكل الشعب: هذا الرجل يستحق الموت؛ لأنه تنبأ ضد هذه المدينة، كما سمعتم بأذانكم، فقال أرميا للرؤساء ولكل الشعب: أرسلني الله لأتنبأ ضد هذا البيت وهذه المدينة بكل الكلام الذي سمعتموه. فالآن أصلحوا طرقكم وأعمالكم، وأطيعوا ربكم وإلهكم، فارجع ولا يرسل المصائب التي حكم بها عليكم، أمّا أنا فإني في أيديكم فافعلوا بي ما ترون أنه صالح (وحق) (أرميا ٢٦: ١٢-١٥)، وكان لهذا الكلام أثره في الجميع فجاء جوابهم: (فقال الرؤساء وكل الشعب للكهنة والأنبياء: ليس هذا الرجل حق الموت؛ لأنه إنما كلمنا باسم الرب إلهنا) (أرميا ٢٦: ١٦).

وبعد أن دمرت أورشليم عام (٥٨٦ ق.م)، أطلق نبوخذ نصر سراح أرميا وعامله كصديق وسمح له بالبقاء في يهودا مع عدد قليل من المواطنين من الطبقة الدنيا من المجتمع. حاول أرميا أن يصلح أولئك الذين تركزا وإياه، مع ما هو مكتوب لهم، أرميا لم يكن متشائماً في نهاية الأمر، فقد امتلك أسباب ومسوغات الأمل، تنبأ بأن يهوه بعد أن ينتهي من استخدام بابل كوسيلة لإنجاز عقابه العادل ضد الأمم، فإنه سوف يعاقب بابل نفسها، عندها لن يعود شعبا يهوذا وإسرائيل يخدمان الغرباء، بل سوف يعودان إلى يهوذا (ليخدا الرب إلههم، وملكهم داوود، الذي سوف يبعثه يهوه من أجلهم)، ويقول الله: (أنا معك وسأنقذك. أفني كل الأمم التي شئتك بينها، أمّا أنت فلا أفنيك. ولكني لا أعفيك من العقاب، بل أؤدبك بالعدل...) (أرميا ٣٠: ١١)^(١).

كانت لهذا النبي نبوءة تقوم على إنذار إلى اليهود أن يلتزموا بالعهد وأن يكفوا عن انحرافهم، ولكن بعد الإصرار جاء الخبر أن يهوه قرّر أن يستعمل بابل في العقاب كأداة فقط، وبعدها يقوم الرب بإنقاذ الشعب ويرجعه إلى أرضه، ومعهم المخلص الذي سوف يعيد البناء ويعمر، ثم أن الرب سوف يقضي على

١. تحرير فراس السواح موسوعة تاريخ الأديان، ص ١٣٩.



بابل. وهنا (سيدرك اليهود التوراة دونها الحاجة إلى دراستها) (أرميا ٣١: ٣٣).
أشعيا: جاء دور المملكة الجنوبية في الوعظ النبوي بعد ظهور رجل قرب
نهاية حكم الملك عوزيا نحو (٧٤٢ ق.م)، شاب من أسرة طيبة من شوارع
أورشليم ليقوم بدور النبوة. كان اسمه أشعيا وقد امتلك في شبابه تجربة حول
حقيقة يهوه هزته من أعماقه، وقد عبر عن ذلك بهذه العبارات التي تفيض
هولا.

بقى أشعيا ناشطاً كنبى لشعبه ومستشاراً خاصاً للملك يهوذا لمدة أربعين
سنة. بقي ثابت الولاء بثقته بالقدر الإلهي، كان نبي الإيمان والثقة بيهوه دون
أدنى شك أو خوف، وبقي على الدوام يحذر حكام أورشليم بأن أمن المدينة
يكمن في التوقف عن إقامة الأحلاف مع الأمم المحيطة بها، ويعتمد أمنها
فقط على الحليف يهوه الذي هو وحده أهل للثقة^(١).

أما عن نبوءته:

الأولى: عندما دمر الآشوريون المملكة الشمالية عام (٧٢٢ ق.م) وعسكروا
أمام أورشليم بقيادة الملك الجبار سنحاريب، بعث أشعيا بتطمينات إلى الملك
المنخلع الفوائد حزقيا الذي توسل إلى أشعيا أن يخاطب يهوه من أجل حماية
أورشليم، طمأنه أشعيا أن المدينة لن تحتل. وقد تحققت نبوءته بأعجوبة، إذ
رفع الآشوريون حصارهم.

الثانية: كان يرى مستقبلاً آخر لهذا الشعب الذي تخلى عن يهوه، فكان
لزماً أن يسلط عليهم يهوه الوبال، لهذا كان أشعيا واثقاً أن عديمي الإيمان

١. تحرير فراس السواح موسوعة تاريخ الأديان، ص ١٢٦-١٢٧.

والأشرار يمكن أن ينجوا ليتمتعوا بمستقبل آمن وسوف يهلكون بالسيف أو يذوقوا الأمرين في منفاهم البائس بعيداً عن منازلهم المريحة.

والثالثة: كان ينتقد الطقوس المبالغ بها، إذ عبر عن نفاذ صبر يهوه من الإغراق في تفاصيل طقوس المعبد...

الرابعة: فيما يتعلق بسلطة يهوه فقد قال أمرين:

الأول: أن يهوه ليس فقط القدر الأعمى الذي يقرر الأحداث بل هو أيضاً المحركة والمدير وراء التاريخ، إنه يقول عن مصر (شعبي) وعن آشور (صنع يدي)، لكنه سوف يعاقب ويدمر الأشرار في كل مكان.

أمّا الأمر الثاني: نبوءته التي يقول بها، لكن بعد المحنة سوف تعود البركة إلى البقية من الناس الذين مروا عبر كل المصاعب، واعتمدوا على يهوه فقط.

الخامسة: أنه يشير إلى المنقذ المسيح المخلص الذي سوف يظهر من ذرية داود ويأتي بعصر جديد. غير أن قصائد الأمل هذه والرؤيا قد طلعت من المصائب التي ابتلي بها عصره. إذ هناك الكثير مما جاء بأقواله، إذ معظم النصوص التي تتعلق بالمسيح وبما سيقوم به مدونة في كتاب النبي أشعيا، وهناك نبوءات أخرى مذكورة في كتب الأنبياء الآخرين أيضاً، من تلك النبوءات: سيعاد تأسيس سنهدرين (مجلس حكماء اليهود) (أشعيا: ١/٢٦).

وعندما سيملك المسيا، سيتطلع إليه قادة جميع الأمم ليكون قائدهم (أشعيا: ٤/٢).

وسيقوم كل العالم بعبادة الله الواحد إله إسرائيل (أشعيا: ٢/١٧).

وسيكون المسيا من نسل الملك داود ومن نسل الملك سليمان (أشعيا: ١١/١).

وسيكون المسيا إنسان من هذا العالم، وسيكون يهودياً فطناً خائفاً لله
(أشعيا: ١١ / ٢).

والشر والطغيان لن يكونا قادرين على الوقف في وجه قيادته (أشعيا: ١١ / ٤).
ومعرفة الله سوف تملئ العالم (أشعيا: ١١ / ٩).

وسوف يضم ويجذب كل الشعوب من مختلف الثقافات والأمم
(أشعيا: ١١ / ١٠).

وسوف يعود بفضلهم جميع اليهود إلى أرض وطنهم (أشعيا: ١١ / ١٢).
وسوف يتلع الموت للأبد (أشعيا: ٢٥ / ٨).

لن يكون هناك بعد جوع أو مرض والموت سوف ينتهي (أشعيا: ٢٥ / ٨).
سوف يقوم جميع الموتى (أشعيا: ٢٦ / ١٩).

سوف يعيش اليهود متعة وفرحاً أبدياً (أشعيا: ٥١ / ١١).
سوف يكون رسول سلام (أشعيا: ٥٢ / ٧).

بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الأمم (أشعيا: ٥٦ / ٣-٧).

تمت الإشارة في سفر أشعيا إلى المنقذ: (ابتهج - فرح - وهنا الفعل (ישוע))
على صيغة المستقبل ستفرحون - ستبتهجون^(١).

ويقول النبي أشعيا: إن دولة داود الجديدة ستقوم على العدالة والحق
وستمثل كل العالم، لأنه يولد لنا ولد، ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه
ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أبدياً، رئيس السلام لنحو رياسته،
وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعطيها بالحق والبرق
الابن إلى الأبد غيره رب الجند تصنع هذا. (أشعيا: ٩: ٦-٧).

١. سعاد عبد الكريم محمد، المنتظر في التوراة والإنجيل، ص ٢٦٤.

حزقيال^(١):

المعلومات المؤكدة عن حياة حزقيال قليلة جداً. ومن المحتمل أن بعضاً من السفر المنسوب إليه كتب في وقت لاحق. من الواضح أنه كان القائد لما كان يعرف حلقة تثنية الاشتراع بين المنفيين^(٢)، أولئك الذين اعتمدوا على ناموس سفر التثنية وفسروا التاريخ العبراني على ضوءه، حتى أنهم أعادوا كتابة سفر القضاة فضلاً عن أسفار صموئيل والملوك بما يتفق مع وجهة نظر ناموس التثنية.

تنبأ حزقيال في رؤاه وقصصه الأخلاقية، بأسلوب منمق وحاد، بالدمار الكامل لأورشليم، نبوءة تحققت في عام (٥٨٦م). وقد طرح دمار الهيكل على حزقيال مشكلة جديدة: عندما ينتهي السبي الذي كان يراه قريباً ويعود الشعب إلى وطنه، ماذا سيكون الدستور الذي سوف يعيشون في ظلّه، وكيف سوف تؤدي العبادة، في الهيكل المستعاد؟

احتوت فلسفة العبادة عند حزقيال على التأكيد الجديد على المسؤولية

١. حزقيال: وهو نبي مقدس في اليهودية والمسيحية والإسلام [محل شك]. وهو كاتب سفر حزقيال في الكتاب المقدس، وسفره كان عبارة عن تنبؤات بخصوص سقوط القدس بيد البابليين وسقوط الأمم المجاورة وأيضاً بخصوص عودة اليهود إلى القدس وإعادة بنائهم للهيكل وتكلم أيضاً عن المسيح وقد عاش ما بين سنتي ٦٢٢ ق م و ٥٧٠ ق م. وقد كان حزقيال من اليهود المسييين الأوائل لبابل، حيث تم سببه في سنة ٥٩٧ ق م إلى نهر الخابور. ويقال إنه نفسه ذو الكفل النبي المذكور في القرآن. انظر: الموسوعة الحرة.

٢. (بالعبرية: ٥٦٦٦) أحد الأسفار المقدسة في التناخ الكتاب المقدس لدى الديانة اليهودية والعهد القديم في المسيحية؛ ولا خلاف بين مختلف طوائف الديانة اليهودية والمسيحية حول قدسيته.

يعتبر سفر التثنية من الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة إلى موسى ويشكل جزءاً من التوراة، تشير الموسوعة اليهودية إلى أن النص عشر عليه عزرا عند عودة اليهود من سبي بابل ضمن خرائب هيكل سليمان، فأطلقوا عليه اسم التوراة. ثم شملت التسمية جميع الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة إلى موسى، ولكنه دعي باسم التثنية أو الاشتراع ثم دعي باسم تثنية الاشتراع بدءاً من الترجمة السبعينية للكتاب المقدس، والتي تمت على أيدي رجال دين يهود في الإسكندرية خلال القرن الثاني قبل الميلاد.



الفردية، فضلاً عن مفهوم سام عن يهوه بوصفه كائناً مفارقاً، متعالياً وكلي القداسة، أن الخاطئ الذي يطلب الصفح، لن يجد أن يهوه يذوب حباً ورأفة من أول إشارة ندم. ذلك أن قدسية يهوه تتطلب مقاربة طقسية من قبل مجموعة من الأفراد الأَطهار، يجتمعون في الهيكل في حالة من الطهارة الجسدية والنقاء الطقسي وبإشراف كهنة خبراء، لقد انسحب يهوه بعيداً في قدسيته اللامتناهية من عالم الإنسان إذ لم يعد بالإمكان الاتصال به إلا من خلال وسطاء، كهنة وملائكة^(١).

وقد تمثلت تلك الأفكار في نصوص تؤكد على العودة وبناء الهيكل: مدن إسرائيل المهدامة سوف تعاد. (حزقيال: ١٦ / ٥٥).

وسوف تدمر أسلحة الحرب (حزقيال: ٣٩ / ٩).

وسوف يعاد بناء المعبد (هيكل أورشليم) ويعاد تطبيق الشرائع التي أوقف العمل بها. (حزقيال: ٤٠).

وجاءت الإشارة إلى المنقذ (وهذا لن يكون حتى يجيء الذي اخترته للحكم عليكم). (حزقيال ٢٧: ٢١)^(٢).

وعن مدن الملجأ يقول الكتاب في سفر التثنية (١٩ : ٨-٩): (وإن وسع الرب إهلك تخومك، فزد لنفسك أيضاً ثلاث مدن على هذه الثلاث).

أمّا المرحلة الثانية:

ومن التأويلات التي تناولت مفهوم الانتظار أو الخلاص نذكر منها ما جاء به فيلون وموسى بن ميمون:

إذ في الفكر الفلسفي الديني اليهودي عند فيلون (velon) ١٣ ق.م -

١. تحرير: فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الخامس، دار علاء الدين، ط ١، دمشق، ٢٠١٠، ص ١٤٤-١٤٥.

٢. سعاد عبد الكريم محمد، المنتظر في التوراة والإنجيل، ص ٢٦٠.



حوالي ٥٤ م^(١)، أنه جعل الغاية من الفلسفة هي أن تكون مؤدية إلى الخلاص، والخلاص هنا يجب أن يفهم بالمعنى الديني، أعني تخلص المتناهي من حالة التناهي حتى الوصول إلى حالة اللاتناهي، وهو ما يعبر عنه في المسيحية فيما بعد بفكرة الخلاص من الخطيئة^(٢)، ولتحقيق ذلك على الإنسان أن يتخلص من الحال التي هو عليها بأن يفتى بنفسه في الله بحسب رأي فيلون فلا يمكنه أن يجد الخلاص إلا بالفناء^(٣) في حضن الألوهية^(٤).

إذ استبعد من اليهودية كل طموح سياسي ونقل تصور اليهود من خيرات دنيوية ومستقبل سعيد لشعب إسرائيل إلى وعود بخيرات روحية للنفس الصالحة، وبسيادة الشريعة في العالم، وحتى مسألة التثام شمل اليهود في بلد واحد بعد توبتهم؛ فإنه يؤولها إلى اجتماع الفضائل في النفس وتناسقها بعد ما تحدثه الرذيلة من تشتت^(٥).

أمّا (موسى بن ميمون) (١١٣٥ م) وهو من كبار الحاخامات اليهود في العصور الوسطى، فقد قدم مقاربة لهذا الأمر الحيوي في الإيمان اليهودي - أي الانتظار للمخلص -، ومن ثم يمكن القول: إن الفهم اليهودي السائد عن المسيا مؤسس على كتابات (موسى بن ميمون)، إذ ناقش ابن ميمون أفكاره وآراءه عن المسيا في كتابه (ميشنيه تورا)، وفي الجزء الرابع عشر من سلسلة كتابه الشريعة اليهودية في القسم المسمى (شرائع الملوك

١. ينظر: جوليا، ديديه، قاموس الفلسفة، ص ٤٠٣.

٢. بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، ج ٢، مطبعة سليمان زادة، إيران، ط أولى، ١٤٢٧ هـ، ص ٢٢٦.

٣. المعنى الصوفي للفناء هو (سقوط الأوصاف المذمومة كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة والفناء فناء): أحدهما بكثرة الرياضة، والثاني بعدم الإحساس بعالم الملك والملكوت والاستغراق في عظمة الباري ومشاهدة الحق) الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط أولى، ٢٠٠٣، ص ١٣٨.

٤. ينظر: بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، ج الثاني، ص ٢٢٧.

٥. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مديرية دار الكتب بغداد، بلا سنة طبع، ص ٢٤٩.



وحرورهم) (הלכות מלכים ומלחמותיהם) الفصل الحادي عشر، كتب ابن ميمون: الملك المسوح مقدر له إقامة واستعادة مملكة داود وإعادة أمجادها الغابرة، في سيادتها المستقلة وفي سلطتها القائمة بذاتها، وسوف يبني الهيكل أو المعبد في أورشليم (القدس)، وسوف يعيد جمع شمل اليهود المشتتين في العالم معاً، وسوف يعاد تطبيق كل الشرائع في أيامه كما كانت من قبل، سوف تقدم الذبائح والأضاحي وتحفظ أيام السبت وأعياد اليوبيل طبقاً لجميع سلوكياته وأخلاقياته المدونة في التوراة، وكل من لا يؤمن به أو لا ينتظر مجيئه، لن يكون فقط يتحدى ويقاوم ما قاله الأنبياء، بل سيكون رافضاً للتوراة ولموسى معلماً، فالتوراة تشهد له في سفر التثنية (٣٠ / ٣-٥).

يرد الرب إلهك سبيك ويرحمك ويعود فيجمعك من جميع الشعوب الذين بددك إليهم الرب إلهك، إن يكن قد بددك إلى أقصاء السماوات، فمن هناك يجمعك الرب إلهك، ومن هناك يأخذك ويأتي بك الرب إلهك إلى الأرض التي لدى آباؤك فتمتلكها ويمسك إليك ويكثرك أكثر من آباءك).

إذ يؤكد موسى بن ميمون من هذا الاستدلال على القول: هذه الكلمات معلنة بوضوح في التوراة، وتشمل كل الإعلانات التي نطق بها الأنبياء، ففي التوراة نجد أن النبي بلعام يتنبأ بالملكين المسوحين، الأول هو داوود الذي أنقذ إسرائيل من أيدي مضطهديه، والمسوح الآخر سوف يقوم من نسل داوود أيضاً لينقذ إسرائيل في النهاية، هذا ما قاله بلعام في آرائه، ولكن ليس الآن (هذا هو داود، أبصره ولكن ليس قريباً، وهذا هو المسيا الملك، يبرز كوكب من يعقوب، هذا هو داوود، ويقوم قضيب من إسرائيل، هذا هو المسيا الملك، فيحطم طرفي موآب ويهلك بني الوغى، هذا هو داوود في دولته) (سفر العدد ٢٤: ١٧-٢٤)، إذ يرد في العهد القديم هكذا يقول بلعام: (أشاهد مع أنه ليس قريب، يطلع نجم من بني يعقوب، ويقوم ملك من بني إسرائيل، يسحق



جبين موآب، ويحطم رؤوس كل بني شيث، ويهزم أدوم، نعم يهزم عدوه سعير وتشتد قوة بني إسرائيل يأتي سيد من بني يعقوب، ويهلك كل من ينجو من مدينة العدو... وقال من هؤلاء القادمون من الشمال. والسفن الآتية من كتيمة؟ إنها آشور وتخضع عابر. كلهم يهلكون) (سفر العدد ٢٤-١٧-٢٤).

يبدو أن الرؤية ارتبطت بداوود ملك أورشليم والرؤية تشير إلى ظهور الآشوريين وانتصارهم على اليهود؛ إلا إثم سرعان ما يزولون. ويبدو أن النص تم تحويله حتى ينطبق على المنقذ الموعود ويشير أيضاً إلى نص ثاني.

هذه النصوص بكل طابعها القائم على التوقع المستقبلي هي تنطلق من حكم داوود وتصفه بالمسوح أو الملك، وتحاول أن تجعل منه حاكماً مهيمناً على الأقسام في الممالك الصغيرة المحيطة بملكه، وتحاول أن تصوره بأنه المنقذ، ويأتي فيها موسى بن ميمون حتى يستنتج أن المسيح أمر واقع، كما تروي تلك النصوص على الرغم من أنها هنا تخضع إلى التأويل؛ لكن الزمن الذي عاشه موسى بن ميمون أيضاً هو زمن نكبة عظيم أحاطت باليهود تمثلت بسقوط الأندلس وإجبار اليهود على الرحيل منها إلى الشرق. يأتي هنا توظيف موسى من أجل إحياء الأمل بالعودة إلى الديار وبناء مجد اليهود.

الخاتمة:

- هذا الموضوع يعد من الأمور المهمة في فهم الاستقطاب اللاهوتي الذي انتهج تأسيس خطاب بطوي تخيلي للتاريخ الديني اليهودي وهو نمط من التاريخ يحتل فيه الماضي دور المركز المؤثر في الحاضر.

- الخطاب الديني اليهودي، يتعلق بما هو غيبي يدخل من ضمن أفق الانتظار (המשמרה) المسيا أو الماشيح. وقد تخيله اليهود من أجل الهيمنة على العالم وحكمه من عاصمته أورشليم.

- من سمات المسيا كونه بطلاً محارباً شديداً البأس، فمن صفاته شن



الحرب؛ لأنها في سبيل (يهوه) يسقط كثيرون من أبطال إسرائيل في مواجهة الوغى وصفة (يهوه) للقتال تتجلى واضحة في لقبه (يهوه حياء ون) أي يهوه قائد الجيوش.

- المسيا أو المسيحانية، وهي فكرة غيبية تقوم على أساسي الاعتقاد في قدوم مسيح مخلص وظيفته السياسية تحقيق الخلاص القومي لشعبه، ثم أضيفت لهذه الوظيفة السياسية وظيفة دينية تعطي للمسيح المخلص دوراً لتحقيق الخلاص الديني لشعبه وفي نشأت مملكة الله السماوية لتقويض ضياع المملكة الأرضية.

- أخذت فكرة المسيا سرديات وإشعار ذات طابع طوباوي تخيلي يقوم على تجميع المشاعر لاهوتياً من أجل تعزيز السلطة الدينية وهي تقدم البديل عن الشتات والأسر، مما جعل اليهودي يشعر بغرته إلى الوطن الذي يسكنه ويعيش تخيلاً العودة إلى القدس.

- فهذه القراءات التي قامت لها المؤسسة الدينية اليهودية في بابل اعتادت على تشكيل الهوية الدينية اليهودية حتى تحافظ على سيطرتها على اليهود وتحول من دون ذوبانهم في المجتمع البابلي؛ لهذا اصطنعت لهم هوية تعزز اختلافهم عن المحيط.

- أحد أشكال هذه السردية في إقامة خطابها التخيلي هو الأدب الشعبي المتمثل في الأناشيد البطولية الشعبية، أو عالم الحكاية المحاكي المخالف عن العالم الحقيقي في كون العالم الحقيقي محايداً أخلاقياً، على العكس من العوالم التخيلية فإنها محملة بالقيّم والأحكام المسبقة. القائمة على: عقيدة الصفاء العرقي والديني، والعودة إلى الأصول والتأصيل العرقي للدين اليهودي (شعب الله المختار).



- أمّا الشكل الآخر لهذه السردية تمثل بالنصوص التوراتية المتأخرة والتلمودة التي تحاول نفي الآخر وإسقاط أحكام وصور نمطية. وتؤكد العودة المنتظرة كما جاء: (وسوف يعود بفضله جميع اليهود إلى أرض وطنهم) (أشعيا: ١١/١٢).

(وسوف يتلع الموت للأبد) (أشعيا: ٨/٢٥).

(لن يكون هناك بعد جوع أو مرض والموت سوف ينتهي) (أشعيا: ٨/٢٥).

وغيرها من النصوص.

- أمّا الشكل الثالث من هذه السردية فظهر في أقوال الفلاسفة اليهود مثل فيلون (velon) ١٣ ق.م - حوالي ٥٤م، و(موسى بن ميمون ١١٣٥م) الذين حاولوا إضفاء البعد العقلي على تلك النصوص الدينية سواء كانت شعبية أو دينية. إذ جعل فيلون الغاية من الفلسفة هي أن تكون مؤدية إلى الخلاص، والخلاص هنا يجب أن يفهم بالمعنى الديني، أعني تخلص المتناهي من حالة التناهي والوصول إلى حالة اللاتناهي.

أمّا موسى بن ميمون، فقد قدم مقاربة لهذا الأمر الحيوي في الإيمان اليهودي أي الانتظار للمخلص، ومن ثم يمكن القول إن الفهم اليهودي السائد عن المسيا مؤسس على كتابات موسى بن ميمون، إذ ناقش ابن ميمون أفكاره وآراءه عن المسيا في كتابه (ميشنيه تورا)، هذه النصوص بكل طابعها القائم على التوقع المستقبلي هي تنطلق من حكم داوود وتصفه بالمسوح أو الملك وتحاول أن تجعل منه حاكماً مهيمناً على الأقوام في الممالك الصغيرة المحيطة بملكه وتحاول أن تصوره بأنه المنقذ.



ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

الإمام المهدي عليه السلام بين ولادة الاعتقاد واعتماد الولادة

الباحث: علي محمد ناصر

مقدمة:

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِيَّ اللَّهِ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (إبراهيم: ١٠).

إنَّ من لديه أبسط آية تفكير سليمة يُدرك تماماً أنَّ هذا العالم الذي وُجِدنا فيه إنَّما هو مخلوق لخالق حكيم عليم قادر، إذ إنَّ الأثر لا بد أن يدل على المؤثر، وإنَّ الحكمة في النظم تأخذ بألبابنا وتسوقها إلى الاعتقاد بالحكيم القادر، ولا بد للعقل اللبيب أن يدرك إنعام المنعم حسب وسعه، وإذا ما أنعم الكريم المعطي فقواعد العقل وقوانينه تقضي بشكر هذا المنعم، ولكن كيف للإنسان أن يشكر من أنعم عليه بنعمة الخلق والوجود بالشكل الذي يرتضيه هذا المنعم؟ لهذا كان لا بد من صلة وُصِّل بين الإنسان وخالقه؛ لا بد من وجود إنسان يبلغ أحكام الله الخالق وأوامره للبشر، ولا بد أن يكون أول إنسان حينئذ نبياً، فهو فاتحة السلسلة المحتاجة للارتباط بالخالق، فإن لم تكن هذه الفاتحة مرتبطة بالله تعالى فيلزم جهل الإنسان المفكر العاقل بأوامره سبحانه.

ولما كان الإنسان الأول قد أخذ العلم من العليم الخالق، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾ (البقرة: ٣١)، فإن أصل الثقافة الإنسانية واحد، وهذا يؤكده وجود أفكار مشتركة بين الثقافات المتنوعة والمتباعدة جغرافياً وفكرياً، فإننا نجد





أفكاراً في دين يُظنُّ أنه وضعي تتفق مع أفكار في دين سماوي آخر، وإن من هذه الأفكار التي يمكن رصد وجودها بقوة هي فكرة الخلاص التي شغلت الفكر البشري قديماً وحديثاً، فإن الباحث في أنثروبولوجيا^(١) العقائد القديمة سيجد صوراً متشابهة لشخصية المنقذ المخلص المأمول فهو المَعِينُ الإنساني الذي نهلت منه المجتمعات الإنسانية ملامح الأمل في تراثها العقدي الذي نظروا من خلاله لقضايا صراع الخير والشر، النور والظلمة، الحق والباطل.. وهذا ما تجسده لنا العديد من النصوص عند مجمل الفرق، سواء الإسلامية أو الديانات اليهودية والمسيحية وحتى الوضعية.

وهناك من يفهم ذلك الاشتراك والتشابه والتواطؤ على أصل هذه الفكرة يفهمه كنوع من حالة وقاية نفسية فطرية ناتجة من اشتراك البشر في حالة الضعف تجاه مظاهر القوة المتسلطة عليهم، فإن كل جماعة بشرية قد تعرضت لظروف قاسية مما أورثها ضعفاً نفسياً عاماً، والأخير أدى إلى ابتكار وإنشاء فكرة المخلص والتطلع ليوم الخلاص وهذا لا يخلو من وجه، ولكن لازمه أن كل منظومة بشرية عندما تتخطى تلك الظروف القاسية، عليها أن تلغي هذه الفكرة من تراثها ووجدانها، وهذا ما لم نره في الأمم السابقة، فقد كان الفراعنة أصحاب حضارة عظيمة ومقتدرة يتطلعون إلى مخلص منتظر وكذا المسيحية واليهودية، حينما اقتدروا ما انفكوا عن انتظار المخلص، وما زالوا له من المنتظرين رغم امتلاكهم أسباب القوة بأنواعها.

فكان بحثنا في المخلص العالمي، الذي اصطلح الدين الإسلامي على تسميته بالمهدي.

١. كلمة (الأنثروبولوجيا) تتكون من مقطعين من الكلمة الإغريقية Anthropon وتعني الإنسان، و Logy وتعني العلم، وهذا يكون مصطلح الأنثروبولوجيا هو: علم الإنسان أو دراسة الإنسان وهي تدرس أصول المجتمعات والثقافات الإنسانية وتاريخها.



وعلى هذا كان البحث على فصول ثلاثة:

الأول: المظاهر العالمية لفكرة المخلص.

والثاني: المهدي عليه السلام في الإسلام.

والثالث: تحت عنوان ولادة المهدي عليه السلام.

لنقف على الولادة الأولى للاعتقاد بالمهدوية في الفكر الإسلامي، ثم لنصل إلى مشروعية اعتقاد الولادة بالمهدي أهو ولد أم لم يولد بعد؟، ومن هنا كان البحث المائل بين يديك سيدي القارئ تحت عنوان (المهدي عليه السلام بين ولادة الاعتقاد واعتقاد الولادة) آملين من الله تعالى التوفيق والسداد.

الفصل الأول: المظاهر العالمية لفكرة المخلص:

أولاً: المخلص في الديانات القديمة:

إن فكرة المخلص تحقق وجوداً ملحوظاً في الأديان على اختلافها وتنوعها، إذ نجد الفكرة حاضرة في الديانة الزرادشتية من خلال ما ورد في الألفية الزرادشتية من أنه يُتَظَرُّ ظهور ثلاثة منقذين من نسل زرادشت يملؤون الدنيا خيراً وعدلاً وهم هوشيدور، هوشيدورماه، سوشيانس^(١). وكذا نرى وجوداً للفكرة في الديانة الهندوسية (ديانة الهند القديمة) من خلال الاعتقاد بـ(كلكي) عاشر تجليات (فشنو) رب الحفظ في الديانة الهندوسية^(٢)، كما نجد أثرها في الديانة البوذية من خلال تعبير (بوذيساتاوا) الذي يعبر عن بوذا المنتظر^(٣)، وهناك الكثير مما يمكن ذكره عن (المخلص) في الديانات القديمة والتي قد لا تُصنّف اليوم على أنها سماوية، ولكن في الحقيقة قد يتبين للباحث

١. حسين توفيقى/ دروس في تاريخ الأديان/ ترجمة أنور الرصافي/ ط ٣ - س ط ١٣٨٨ هـ/ مطبعة أميران/ الناشر جامعة المصطفى العالمية/ قم - إيران/ ص ٩٧.

٢. حسين توفيقى/ دروس في تاريخ الأديان/ ص ٦٠.

٣. ول ديورانت/ قصة الحضارة/ ترجمة: زكي نجيب محمود/ ط الخامسة/ مطابع الدجوى - عابدين - القاهرة/ التراث الشرقي/ مجلد ٢/ ج ٣ - ص ٦٨.



المدقق أن أصل هذه الأديان سماوي، إلا أنها حُرِّفت لتتقدم الأزمان عليها، ولعلّ هذا ما نفهمه من حديث أبي عبد الله الصادق عليه السلام عندما سُئل عن المجوس أكان لهم نبي؟ فقال: «نعم أما بلغك كتاب رسول الله ﷺ إلى أهل مكة أن أسلموا وإلا نابذتكم بحرب، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ أن خذ منا الجزية ودعنا على عبادة الأوثان، فكتب إليهم النبي ﷺ: «أني لست آخذ الجزية إلا من أهل الكتاب، فكتبوا إليه - يريدون بذلك تكذيبه - زعمت أنك لا تأخذ الجزية إلا من أهل الكتاب ثم أخذت الجزية من مجوس هجر، فكتب إليهم النبي ﷺ: أن المجوس كان لهم نبي فقتلوه وكتاب أحرقوه، أتاهم نبيهم بكتابهم في اثني عشر ألف جلد ثور»^(١). وحديث أخذ النبي للجزية من مجوس هجر معروف في كتب المسلمين^(٢). وهذا يدعّم ما ادعيناه من وحدة أصل الثقافة البشرية، وأنها ذات منبع ديني واحد.

ثانياً: المخلص في الأديان السماوية غير الإسلام:

١ - المخلص في الديانة اليهودية:

أمّا ما نطالعه من وجود فكرة المخلص في الأديان السماوية السابقة لدين الإسلام فهو أجلى ظهوراً، وهو مما عرفت به الديانتان اليهودية والنصرانية، ففي الديانة اليهودية نجد أن اليهود ينتظرون المسيح أو المשיح أو المسيح كما يسمونه، وهم ينتظرونه كقائدٍ إلهي يعيد لهم عظمة شعب الله، هذا بالرغم من أن بعض علمائهم يرى أن مفهوم المسيح المنتظر لم يظهر إلا في فترة متأخرة

١. الكليني/ محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩) / الكافي / تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري / ط: الخامسة

/ سنة الطبع: ١٣٦٣ ش / المطبعة: حيدري / الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران ج ٣ - ص ٤٦٨.

٢. البخاري، محمد بن إسماعيل / صحيح البخاري / لا، ط / س ط ١٩٨١ م / دار الفكر للطباعة والنشر

والتوزيع / طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول / ج ٤ - ص ٦٢؛ الترمذي، محمد

بن عيسى / سنن الترمذي / تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف / ط الثانية / دار الفكر للطباعة

والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ج ٣ - ص ٧٣.



من تاريخ اليهودية وأن هذا المفهوم لم يرد في التوراة ولكن الباحث المدقق يجد نصوصاً توراتية تؤكد التبشير بمنتظر يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وهذا ما نجده في سفر أشعيا: (ويفرخ برعم من جذع يسي^(١) (أبو داود)^(١)، وينبت غصن من جذوره، ويستقر عليه روح الرب، روح الحكمة والفضيلة، روح المشورة والقوة، روح معرفة الرب ومخافته، وتكون سعادته في مخافة الرب، فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفثيه ويكون البرُّ منطقة متنيه والأمانة منطقة حقويه. فيسكن الذئب مع الحمل، ويربض النمر مع الجدي... لا يسوؤون ولا يفسدون في كل جبل قدسي لأن الأرض امتلأت بمعرفة الله كما تغطي المياه البحر)^(٢).

إن ما يعرضه هذا النص التوراتي من توصيف لحال البشرية عند ظهور المصلح المنتظر، وما ينشره من صنوف العدل في جميع أنحاء الأرض، وما يحققه من مكاسب عظيمة للإنسانية، لم يوجد حتى الآن في جميع فترات تاريخها، إذًا فإن هذا الزمان لم يتحقق بعد، وهم في حال انتظار له حتى الآن، ولا بد أن يكونوا كذلك.

٢ - المخلص في الديانة المسيحية:

أمّا في الديانة المسيحية فإن المسيحيين يعتبرون أن المخلص قد أتى متمثلاً بالمسيح عيسى عليه السلام لكنه عليه السلام لا ينطبق عليه الكثير من الأوصاف التي وردت في الإنجيل، ولم يقم بكل ما هو مناط به. من هنا فإنهم يقولون: إنه سيعود

١. مجمع الكنائس الشرقية/ قاموس الكتاب المقدس / الطبعة: السادسة/ سنة الطبع: ١٩٨١ / الناشر: مكتبة

المشغل - بيروت. ص ١٠٦٥ / يسي^(١) (أبو داود).

٢. الكنيسة/ الكتاب المقدس/ ص ١٠٠٥.

ليقوم بما لم يقم به، فالإنجيل الذي معناه (الخبر الطيب أو بشرى الخلاص)^(١)، قد بَشَّرَ بزمانٍ يعم فيه حكم الله تعالى الأرض؛ ففي إنجيل لوقا قال لأحدهم: (... وأما أنت فامضِ وبشِّر بملكوت الله)^(٢).

وقال: (يجب أن تُعلن البشارة قبل ذلك إلى جميع الأمم)^(٣)، وقد وردت هذه العبارة بلفظ (إلى الشعوب)، أو (إلى العالم كله) في غير موقع من الإنجيل، أي إنها بشارة عالمية.

وهنا علينا أن نعرف ما المقصود بملكوت الله تعالى لنخلص - بعد ملاحظة النصوص - إلى القول: إن (الملكوت) هو (الحكم) و(ملكوت الله تعالى) هو (حكم الله تعالى)، والدليل على ذلك ما ورد في إنجيل متى: (ليأت ملكوتك ليكن ما تشاء في الأرض كما في السماء)^(٤) أي أن يُطبَّق حكم الله (عزَّ وجلَّ) في الأرض من قبل البشرية كما يطبق في السماء من قبل الملائكة، وهذا هو هدف الأنبياء والرسل ﷺ في هداية البشر إلى أحكام الله تعالى.

وقد سئل المسيح عن موعد حدوث ملكوت الله تعالى فأجاب: (لا يأتي ملكوت الله على وجه يُراقب)^(٥)، أي يأتي فجأة، ولكن متى؟ قال ﷺ: (والذي يثبت إلى النهاية فذاك الذي يخلص، وستعلن بشارة الملكوت هذه في المعمور كله شهادة لدى الوثنيين أجمعين وحينئذ تأتي النهاية)^(٦)، تقول الرهبانية اليسوعية: أي (نهاية) التدبير الإلهي الحاضر وإقامة ملكوت الله على وجه نهائي^(٧)، وهذا

١. مجمع الكنائس الشرقية/ قاموس الكتاب المقدس/ ٢٥.

٢. الكنيسة/ الكتاب المقدس/ لوقا، ٩/ ٥٩/ ص ٢٢٦.

٣. مجمع الكنائس الشرقية/ الكتاب المقدس/ ١٦٦.

٤. الكنيسة/ الكتاب المقدس/ متى، ص ١٠، ٦/ ١٠.

٥. مجمع الكنائس الشرقية/ الكتاب المقدس/ لوقا، ١٧/ ٢/ ٢٥٢.

٦. مجمع الكنائس الشرقية/ الكتاب المقدس/ متى، ١٣/ ٢٤ - ١٣/ ١٤ - ١٠٣.

٧. مجمع الكنائس الشرقية/ الكتاب المقدس/ في التعليقات هامش/ ص ١٠٣.



ما لم يحصل حتى الآن، إذن يُرتَقَب حصوله، ولا يبعد أن توحى كلمة (النهاية) وتعبير (لا يأتي... على وجه يراقب) بمدلول آخر الزمان، وهذا ما يظهر جلياً في سؤال تلاميذه له: (قل لنا متى تكون هذه الأمور وما علامة مجيئك^(١) ونهاية العالم)^(٢).

إن انتشار الملكوت سيكون عالمياً: (سوف يأتي الناس من المشرق والمغرب ومن الشمال والجنوب فيجلسون على المائدة في ملكوت الله)^(٣).

إن ما تعرضه نصوص الإنجيل لا ينطبق بتفاصيله على عيسى عليه السلام الذي يحسم أي نزاع في البين بقوله: (أنا لا أطلب مجدي فهناك من يطلبه ويحكم)^(٤)، كما قال: (إن ملكوت الله سينزع منكم ويعطى لأمة تثمر ثمره)^(٥)، فهناك من هو معني بالمجيء بملكوت الله تعالى ونشره في الأرض وهو من يعبر عنه بـ(ابن الإنسان).

أمّا مصطلح (ابن الإنسان)، فإن المتبّع لموارد هذا المصطلح في الإنجيل يجد أنه يستحيل انطباقه على النبي عيسى عليه السلام بكل تفاصيله، ويتضح له أن المراد به شخص آخر هو الذي يطلب المجد ويحكم. ومن أدلة ذلك قوله عليه السلام لتلاميذه قبل ارتفاعه للسماء: (الحق أقول لكم: من الحاضرين ههنا من لا يذوقون الموت حتى يشاهدوا ابن الإنسان آتياً في ملكوته)^(٦).

احتارت الرهبانية اليسوعية في هذا النص فقالت: (يفترض هذا الكلام أن بعض معاصري يسوع لن يموتوا قبل ظهور ابن الإنسان في مجده... ومن الصعب تحديد زمن ذلك الظهور بدقة)^(٧).

١. أتى في التعليق على هذه الكلمة (تدل الكلمة اليونانية على مجيء ابن الإنسان في نهاية العالم).

٢. مجمع الكنائس الشرقية/ الكتاب المقدس/ ص ١٠٢.

٣. مجمع الكنائس الشرقية/ الكتاب المقدس/ لوقا، ١٣ - ٢٩ ص/ ٢٤٢.

٤. مجمع الكنائس الشرقية/ الكتاب المقدس/ يوحنا، ٨/ ٥٠ ص/ ٣١٧.

٥. مجمع الكنائس الشرقية/ الكتاب المقدس/ متى ٤٤/ ص ٩٦.

٦. مجمع الكنائس الشرقية/ الكتاب المقدس/ متى، ١٦/ ١٣/ ص ٨٤.

٧. مجمع الكنائس الشرقية/ الكتاب المقدس/ تعليق على هامش ص ٨٤.



ويتحدث عن الظهور السريع والمفاجئ لابن الإنسان (المخلص) قائلاً:
(وكما أن البرق يخرج من المشرق ويلمع حتى المغرب، فكذلك يكون مجيء
ابن الإنسان)^(١).

الفصل الثاني: المهدي في الإسلام: أولاً: المهدي لغةً واصطلاحاً:

المهدي لغةً: اسم مفعول من هُدِيَ إذا دُل على الطريق الموصل إلى المطلوب.
والهُدَى هو الرشاد. قال في الصحاح: الهدى: الرشاد والدلالة - يؤنث ويذكر -
يقال: هداه الله للدين هدى... وهديته الطريق، والبيت هداية أي عرفته^(٢). وفي لسان
العرب: الهدى: ضد الضلال وهو الرشاد... المهدي: الذي قد هداه الله إلى
الحق. قد استعمل في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة^(٣).

لم تستعمل كلمة (المهدي) في القرآن الكريم وإن كانت المادة قد وردت في
مواضع كثيرة ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ (الإسراء: ٩٧) ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾
(الرعد: ٧).

المهدي اصطلاحاً: هو لقبٌ. وإذا أُطلق انصرف إلى مُصْلِح كبير، وقعت
البشارة به، كما في قول النبي ﷺ: «المهدي منا أهل البيت... يملأ الأرض
قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٤).

ثانياً: المهدي في الفكر الإسلامي:

إن أساس ومنبع الفكر الإسلامي هو كتاب الله تعالى الذي أنزل على نبيه
محمد بن عبد الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى

١. مجمع الكنائس الشرقية/ الكتاب المقدس/ ص ١٠٤.

٢. الصحاح للجوهري مادة (هدي).

٣. وهو رأي ابن الأثير في النهاية لسان العرب.

٤. المستدرک/ الحاكم النيسابوري/ ج ٤ - ص ٥٥.



رَبِّهِمْ يُحْشِرُونَ ﴿ (الأنعام: ٣٨)، وقال تعالى: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿ (النحل: ٨٩)، وفي الوقت نفسه يقول سبحانه وتعالى: ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ (النحل: ٤٤)، فالقرآن الكريم بَيِّنٌ بتبيين النبي ﷺ له، فإذا ما أردنا فهم كتاب الله تعالى فلا بد أن نرجع إلى حديث رسول الله ﷺ.

أ - المهدي في القرآن الكريم:

لعل جل الآيات التي يمكن حملها على الدلالة المهدوية، إنما هي آيات تدل بباطنها على الفكرة دون ظاهرها الذي يتعلق بظروفها وأسباب نزولها، وقد قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منه ظهر وبطن»^(١)، والبطن والتأويل: عبارة عن المفهوم العام المنتزع عن الآية، بعد إلغاء الخصوصيات المكتنفة، لتصبح الآية صالحة للانطباق على موارد مشابهة لمورد النزول، على مرّ الأيام. الأمر الذي ضمن للقرآن الكريم بقاءه وشموله.

إن المطالع لكتاب الله تعالى ليجد آيات كريمة، تشير إلى هذه الفكرة، وعليها كان تفسير أئمة تفسير كتاب الله تعالى مستندين إلى الفهم العميق لمدايل الآيات، في ضوء ما لديهم وما عرفوه من حديث النبي ﷺ، ومن هذه الآيات:

الآية الأولى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿ (التوبة: ٣٣).

فسر الرازي هذه الآية وناقش الأقوال فيها وخلاصة ما ذكره قوله: (... ظهور هذا الدين بالحجة مقرر معلوم، فالواجب حمله على الظهور

١. أبو يعلى الموصلي / مسند أبي يعلى / ج ٩ - ص ٢٧٨ / صحيح ابن حبان / ج ١ - ص ٢٧٦ / وغيرها متفقة في المعنى ككنز العمال والمعجم الكبير والأوسط للطبراني والجامع الصغير لجلال الدين السيوطي.



بالغلبة، فإن قيل: ظاهر قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ يقتضي كونه غالباً لكل الأديان، وليس الأمر كذلك، فإن الإسلام لم يصّر غالباً لسائر الأديان في أرض الهند والصين والروم، وسائر أراضى الكفرة... وقد أجابوا عنه من وجوه... وفي الجواب نقول: رُوِيَ عن أبي هريرة أنه قال: هذا وعد من الله بأنه تعالى يجعل الإسلام عالياً على جميع الأديان. وتمام هذا إنما يحصل عند خروج عيسى، وقال السدي: ذلك عند خروج المهدي، لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام أو أدى الخراج^(١).

يتضح أن الرازي كان ملتفتاً أشد الالتفات إلى أن مصداق هذه الآية لم يتحقق بعد، إذ لم يظهر الإسلام على الدين كله لا من حيث كثرة الأتباع ولا من حيث الغلبة. صحيح أن الإسلام ظاهر على الدين كله من حيث الحجة، لكن الوعد الإلهي يشمل الإظهار مطلقاً، وهذا ما لم يحدث حتى الآن، وبما أن وعد الله تعالى حق، وأنه لا يخلف الميعاد، فلا بد أن يأتي زمن تتولى القيادة الإسلامية المدعومة بالتوفيق الإلهي إظهار الإسلام على الدين كله.

وكذا ذكر القرطبي في تفسيره: (قال السدي: ذاك عند خروج المهدي، لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام أو أدى الجزية. وقيل: المهدي هو عيسى فقط وهو غير صحيح لأن الأخبار الصحاح قد تواترت على أن المهدي من عتره رسول الله ﷺ، فلا يجوز حمله على عيسى. والحديث الذي ورد في أنه (لا مهدي إلا عيسى) غير صحيح. قال البيهقي في كتاب البعث والنشور: لأن راويه محمد بن خالد الجندي وهو مجهول، يروي عن أبان بن أبي عياش - وهو متروك - عن الحسن عن النبي ﷺ، وهو منقطع. والأحاديث

١. فخر الدين الرازي/ تفسير الرازي/ ج ١٦ - ص ٤٠.



التي قبله في التنصيص على خروج المهدي، وفيها بيان كون المهدي من عتره رسول الله [ﷺ] أصح إسناداً^(١) انتهى نص القرطبي.

الآية الثانية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٥٥).

وعد الله تعالى منجز لا خلف فيه، ووعد الله تعالى في هذه الآية؛ استخلاف المؤمنين في الأرض وفق ظروف لا يستطيع أحد أن يدعي أنها تحققت، فقد فسر الألوسي التمكين بقوله: (وأصل التمكين جعل الشيء مكاناً لآخر، والتعبير عن ذلك به للدلالة على كمال ثبات الدين ورسالة أحكامه وسلامته عن التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالأرض في الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف في الأرض انتهى)^(٢).

فهل ثبتت وتمكنت أحكام الدين في الأمة كثبوت الأرض حتى الآن؟ هذا مع ملاحظة قوله تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (النور: ٥٥) فإن الأوفق بالسياق أن يكون حالاً من ضمير ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ﴾ أي وليبدلن خوفهم أمناً في حال ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (النور: ٥٥). والالتفات في الكلام من الغيبة إلى التكلم، وتأکید ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ بقوله سبحانه: ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ ووقوع النكرة - شيئاً - في سياق النفي الدال على نفي الشرك على الإطلاق كل ذلك يقضي بأن المراد (عبادتهم لله عبادة خالصة لا يداخلها شرك

١. القرطبي / الجامع لأحكام القرآن/ ج ٨ - ص ١٢٢.

٢. الألوسي/ ت الألوسي/ ج ١٨ - ص ٢٠٣.



جلي أو خفي)^(١). فالحق أن الآية إن أعطيت حق معناها لم تنطبق إلا على المجتمع الموعود الذي سينعقد بظهور المهدي عليه السلام.

الآية الثالثة: ﴿وَأَنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾. قال مقاتل بن سليمان ومن تبعه من المفسرين إن هذه الآية نزلت في المهدي^(٢).

ب - المهدي عليه السلام في حديث النبي صلى الله عليه وآله:

انطلقت حركة التدوين عند أهل السنة مع بداية القرن الثاني، ولعلها كانت انطلاقاً خجولة، ثم تعززت بحلول منتصف القرن الثاني، وإن الأحاديث النبوية في المهدي عليه السلام مذكورة في أقدم وأهم المجاميع الحديثية، ولعل الكتاب الأقدم الذي يستوقفنا في هذا المجال هو (المصنف) لعبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري (ت ٢١١ هـ) وقد عقد في مصنفه باباً باسم (باب المهدي) وذكر فيه أحد عشر حديثاً، وقد اخترنا منها حديثاً عن أبي سعيد الخدري قال: (ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله [بلاءً يصيب هذه الأمة، حتى لا يجد الرجل ملجأً يلجأ إليه من الظلم، فيبعث الله رجلاً من عترتي من أهل بيتي، فيملأ به الأرض قسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدع السماء من قطرها شيئاً إلا صبته مدراراً، ولا تدع الأرض من مائها شيئاً إلا أخرجته، حتى تمنى الأحياء الأموات، يعيش في ذلك سبع سنين، أو ثمان، أو تسع سنين)^(٣).

ثم يأتي بعد هذا المصنف (كتاب الفتن) لنعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (ت ٢٢٨ هـ)، والمرزوي روى عنه البخاري مقروناً

١. الطباطبائي/ تفسير الميزان/ ج ١٦ - ص ١٥٣.

٢. ابن حجر/ الصواعق المحرقة/ ص ١٦٢.

٣. عبد الرزاق الصنعاني/ المصنف/ ج ١١ - ص ٣٧٢.



وروى له الباقر سوي النسائي بواسطة، وقال الخطيب يُقال: إنه أول من جمع المسند وكان فقيهاً من أعلم الناس بالفرائض متصلباً في السنة^(١)، إلا أنه قد ضعفه البعض، وبالجملة فإن ما ذكره يصلح للاعتبار ولو عند مدرسة الصحابة، وسنذكر حديثاً أورده في اسم المهدي: حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زُرِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ [قَالَ: «الْمَهْدِيُّ يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي»^(٢) .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ [قَالَ: «هُوَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي»^(٣) .

هذا من حيث أقدمية تدوين الأحاديث النبوية في المهدي ﷺ، وهو لا يعني مطلقاً أن هذه الأحاديث لم تكن موجودة قبل تلك الفترة وإنما سبب تأخر وجودها الكتابي هو عينه سبب تأخر حركة التدوين التي لم تبلور إلا في تلك الفترة.

أمّا من حيث أهمية واعتبار هذه الأحاديث فإنها قد وردت في أشهر الكتب الحديثية وأكثرها وثاقة إن في مدرسة الصحابة أو في مدرسة أهل البيت ﷺ وهي مما يعتمد عليها المسلمون في أخذ عقائدهم وأفكارهم، ومن هذه الكتب المعتمدة والتي أوردت الأحاديث المهدوية مصرّحة بلفظ (المهدي)، كتاب المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری، الذي أورد عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحاً، وتكثر المشية وتعظم الأمة، يعيش

١. عبد العليم عبد العظيم البستوي/ المهدي المنتظر ﷺ في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة/ ص ١٢٠ / ط الأولى/ ط ١٤٢٠ م / ١٩٩٩ هـ / المكتبة المكية - مكة المكرمة - السعودية / دار ابن حزم للطباعة

والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

٢. نعيم بن حماد المروزي/ الفتن/ ص ٢٢٧.

٣. نعيم بن حماد المروزي/ الفتن/ ص ٢٢٩.



سبعاً أو ثانياً يعنى حججاً». هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه^(١). أي البخاري ومسلم لم يخرجاه بالرغم من كونه صحيحاً على مبانيهما. وكذا فإن إمام الحديث مسلم النيسابوري المتميز بأسلوبه الدقيق والمتناسق الذي جعل بعض أهل العلم يفضلونه على البخاري^(٢)، كان قد أخرج أحاديث عن المهدي ﷺ ولكنها حذفت في النسخ الحديثة، ومما ثبت هذا نقولات كل من ابن حجر الهيثمي المكي (ت ٩٧٤ هـ) صاحب الصواعق، والمتقي الهندي (ت ٩٧٥ هـ) صاحب كنز العمال، إذ يذكر ابن حجر بعد إيراده خبر دعاء النبي ﷺ، لعلي وفاطمة عليهما السلام بأن يعين الله تعالى ذريتهما من الشيطان، ما نصه: (وقد ظهرت بركة دعائه في نسلهما فكان منه من مضى ومن يأتي، ولو لم يكن في الآتين إلا الإمام المهدي لكفى... ومن ذلك ما أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه والبيهقي وآخرون «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^(٣)). إذاً فالحديث كان موجوداً في صحيح مسلم زمن ابن حجر، ولكن لا نرى له وجوداً اليوم.

إن ما يعزز هذه النتيجة ما نقله المتقي الهندي في كنز العمال وهذا نصه الحرفي: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة» (د، م عن أم سلمة)^(٤)، والميم هنا

١. الحاكم النيسابوري/ المستدرک علی الصحیحین/ ج ٤ - ص ٥٥٨.

٢. ذكر الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء في سياق ترجمته لمسلم/ ج ١٢ - ص ٥٦٦/ قول الحافظ ابن مندة: (سمعت أبا علي النيسابوري الحافظ يقول: ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم... وقد قال ابن كثير في (البداية والنهاية)/ ج ١١ - ص ٤٠/ في ترجمة مسلم: صاحب (الصحيح)... وأنه يسوق الأحاديث بتامها في موضع واحد، ولا يقطعها كتقطع البخاري لها في الأبواب... وقال ابن حجر في (تهذيب التهذيب) ج ١٠ - ص ١١٤: حصل لمسلم في كتابه حظ عظيم مفرط لم يحصل لأحد مثله، بحيث إن بعض الناس كان يفضل على (صحيح) محمد بن إسماعيل (أي البخاري)، وذلك لما اختلف به من جمع الطرق، وجودة السياق والمحافظة على أداء الألفاظ كما هي من غير تقطيع ولا رواية بمعنى.

٣. أحمد بن حجر الهيثمي المكي/ الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة/ ص ١٦٣.

٤. المتقي الهندي/ كنز العمال/ ج ١٤ - ص ٢٦٤.

تعني (صحيح مسلم)، وهذا أسلوب المتقي الهندي الذي أوضحه في مقدمة كتابه^(١).

إذاً عالمان كبيران من علماء مدرسة الصحابة معاصران لبعضهما البعض ينقلان هذا الحديث عن مسلم، بينما لا نجد هذا الحديث الآن في الطبقات الحديثة، وهذا من آثار الخيانة العلمية.

نعود إلى ابن حجر في صواعقه، لنقف على من أخرج أحاديث المهدي من أساطين الحديث بالصيغ المختلفة، حيث ذكر:

(وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه «لوم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله فيه رجلاً من عترتي» وفي رواية «رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً...»، «لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي...» وفي أخرى لأبي داود والترمذي: «لوم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً...» وأحمد وغيره «المهدي من أهل البيت يصلحه الله في ليلة». والطبراني «المهدي منا يختم الدين بنا كما فتح بنا». والحاكم في صحيحه «يجل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع بلاء أشد منه حتى لا يجد الرجل ملجأ فيبعث الله رجلاً من عترتي أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً...»^(٢).

وبهذا نكون قد أثبتنا أصالة فكرة الاعتقاد بالإمام المهدي ﷺ - حسب تعبير ابن حجر آنفاً - من خلال الاستناد إلى أقدم المصنفات الحديثية الإسلامية من جهة، وأوثقها وأشهرها من جهة أخرى.

١. ورد في مقدمة كتاب كنز العمال ما نصه (وهذه رموزه (خ) للبخاري (م) لمسلم (ق) لهما (د) لأبي داود

(ت)... المتقي الهندي / كنز العمال / ج ١ - ص ٦.

٢. أحمد بن حجر الهيثمي المكي / الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة / ص ١٦٣.



ثالثاً: المهدي المنتظر ﷺ عند مدرستي الأمة:

تخرجت الأمة الإسلامية من مدرستين أساسيتين نكاد نقول لا ثالث لهما: المدرسة الأولى: هي مدرسة دولة الخلافة، أو مدرسة الصحابة واصطلاح عليها بـ(السنة).

والمدرسة الثانية: هي مدرسة أهل بيت النبوة ﷺ، واصطلاح عليها بـ(الشيعة).

وكلا المدرستين تعتقد بعقيدة الإمام المهدي ﷺ، ولكنها يختلفان في بعض التفاصيل، وإن أنسب الطرق للتعرف على رأي كل مدرسة في هذه القضية هو مطالعة أقوال علمائها لنقف عند جوانب الاختلاف والاتفاق بينهما.

أ - عقيدة مدرسة الصحابة في المهدي ﷺ:

تظهر أصالة العقيدة المهديّة عند مدرسة الخلفاء من خلال كثرة ما جاء في مصادرهم وأصولهم الحديثيّة من أحاديث عن النبي الأكرم ﷺ في المهدي ﷺ، وما جاء في فتاوى علمائهم وآرائهم، وهذا لا غرابة فيه، وإن كان يعبر عن شيء فإنما يعبر عن أصالة هذه العقيدة كعقيدة إسلامية راسخة، نعم هناك من أنكر المهديّة من علماء مدرسة الخلفاء لكنهم قلة، لعل أولهم ابن خلدون وتبعه بعض المحدثين، وما نريد بيانه هي عقيدة عموم أهل السنة والجماعة في المهدي، من خلال أقوال أساطين العلم في مدرسة الصحابة، وقد جاءت الأقوال في المهدي ﷺ على ثلاثة أوجه:

الأول: رأي جمهور مدرسة الخلفاء الذي يرى: (أن المهدي ﷺ أحد الخلفاء العادلين المسلمين سيولد إذا شاء الله تعالى ويجري عليه كل ما تقتضيه الطبيعة البشرية حسب سنة الله تعالى في الكون. وسيتولى الحكم إذا شاء الله تعالى فيحكم بالعدل ويتبع خطوات الرسول ﷺ] فتظهر له آثاره من الرخاء والطمأنينة، وإن خير تعبير لعقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب هو كلام الحافظ أبو

الحسن محمد بن الحسين الأبري السجزي (ت ٣٦٣ هـ) الذي قال في كتابه مناقب الشافعي: وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ [بذكر المهدي ﷺ] وأنه من أهل بيته وأنه يملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلاً وأن عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه...^(١).

وقد نقل كلامه هذا عدد من الأئمة والعلماء وارتضوه، ومنهم: الإمام القرطبي (ت ٦٧١ هـ) في كتابه (التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة)، والإمام ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، في كتابه (المنار المنيف)، والحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) في (فتح الباري بشرح صحيح البخاري)، وفي (تهذيب التهذيب) أيضاً، السيوطي (ت ٩١١ هـ)، في آخر كتابه (العرف الوردية في أخبار المهدي)^(٢).

وكذا البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) صحح أحاديث المهدي قائلاً: (والأحاديث في التنصيص على خروج المهدي أصح البتة إسناداً، وفيها بيان كونه من عتره النبي ﷺ)^(٣).

وقد قال الشيخ محمد السفاريني^(٤) (ت ١١٨٨ هـ) مؤكداً تواتر أحاديث المهدي إلى حدٍ يدخل هذا الأمر في البعد الإيماني والعقائدي عند أهل السنة والجماعة حيث قال: (والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي ﷺ غير عيسى عليه السلام وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام وقد كثرت بخروجه الروايات

١. البستوي/ المهدي المنتظر عليه السلام في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة/ ص ٦١.

٢. البستوي/ المهدي المنتظر عليه السلام في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة/ ص ٤٠ - ٤١.

٣. ابن حجر/ تهذيب التهذيب/ ج ٩ - ص ١٢٦.

٤. شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني ١١١٤ - ١١٨٨ هـ، عالم بالحديث والأصول والأدب، له عدة مؤلفات منها الدرر المصنوعات في الأحاديث الموضوعات، ولوائح الأنوار البهية وسواطع الاسرار الأثرية المعنية في عقد أهل الفرقة المرضية الاعلام (٦ / ٢٤٠).



حتى بلغت حد التواتر المعنوي وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم. وقد روي عن مَنْ ذُكر من الصحابة وغير مَنْ ذُكر عنهم ﷺ بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم ما يفيد مجموعهُ العلم القطعي. فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة^(١).

ومنهم الإمام أبو عبد الله القرطبي (ت ٧٦١هـ)، فقد قال: (والأحاديث عن النبي ﷺ [عليه السلام] في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة)^(٢). حتى ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، قال في كتابه منهاج السنة: (إن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود وغير... لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)^(٣). ومنهم الإمام ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) حيث قال: (والأمم الثلاث تنتظر منتظراً يخرج في آخر الزمان... وينتظرون خروج المهدي من أهل بيت النبوة يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً)^(٤).

ومنهم الإمام الحافظ عماد الدين ابن كثير (ت ٧٤٤هـ) الذي يصرح باعتقاد أهل السنة بالمهدي المبشر به، إلا أنه يظهر البيئونة بين هذا الاعتقاد واعتقاد الرافضة (شيعة أهل البيت ﷺ) حسب تعبيره، حيث قال في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ (المائدة: ١٢) بعد ذكر الحديث الوارد في الصحيحين (لا يزال أمر الناس ماضياً

١. عبد العليم عبد العظيم البستوي/ المهدي المنتظر ﷺ في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة/ ص ٤٤.

٢. البستوي/ المهدي المنتظر ﷺ في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة/ ص ٥٠.

٣. ابن تيمية/ منهاج السنة/ ج ٤ - ص ٩٥.

٤. ابن قيم الجوزية/ إغاثة اللهفان/ ج ٢ - ص ٣٣٨.



ما وليهم اثنا عشر رجلاً... كلهم من قريش^(١): (ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحاً يقيم الحق... على نسق وهم الخلفاء الأربعة أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي... ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك... والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره... وليس هذا بالمنتظر الذي تتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره في سرداب سامرا فإن ذلك ليس له حقيقة)^(٢).

ومن العلماء المعاصرين مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، حيث قال في تعليقه على محاضرة الشيخ عبد المحسن العباد: (فأمر المهدي أمرٌ معلومٌ والأحاديث فيه مستفيضةٌ بل متواترةٌ متعاضدةٌ وقد حكى غير واحدٍ من أهل العلم تواترها... وهي متواترةٌ تواتراً معنوياً لكثرة طرقها واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها، فهي بحق تدل على أن هذا الشخص الموعود به أمره ثابت وخروجه حق)^(٣).

وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: (الأحاديث في ذلك [في خروج المهدي] كثيرة جداً، وأشهرها حديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً... وقد أخطأ ابن خلدون خطأً واضحاً حيث ضعّف أحاديث المهدي كلها... والحق أن الأحاديث الواردة في المهدي فيها الصحيح والحسن وفيها الضعيف والموضوع)^(٤).

١. مسلم النيسابوري/ صحيح مسلم/ ج ٦ - ص ٣ / وتراه في معناه دون دقيق لفظه في / البخاري/ صحيح البخاري/ ج ٨ - ص ١٢٧.

٢. ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم/ ج ٢ - ص ٣٤.

٣. عبد العليم عبد العظيم البستوي/ المهدي المنتظر ﷺ في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة/ ص ٥٩ نقلاً عن مجلة الجامعة الإسلامية عدد ذي القعدة ١٣٨٩ هـ/ ص ١٦٢.

٤. عبد العليم عبد العظيم البستوي/ المهدي المنتظر ﷺ في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة/ ص ٥٩.

الثاني: رأي بعض العلماء الكبار الذي يعتقد بالمهدي ويعتمد كل الأقوال السابقة لأساطين العلم، لكنه يصرح باعتقاد ولادته، وأنه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وهم بهذا يتفقون مع ما تعتقده مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وسيأتي ذكر هذا مع شواهد في محله خلال البحث.

الثالث: الرأي الثالث منكر أو موهن للعقيدة المهديّة: أمثال ابن خلدون، وتبعه بعض المعاصرين أمثال الشيخ محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي يقول: (إن واجبات الدين ثلاثة أنواع اعتقادات وأعمال وآداب وإن التصديق بظهور المهدي في آخر الزمان لا ينزوي تحت تلك الأنواع؛ إذ ليس هو من الأمور التي يجب اعتقادها في ضمن العقيدة الإسلامية، فسواء على المسلم أن يعتقد ظهور المهدي أو يعتقد عدم ظهوره، وليس العلم بذلك من قبيل العلم الواجب طلبه... وتبين أنه ليس مما يتعين على المسلمين العلم به واعتقاده)^(١).

وسنختم هذا البيان بكلام جامع لعقيدة أهل السنة في المهدي المنتظر الموعود، كان قد صدر عن المجمع الفقهي في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة: (المهدي عليه السلام هو محمد بن عبد الله الحسني، العلوي، الفاطمي، المهدي، الموعود، المنتظر، موعد خروجه في آخر الزمان، وهو من علامات الساعة الكبرى يخرج من المغرب ويباع له في الحجاز في مكة المكرمة، بين الركن والمقام، بين باب الكعبة المشرفة والحجر الأسود الملتزم. ويظهر عند فساد الزمان وانتشار الكفر وظلم الناس، ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يحكم العالم كله وتخضع له الرقاب بالإقناع تارة وبال حرب تارة أخرى وسيملك الأرض سبع سنين وينزل عيسى عليه السلام من بعده، فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده على قتله بباب لد بأرض فلسطين. وهو آخر

١. ابن عاشور/ محمد الطاهر/ تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة / ص ٤٩ - ٥٠.



الخلفاء الراشدين الاثني عشر الذين أخبر النبي ﷺ [عليهم السلام] عنهم في الصحاح... وأن الاعتقاد بخروج المهدي واجب لأنه من عقائد أهل السنة والجماعة، ولا ينكره إلا جاهل بالسنة ومبتدع في العقيدة^(١).

ب - عقيدة مدرسة أهل البيت عليه السلام في المهدي عليه السلام:

إن الاعتقاد بإمامة الأئمة الاثني عشر عليه السلام، والاعتقاد بأن المهدي الموعود ﷺ هو الإمام الثاني عشر، من أصول مدرسة أهل البيت عليه السلام، وإن المطالع ليجد توافقاً بين الشيعة والسنة على كل ما ورد بشأنه تقريباً من الأحاديث الشريفة، والبشارة به، وحركة ظهوره، وتجديد الإسلام على يده وشموله العالم، حتى أنك تجد أحاديثه واحدة أو متقاربة في مصادر الفريقين، إلا أن الشيعة تعتقد أن الإيمان بأن الإمام المهدي ﷺ حيٌّ غائب جزء من المذهب، وبدونه لا يكون المسلم شيعياً اثني عشرياً، وتشخص الإمام المهدي الموعود المنتظر فيقولون إنه هو الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام. وهذا ما عبر عنه الشيخ جعفر السبحاني جلياً في بيانه لعقيدة الشيعة الإمامية في المهدي عليه السلام حيث قال: الإمام الثاني عشر: المهدي بن الحسن المنتظر عليه السلام هو أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري الحجة، الخلف الصالح، وُلِدَ عليه السلام بسر من رأى ليلة النصف من شعبان، سنة خمس وخمسين ومائتين، وله من العمر عند وفاة أبيه خمس سنين، آتاه الله الحكم صبياً كما حدث ليحيى... وجعله إماماً وهو طفل، كما جعل المسيح نبياً وهو رضيع... اتفق المسلمون على ظهور المهدي في آخر الزمان لإزالة الجهل والظلم، والجور، ونشر أعلام العدل، وإعلاء كلمة الحق، وإظهار الدين كله ولو كره المشركون، فهو بإذن الله ينجي العالم من ذل العبودية لغير الله، ويلغي الأخلاق والعادات الذميمة... ويقطع أوامر التعصبات القومية والعنصرية، ويمحي أسباب العداء والبغضاء التي صارت

١. أسعد وحيد القاسم / حقيقة الشيعة الاثني عشرية/ ص ١٣٦ - ١٣٧.



سبباً لاختلاف الأمة وافتراق الكلمة، ويحقق الله سبحانه بظهوره وعده الذي وعد به المؤمنين بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (نور: ٥٥)، وقوله سبحانه: ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥).

وهناك حديث أخرجه كل من السنة والشيعة، قال النبي ﷺ: «نحن وُلد عبد المطلب سادة أهل الجنة، أنا وحمزة وعلي والحسن والحسين والمهدي»^(١). وعن الإمام الجواد عليه السلام: «إن القائم منا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته، ويطاع في ظهوره، وهو الثالث من ولدي، والذي بعث محمداً ﷺ بالنبوة وخصنا بالإمامة، إنه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم، حتّى يخرج فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وإن الله تبارك وتعالى يصلح أمره في ليلة، كما أصلح أمر كليمة موسى عليه السلام إذ ذهب ليقتبس لأهله ناراً، فرجع وهو رسول نبي»^(٢).

الفصل الثالث: ولادة الإمام المهدي ﷺ:

إنّ الشيعة الإمامية تعتقد بولادة الإمام المهدي ﷺ كما صار معلوماً، وأنه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام وقد ولد عام (٢٥٥هـ)، إلا أن جُلّ مدرسة الصحابة لا تقول بذلك، بل وتنكر على الشيعة اعتقادهم، وستعرض لموضوع ولادة الإمام المهدي ﷺ بعد أن ثبتنا رسوخ أصل العقيدة المهديّة إسلامياً، وغدا النقاش في التفاصيل.

١. الطوسي / الغيبة/ ص ١٨٤ / ابن حجر / الصواعق المحرقة / ص ١٨٧.

٢. الشيخ الصدوق / كمال الدين وتمام النعمة / ص ٣٧٧.



إنَّ ولادة الإمام المهدي عليه السلام على أقوال متعددة فقليل إنه: (ولد للنصف من شعبان، وهو المشهور بين الإمامية، وروى الصدوق... أنه عليه السلام ولد يوم الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة ست وخمسين ومائتين، ورُوي أنه عليه السلام ولد ليلة الجمعة غرة شهر رمضان من سنة أربع وخمسين ومائتين، وروي بأسانيد عن حكيمة عليها السلام أنها قالت: سنة ست وخمسين، وروى الشيخ الطوسي عنها سنة خمس وخمسين... وقيل: ولد عليه السلام في الثالث والعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين، وقال ابن خلكان في تاريخه: كانت ولادته يوم الجمعة بمنتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين...، وقيل: ولد في الثالث من شعبان سنة ست وخمسين وهو الأصح^(١)، هذا ما قدّمه العلامة المجلسي من استقراء للآراء، والأخير ما يراه بظنه أنه الأصح، أمّا ما عليه مشهور الإمامية اليوم هو القول بولادته عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وهنا عدة مباحث:

المبحث الأول: ما يستند إليه المنكرون والرد عليهم:

إن منكري ولادة الإمام المهدي عليه السلام يستندون على ادعاءات عدة سيتم مناقشة أهمها على الإطلاق والتي إن حسمت فلا مجال لشبهات أخر ليست من وزنها:

أولاً: عرض الشبهة:

إن الروايات في مولد الإمام المهدي عليه السلام ضعيفة وفق المنهج السّندي، وإنّ ما يزيد ضعف هذه الروايات ضعفاً هو اختلافها في كثير من التفاصيل، كتاريخ مولده الذي تم بيانه باختلافاته آنفاً، وكذا اسم أمه، وغيرها من مكتنفات قصة المولد.

١. المجلسي/ مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول عليه السلام / ج٦ - ص ١٧٠ - ١٧١.

ثانياً: ما استندت عليه الشبهة:

لقد تم الاحتجاج بالدراسة الوافية التي أجراها العلامة المجلسي للروايات الواحدة والثلاثين التي أوردها العلامة الكليني في الجزء الأول من كتاب أصول الكافي باب مولد الصاحب^(١)، وقد صحح تسع روايات من أصل واحدة وثلاثين رواية^(٢)، أمّا على ما قرره الشيخ محمد آصف محسني^(٣) في كتابه مشرعة بحار الأنوار، فإن الرواية الخامسة، والثالثة والثلاثين فقط هما المعبرتان لديه^(٤) من أصل الروايات السبعة والثلاثين اللاتي أوردها العلامة المجلسي في البحار^(٥)، ولكن اعتبار الخامسة ليس مطلقاً؛ فهي معتبرة إن ثبت

١. الكليني/ الكافي/ ج ١ - ص ٥١٤.

٢. المجلسي/ مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول عليه السلام / ج ٦ - / بسط دراسته على الأحاديث من صفحة ١٧٠-٢٠١ قال: الحديث الأول: ضعيف على المشهور. الحديث الثاني: مجهول. الحديث الثالث: كالسابق. الحديث: الرابع صحيح الحديث الخامس مجهول. الحديث السادس: كالسابق. الحديث السابع: كالسابق. الحديث الثامن: صحيح. الحديث التاسع: مجهول. الحديث العاشر: كالسابق. الحديث الحادي عشر: ضعيف. الحديث الثاني عشر: مجهول. الحديث الثالث عشر: كالسابق. الحديث الرابع عشر: كالسابق. الحديث الخامس عشر: حسن كالصحيح، الحديث السادس عشر: مجهول. الحديث السابع عشر: كالسابق. الحديث الثامن عشر: كالسابق. الحديث التاسع عشر: كالسابق. الحديث العشرون: صحيح. الحديث الحادي والعشرون: مجهول. الحديث الثاني والعشرون: كالسابق. الحديث الرابع والعشرون: صحيح. الحديث الخامس والعشرون: كالصحيح. الحديث السادس والعشرون: صحيح. الحديث السابع والعشرون: مجهول. الحديث الثامن والعشرون: كالسابق الحديث التاسع والعشرون: صحيح. الحديث الثلاثون: مجهول. الحديث الحادي والثلاثون: صحيح.

٣. آية الله الشيخ محمد آصف محسني عالم شيعي اثنا عشري من أفغانستان ولد في قندهار سنة (١٩٣٥م)، درس في النجف الأشرف وقم، متخصص في علم الرجال. مؤلفه (مشرعة بحار الأنوار) هو أكثر مؤلفاته شهرة وإثارة للجدل إذ اتخذ من موسوعة بحار الأنوار مادة للبحث السندي الحديثي وضعف الكثير من الأحاديث الواردة فيها.

٤. محسني/ مشرعة بحار الأنوار/ ج ٢ - ص ٢٠٨.

٥. المجلسي/ بحار الأنوار/ ج ٥١ - من صفحة ٢-٢٨ ينقل ٣٧ رواية وضمنها يورد ٣ روايات فتكون إجمالاً ٤٠ رواية في باب (ولادته وأحوال أمه (صلوات الله عليه)) أي (المهدي عليه السلام).

أن كثرة ترحم الصدوق على ابن عصام على الوثاقة وإلا فابن عاصم أيضاً مجهول، ومما يزيد الأمر صعوبة أن السيد الخوئي في معجم رجال الحديث لا يعتبر كثرة الترحم تفيد الوثاقة^(١)، وأمّا الرواية الثالثة والثلاثون فهي معتبرة إن كان الخشاب هو الحسن بن موسى ولكن فيه تردداً لأنه من الطبقة السابعة وينقل عن السادسة وهو مجهول فالرواية أيضاً ضعيفة.

إن تسعة أحاديث لا توجب القطع، إذن كيف يمكن اعتماد هذه الروايات وبهذا العدد في مجال العقيدة؟
ثالثاً: تفنيد الشبهة:

إن هذا الإشكال قوي من الحيثية التي عرض من خلالها، ولكن نقطة قوته هي ذاتها نقطة ضعفه؛ وضعفه ينشأ من ضيق أفق الطرح الذي كان عاملاً قوته نفسه، فطرح الأمر بهذه الطريقة هو اجتزاءٌ ضيق ومحدود لصورة أوسع وميدان أرحب، وهذا يتضح من خلال نقاط عدة:

الأولى: إن الأحاديث الواردة في شأن الإمام المهدي عليه السلام ليست مختزلة ومنحصرة في باب مولد الصاحب في كتاب الكافي، وإنما هناك جوانب أخرى، حريٌّ بنا أن نشير إليها لتكتمل الصورة، فالمحقق الشيخ الصافي الكلبايگاني أحصى في كتابه (منتخب الأثر) الروايات الواردة في إثبات هذه القضية وحقايتها، فخرجت نتائج تحقيقاته بالمئات من الروايات^(٢) تحت عناوين متنوعة

١. جاء في كتاب معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج ١ - ص ٧٤: (الترحم... دعاء مطلوب ومستحب في حق كل مؤمن... وقد ترحم الصادق عليه السلام لكل من زار الحسين عليه السلام، بل إنه (سلام الله عليه)، قد ترحم لأشخاص معروفين بالفسق... فكيف يكون ترحم الشيخ الصدوق أو محمد بن يعقوب وأمثالهما كاشفاً عن حسن المترحم عليه؟ وهذا النجاشي قد ترحم على ابن البهلول، بعد ما ذكر أنه رأى شيوخه يضعفونه وأنه لأجل ذلك لم يرو عنه شيئاً وتجنبه.

٢. كمال الحيدري/ في ظلال العقيدة والأخلاق/ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ نص على هذه الدراسة: ١ الروايات التي تبشّر بظهوره عليه السلام: ٦٥٧/ رواية ٢ - روايات أنه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً: ١٢٣/ رواية ٣ - الروايات التي تثبت أن المهدي المنتظر من أهل البيت عليهم السلام: ٣٨٩/ رواية ٤ - الروايات التي تبين أنه من

مروية عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وأهل بيته الواردة في كتب الشيعة والسنة.

الثانية: إن الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في هذا الشأن حُجَّتْهَا معتبرة لثبوت حجيتهم عليهم السلام من خلال عصمتهم وإمامتهم التي تثبت عن طريق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وإذا ما تحصّل هذا في محله، يكون كلامهم في الإمام المهدي عليه السلام حجة بلا دور (أي ليس من باب توقف الشيء على نفسه)، لاختلاف الموقوف عن الموقوف عليه.

وإن لم تثبت حجيتهم عند البعض لعدم ثبوت عصمتهم، فإن رواياتهم معتبرة من خلال أنهم رواة ثقات عن النبي صلى الله عليه وآله، فتكون حجة قولهم على حدّ حجة قول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين قبل منهم المسلمون نقولاً لهم. الثالثة: إن لم يُقبل هذا ولا ذاك مما تقدم في قبول روايتهم - وهذا ما يُستبعد من مسلم - فإننا أمام هذا العدد الجَم من الروايات لا يمكننا إلا التسليم بتواترها الإجمالي أو المعنوي الذي ترضيه مدرسة المنهج السندي، وتجعله في رتبة مقدمة على صحة السند، وهذا ما يتم تبنيه من قبل أقطاب مدرسة

→ ولد أمير المؤمنين عليه السلام: ٢١٤ رواية/ ٥ - الروايات التي تثبت أنه من ولد فاطمة الزهراء عليها السلام: ١٩٢ رواية/ ٦ - الروايات التي تقول إنه من ولد الإمام الحسين عليه السلام: ١٨٥ رواية/ ٧ - الروايات التي تقول إنه التاسع من ولد الإمام الحسين عليه السلام: ١٤٨ رواية/ ٨ - الروايات التي تقول إنه من ولد علي بن الحسين عليه السلام: ١٨٥ رواية/ ٩ - الروايات التي تقول إنه من ولد محمد الباقر عليه السلام: ١٠٣ رواية/ ١٠ - الروايات التي تقول إنه من ولد الصادق عليه السلام: ١٠٣ رواية/ ١١ - الروايات التي تقول إنه السادس من ولد الصادق عليه السلام: ٩٩ رواية/ ١٢ - الروايات التي تقول إنه من ولد موسى بن جعفر عليه السلام: ١٠١ رواية/ ١٣ - الروايات التي تقول إنه الخامس من ولد موسى بن جعفر عليه السلام: ٩٨ رواية/ ١٤ - الروايات التي تقول إنه الرابع من ولد علي بن موسى الرضا عليه السلام: ٩٥ رواية/ ١٥ - الروايات التي تقول إنه الثالث من ولد محمد بن علي التقي عليه السلام: ٩٠ رواية/ ١٦ - الروايات التي تقول إنه من ولد علي الهادي عليه السلام: ٩٠ رواية/ ١٧ - الروايات التي تقول إنه ابن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام: ١٤٦ رواية/ ١٨ - الروايات التي تقول إنه الثاني عشر من الأئمة وخاتمهم: ١٣٦ رواية/ ١٩ في ولادته عليه السلام وبعض حالات أمّه: ٢١٤ رواية/ ٢٠ في أن له غيبتين: ١٠ روايات/ ٢١ في أن له غيبة طويلة: ٩١ رواية.



المنهج السندي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام؛ أمثال السيد الخوئي الذي يمكن فهم هذا المعنى من قوله: (ومن السنة طائفة كثيرة من الأخبار وهي وإن كانت ضعيفة السند إلا أنها متضافرة بل متواترة إجمالاً فيعتمد عليها)^(١)، ويقول في موضع آخر: (وهي كما مرّ، أخبار كثيرة، بل يمكن دعوى تواترها - إجمالاً - فهي على تقدير تواترها قطعية ومما لا إشكال فيه)^(٢).

وهذا ما يقول به كبار علماء مدرسة الخلفاء أيضاً أمثال الشيخ ابن باز، وقد تقدم قوله: (فأمر المهدي أمر معلوم والأحاديث فيه مستفيضة بل متواترة متعاضدة، وهي متواترة تواتراً معنوياً لكثرة طرقها واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها)^(٣)، وهذا ما يراه العلامة السفاريني في التواتر المعنوي وأنه يورث القطع؛ حيث قال: (وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وقد روي عن من ذكر من الصحابة... بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم ما يفيد مجموع العلم القطعي)^(٤).

لقد غدا واضحاً ما لهذه الروايات على كثرتها من اعتبار ينقلها من حيز البحث السندي إلى حيز التواتر المعنوي الذي يفيد علماً قطعياً لا يحتاج معه إلى دراسة سنديّة، والنكته هي، أن الخبر المتواتر يفيد العلم، لكثرة المخبرين، وبعدهما أفاد العلم لا معنى لاشتراط الوثاقة والعدالة، إذ المفروض أن العلم حصل، وليس بعد العلم شيء يُقصد، فلا معنى إذن لاشتراط الوثاقة والعدالة في باب الخبر المتواتر، وهذه قضية بديهية وواضحة في سوق العلم.

١. الخوئي / كتاب الصلاة / ج ٤ - ص ٢٥٨.

٢. المصدر نفسه / ج ١ - ص ٢٦٢.

٣. عبد العليم عبد العظيم البستوي / المهدي المنتظر عليه السلام في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة / ص ٥٩
نقلًا عن مجلة الجامعة الإسلامية عدد ذي القعدة ١٣٨٩ هـ / ص ١٦٢.

٤. المصدر نفسه / ص ٤٤.



وعليه فليس من الحق وليس من الصواب أن نأتي إلى الروايات الدالة على ولادة الإمام المهدي عليه السلام أو أي قضية ترتبط به عليه السلام ونقول: إن هذه الرواية ضعيفة السند، الرواة مجاهيل، ونطرح القضية. هذا ليس بصحيح، نعم هذا صحيح لو فرض أن الرواية كانت واحدة أو اثنتين أو ثلاث أو عشر أمّا بعدما ثبت استقرائياً، كون الروايات الدالة على ولادة الإمام المهدي عليه السلام قد بلغت حدّ التواتر فلا معنى لأن نقول هذه الرواية الأولى ضعيفة السند، والثانية ضعيفة السند لجهالة الراوي والثالثة هكذا، فإن هذه الطريقة وجيهة في الخبر غير المتواتر، أمّا في الخبر المتواتر فلا معنى لها.

الرابعة: أمّا فيما يخص الاختلاف في التفاصيل، فإن الأخبار الكثيرة إذا اتفقت من زاوية على شيء معيّن، واختلفت فيما بينها بتفاصيل عديدة، فالعلم يحصل بذلك الشيء المتفق عليه، وإن اختلفت هذه الأخبار من الجوانب الأخرى في التفاصيل. ولما كانت الروايات في حياة الإمام المهدي ومولده، تتفق على الحياة والولادة وتختلف في تفاصيل من قبيل أن أم الإمام المهدي عليه السلام اسمها نرجس على رواية، واسمها سوسن على رواية ثانية، أو أن واحدة تقول وُلد في هذه الليلة والثانية تقول وُلد في تلك الليلة أو واحدة تقول وُلد في هذه السنة والأخرى تقول في السنة الأخرى، كل هذه الأخبار متفقة في جانب واحد، وهو الإخبار بولادة الإمام عليه السلام. وإن اختلفت فهي مختلفة في تفاصيل وخصوصيات أخرى، بل يمكن عدّها من مؤكّدات الولادة، لأنّها من قبيل الاختلاف في تحديد صفة شيء موجود، وليس من قبيل الاختلاف في نفي وجود ذلك الشيء، وعليه فإن العلم يحصل والتواتر يثبت من هذه الناحية.

الخامسة: إن هناك طرقاً أخرى لإثبات حياته عليه السلام كشهادة مَنْ رآه، وهم جمٌّ غفير من الفضلاء، وفيهم الثقات والعلماء، وقد أحصى منهم السيد

هاشم البحراني العشرات بل المئات^(١) في كتابه القيم (تبصرة الولي فيمن رأى المهدي عليه السلام)، وكذا عوامل أخرى تورث اليقين بوجوده سيتم إيراد شيء منها في الأسطر التالية.

المبحث الثاني: عوامل نشوء اليقين بولادة الإمام المهدي عليه السلام:

العامل الأول:

الأحاديث الكثيرة المسلمة بين الفريقين الشيعة والسنة، والتي تدلّ على ولادة الإمام عليه السلام، ولكن من دون أن تردّ في خصوص الإمام المهدي وبعنوانه، فهي تدلّ على ولادة الإمام من دون أن تنصبّ على هذا الاتجاه، ويحسن أن نذكر منها أحاديث عدة:

١. ذكر السيد ثامر العميدي في كتابه القيم (دفاع عن الكافي) ج ١ - ص ٥٤٨-٥٦١ أسماؤه وشؤون من رأى الإمام المهدي عليه السلام مشيراً إلى موارد الروايات التي ذكرت رؤيته للإمام من الكتب الحديثية المتعددة نذكر من هذه الأسماؤه: (إبراهيم بن إدريس أبو أحمد/ إبراهيم بن عبدة النيسابوري/ إبراهيم بن محمد بن أحمد الأنصاري/ إبراهيم بن مهزيار أبو إسحاق الأهوازي من وكلاء الإمام الحجة عليه السلام / أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري/ أحمد بن إسحاق الوكيل: كمال الدين/ أحمد بن الحسين بن عبد/ أحمد بن عبد الله الهاشمي/ أحمد بن عبد الله مع رشيق صاحب المداري الآتي، ورجل ثالث معهم، بعثهم المعتضد العباسي من بغداد إلى سامرا لتجسس خبر الإمام المهدي والظفر به وقتله عليه السلام، وقد شاهدوه يصلي في منزله وأنجاه الله تعالى من كيدهم وشرهم، وقد تاب رشيق إلى الله تعالى مما قدم عليه، وحدث هو بنفسه عن ذلك/ أحمد بن هلال أبو جعفر العبرثاني، ومعه الحسن بن أيوب، وغيره إلى تمام أربعين رجلاً، كما سيأتي: الغيبة للطوسي/ أبو الأديان خادم الإمام العسكري/ أربعون رجلاً ضمهم مجلس الإمام الحسن العسكري عليه السلام منهم: أحمد بن هلال المتقدم وغيره مما سنذكره في محله/ أربعون رجلاً، منهم: معاوية بن حكيم، ومحمد بن أيوب بن نوح، ومحمد بن عثمان العمري، أراهم إياه الإمام العسكري عليه السلام في منزله: كمال الدين: ٤٣٥/ إسماعيل بن الحسن المرقلي أبو محمد/ إسماعيل بن علي النوبختي: الغيبة للطوسي: ١٦٤/ نسيم الخادمة، خادمة أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام، ومعها مارية، حضرت ساعة الولادة المباركة، ورأت بأمر عينها المولود وهو يسقط من بطن أمه، وقد شهدت بذلك مع مارية، زيادة على شهادة عمه أبيه حكيمة، والعجوز التي ساعدتها في عملية الولادة، فهذه شهادة أربع نساء) وغيرهم الكثير الكثير.



الحديث الأول: حديث الثقلين أو الثقلين، الذي هو حديث متواتر عند المسلمين كافة، فقد قاله النبي ﷺ في مواطن متعددة، وإذا ما رأينا اختلافاً في بعض ألفاظه فهو ناشئ من اختلاف المواطن التي قيل فيها هذا الحديث، قال النبي ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي؛ أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعتري أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(١).

نلاحظ: «ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»، يعني أن الكتاب مع العترة، في حالة وصل وعدم انفصال أو ابتعاد، من زمان النبي ﷺ إلى أن يردا عليه الحوض.

وهذا يدلّ على أنّ العترة الطاهرة مستمرة مع الكتاب الكريم، وهذا الاستمرار لا يمكن توجيهه إلا بافتراض أنّ الإمام المهدي ﷺ قد ولد ولكنه غائب عن الأعين، إذ لو لم يكن مولوداً وسوف يولد في المستقبل لافترق الكتاب عن العترة الطاهرة، وهذا تكذيب - استغفر الله - للنبي ﷺ، فهو يقول: «ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض» وهذا لازمه أنّ العترة لها استمرار مع الكتاب إلى أن يردا عليّ النبي ﷺ، وهذا لا يمكن توجيهه إلا أن نقول: إن الإمام المهدي ﷺ قد ولد ولكنه غائب، وإلا يلزم الإخبار على خلاف الواقع. وهذا حديث واضح الدلالة، يدلّ على ولادة الإمام ﷺ، لكنه لم يرد في الإمام المهدي مباشرة، وإنما هو منصبّ على قضية أخرى (وإنهما لن يتفرقا)، لكن تستفاد منه ولادة الإمام بالدلالة الالتزامية.

١. الترمذي/ سنن الترمذي/ ج ٥ - ص ٣٢٩؛ الحاكم/ المستدرک علی الصحیحین/ ج ٣ - ص ١٠٩.



الحديث الثاني: حديث الاثني عشر، وهذا أيضاً حديث مسلم بين الفريقين، يرويه البخاري ومسلم وغيرهما من طرق أهل السنة، كما رواه غير واحد من طرق شيعة أهل البيت عليهم السلام كالشيخ الصدوق مثلاً في كمال الدين، والحديث عن جابر بن سمرة يقول: دخلت مع أبي علي النبي صلى الله عليه وآله [صلى الله عليه وآله] فسمعته يقول: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة» قال ثم تكلم بكلام خفي عليّ، قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلهم من قريش» ثم تكلم بكلام خفي عليّ، فقلت لأبي ما قال؟ قال: «كلهم من قريش»^(١). وهذا الحديث صحيح بل من مسلمات المسلمين، وليس له مصداق معقول ومقبول إلا الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، ولا سيما عندما نرى التخبط في آراء علماء مدرسة الخلافة^(٢) واختلافهم على تفسير هذا الحديث، فمنهم من عدّهم خمسة ولم يكمل السلسلة لعدم وجود مصاديق أقنعتهم، كابن كثير، والبعض عدّهم اثني عشر، كابن تيمية^(٣) الذي حاول تطبيقه على الخلفاء الراشدين واثنين أو ثلاثة من بني أمية منهم يزيد بن معاوية صاحب نكبات الإسلام ونكسات الشرف، الذي قتل الحسين بن علي عليه السلام، وأحرق الكعبة، واستباح المدينة، فيا لله وللأهواء، ثم عندما وجد أن العدد لم يكف راح يعدد من خلفاء بني

١. مسلم/ صحيح مسلم/ ج ٦ - ص ٣/ البخاري/ صحيح البخاري/ ج ٨ - ص ١٢٧.

٢. جاء في كتاب منهاج السنة لابن تيمية ج ٨ - ص ٢٤٣: (وقد تأول ابن هبيرة الحديث على أن المراد: إن قوانين المملكة باثني عشر مثل الوزير والقاضي ونحو ذلك. وهذا ليس بشيء. بل الحديث على ظاهره لا يحتاج إلى تكلف. وآخرون قالوا فيه مقالة ضعيفة، كأبي الفرج ابن الجوزي وغيره. ومنهم من قال: لا أفهم معناه، كأبي بكر ابن العربي).

٣. جاء في الكتاب نفسه: ج ٨/ ص ٢٣٨: (وفي لفظ: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش. وهكذا كان، فكان الخلفاء: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ثم تولّى من اجتمع الناس عليه وصار له عز ومنعة: معاوية، وابنه يزيد، ثم عبد الملك وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز).



العباس أصحاب السلطان، والهليل والهيلمان، والجواري والغلمان، فإننا لله... إن هذا تطبيق غير مقبول، وكلّ شخص يلاحظ هذا الحديث يجده إخباراً غيبياً من النبي ﷺ عن قضية ليس لها مصداق وجيه ومقبول سوى الأئمة الاثني عشر عليهم السلام لحم رسول الله ﷺ ودمه.

وهذا الحديث بالملازمة يدلّ على ولادة الإمام المهدي عليه السلام، إذ لو لم يكن مولوداً الآن، والمفروض أنّ الإمام العسكري توفي، فأين سنجد مصداق الحديث. فلا بدّ وأن نفترض أنّ ولادة الإمام عليه السلام قد تحققت، وإلا فسيكون هذا الحديث ليس له مصداق. فهذا الحديث كسابقه يدلّ على ولادة الإمام عليه السلام بالدلالة الالتزامية.

العامل الثاني:

رؤية بعض الشيعة للإمام المهدي عليه السلام، كما حدّثت به مجموعة من الروايات. إذ ينقل الشيخ الكليني عن محمد بن عبد الله ومحمد بن يحيى جميعاً عن عبد الله بن جعفر الحميري - وهذا السند في غاية الصحة والوثاقة - يقول: اجتمعتُ أنا والشيخ أبو عمرو عليه السلام^(١) عند أحمد بن إسحاق^(٢)،... [إلى أن قال والرواية طويلة] فخرّ أبو عمرو ساجداً وبكى ثم قال: سل حاجتك، فقلت له: أنت رأيت الخلف من بعد أبي محمد؟ فقال: إي والله...^(٣) [الرواية طويلة بتصرف]. هذه من حيث الدلالة صريحة، ويتمسك بها الأصوليون في مسألة حجّية خبر الثقة، وقد ذكر السيد الشهيد الصدر في أبحاثه أنّ هذه الرواية لوحدها تفيدنا اليقين، وقد ذكر ذلك لا بمناسبة الإمام المهدي عليه السلام، بل بمناسبة حجّية

١. عمرو بن عثمان بن سعيد العمري السّمان.

٢. أحمد بن إسحاق القمي الأشعري المعروف بالوثاقة.

٣. الكليني / الكافي ج ١ - ص ٣٣٠.



خبر الثقة^(١) فهذه الرواية لوحدها يمكن أن يحصل منها اليقين، وهي واضحة في الدلالة على أنه قد رُوي الإمام عليه السلام.

وهناك رواية تنقل قصة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام، عندما طلب الإمام الحسن العسكري عليه السلام منها الحضور إلى منزله ليسرها الله تعالى بوليّه وحجته على خلقه، وقد تبركت برؤيته^(٢). وكذا الحديث الذي ينقله الشيخ الطوسي رحمته الله، حيث ينقل أنه جاء أربعون رجلاً من وجهاء الشيعة اجتمعوا في دار الإمام العسكري عليه السلام ليسألوه عن الحجّة من بعده، وفي الأثناء فإذا غلام كأنه قطعة قمر أشبه الناس بأبي محمد عليه السلام، فقال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم...»^(٣).

العامل الثالث:

وضوح فكرة ولادة الإمام المهدي عليه السلام بين المسلمين عامة، فالذي يقرأ التاريخ والروايات يفهم أنّ المسلمين من شيعة أهل البيت عليهم السلام أو أتباع مدرسة الخلافة منذ الزمان الأول بعيد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا يتداولون فكرة الإمام المهدي عليه السلام وأنه يغيب، وكانت قضية واضحة فيما بينهم، حيث اعتقدها بعض المسلمين في محمد بن الحنفية، وسُمّوا بالكيسانية نسبة

١. جاء في كتاب مباحث الأصول/ تقرير بحث السيد محمد باقر الصدر لسيد كاظم الحائري/ ج ٢ - ص ٥٠٢/: (الأخبار الدالة على حجّية خبر الثقة، وهي معدودة جداً، وتكون من ناحية الكميّة قاصرة عن التواتر، ولكن النقص الكميّ الموجود في أخبار الباب يجبر بالكمال الكيفي الثابت فيها، ويحصل للإنسان من مجموعها الجزم، أو الاطمئنان - على الأقلّ - بحجّية خبر الثقة... فمن الروايات الدالة على المقصود: ما هو عمدة أحاديث الباب في تحصيل الجزم والاطمئنان، وهو ما رواه الكليني رحمته الله في الكافي عن محمد بن عبد الله، ومحمد بن يحيى جميعاً، عن عبد الله بن جعفر الحميري، قال: اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو... الحديث).

٢. الطوسي/ الغيبة/ ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

٣. الصدوق/ الأمالي/ ص ٦٣٥.



لصاحب الدعوة كيسان بن عبيد الله^(١)، وكذا فإن المنصور العباسي ثاني خلفاء بني العباس وقد كان اسمه عبد الله، سمى ابنه محمد، ليصير اسمه محمد بن عبد الله، وليكون مصداق الحديث المشهور عند مدرسة الخلافة، (اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي)، وكان قد لُقِّبَ بالمهدي، وزرع في ذهنه أنه هو المهدي الوارد في أحاديث النبي ﷺ، وفعلاً، هذا الذي حصل وجرى، واعتقد به خلق كثير وكان الخليفة المعروف باسم المهدي العباسي^(٢)، وجرياً عليه نرى أن الناوسية ادَّعت أن الإمام الغائب هو الإمام الصادق عليه السلام^(٣)، ولكن بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام اتضح بطلان هذه العقيدة، ومن ادَّعى أو ادَّعت له المهديوية أكثر من أن يُحصى؛ ويكتفى بذلك.

طبعاً لا مسوغ لاعتبار هذه الدعاوى سبباً في تضعيف فكرة الإمام المهدي عليه السلام، بل هي عامل مهم ويعتمد عليه في تعزيزها وتدعيمها، لأن هذا يدل على أن الفكرة كانت واضحة في الذهنية الإسلامية، وعلى صعيد الطبقات المتنوعة من المجتمع الإسلامي، بدءاً من بسطاء المسلمين، ودهمائهم، وصولاً إلى الخلفاء وعليّة القوم، من شيعة وسنة.

العامل الرابع:

تصرّفات السلطة الحاكمة آنذاك تجاه الإمامين الهادي والعسكري عليه السلامين. فرغم التعتيم الإعلامي الذي قام به الأئمة عليهم السلام بالنسبة إلى اسم الإمام وولادته عليه السلام، كان تصرف السلطة ملفتاً حيث إن المعتمد العباسي بمجرد أن وصل إلى سمعه أنه ولد للإمام مولود أرسل شرطته إلى دار الإمام وأخذوا

١. عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي / الفرق بين الفرق / ص ٤٧.

٢. ابن كثير / البداية والنهاية / ج ١٠ - ص ١٦٢.

٣. عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي / الفرق بين الفرق: ص ٦٧.



جميع نساء الإمام واعتقلوهنَّ حتّى يلاحظوا الولادة ممّن؟ نعم، البعض ينقل أنّ القضية كلها كانت بإرشاد جعفر عمّ الإمام المهدي، وهذا غير مهمّ، فإنّ تصرّف السلطة نفسه قرينة واضحة على أنّ مسألة الولادة ثابتة، وإلاّ فهذا التصرف لا داعي إليه.

لا بد وأن تكون السلطة قد اطلعت من خلال أخبار النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام على أنّه سوف يولد شخص من ذرية الإمام العسكري عليه السلام يملأ الأرض قسطاً وعدلاً وتزول على يده المباركة السلطات الظالمة.

العامل الخامس:

إن كلمات المؤرّخين وأصحاب التاريخ والنسب من غير الشيعة واضحة في ولادة الإمام المهدي عليه السلام، وهذا ما نريد بسط الحديث فيه خلال الأسطر الآتية:

أولاً: في من يقول بولادة المهدي عليه السلام من علماء المسلمين ومؤرخيهم:

العلامة الشعراني (ت ٩٧٣هـ)^(١) في كتابه القيم (اليواقيت والجواهر) حيث قال: (فهنالك يترقّب خروج المهدي عليه السلام وهو من أولاد الإمام الحسن العسكري، ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمسة وخمسين ومائتين، وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام)^(٢).

١ - الشيخ محي الدين ابن عربي (ت ٦٣٨)^(٣): ينقل العلامة الشعراني

١. أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري، المشهور بالشعراني، فقيه ومحدث مصري صوفي شافعي يسميه الصوفية القطب الرباني (٨٩٨هـ - ٩٧٣هـ).

٢. اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر / الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد: ج ٢ - ص ١٧٨.

٣. محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائفي الأندلسي، أحد أشهر المتصوفين، لقبه أتباعه وغيرهم من الصوفيين (بالشيخ الأكبر) ولذا تُنسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية. ولد في مرسية في الأندلس في شهر رمضان عام (٥٥٨هـ) الموافق (١١٦٤م) وتوفي في دمشق عام (٦٣٨هـ) الموافق (١٢٤٠م) ودفن في سفح جبل قاسيون.



أن الشيخ ابن عربي كان قد قال في الباب السادس والستين وثلاثمائة من (الفتوحات المكية): (واعلموا أنه لا بدّ من خروج المهدي ﷺ، لكن لا يخرج حتّى تمتلئ الأرض جوراً وظلماً، فيملأها قسطاً وعدلاً، ولو لم يكن من الدنيا إلا يوم واحد، طوّ الله تعالى ذلك اليوم، حتّى يلي ذلك الخليفة، وهو من عترة رسول الله ﷺ] من ولد فاطمة رضي الله عنها جدّه الحسين بن علي بن أبي طالب، ووالده الحسن العسكري، ابن الإمام علي النقي بالنون، ابن الإمام محمّد التقى بالتاء، ابن الإمام علي الرضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمّد الباقر، ابن الإمام زين العابدين علي، ابن الإمام الحسين، ابن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، اسمه اسم رسول الله ﷺ]، يبايعه المسلمون بين الركن والمقام...^(١).

كانت هذه عبارة صاحب الفتوحات المكيّة، كما ينقلها أحد أعلام القرن العاشر الهجري وهو العلامة الشعرائي، عبارة لا نراها في الطبقات الحالية للفتوحات، وللأسف، إنها الأيدي غير الأمانة مرةً أخرى تعبت بالحقيقة. وما يمكن أن يقرأه الباحث اليوم هو هذه العبارة من الفتوحات: (اعلم أيّدنا الله، أنّ الله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض ظلماً وجوراً، فيملأها قسطاً وعدلاً، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، طوّ الله ذلك اليوم حتّى يلي هذا الخليفة من عترة رسول الله ﷺ]، من ولد فاطمة، يواطئ اسمه اسم رسول الله ﷺ]، جدّه الحسين بن علي بن أبي طالب، يبايع بين الركن والمقام...^(٢).

١. البيواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر/ الشعرائي، عبد الوهاب بن أحمد/ ج ٢ - ص ١٧٨.

٢. ابن عربي/ الفتوحات المكية/ ج ٣ - ص ٣٢٧.



٢ - علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ):

يقول: (في سنة ستين ومائتين قبض أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، في خلافة المعتمد، وهو ابن تسع وعشرين سنة، وهو أبو المهدي المنتظر)^(١).

٣ - شمس الدين بن خلكان (ت ٦٨١هـ):

أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد، ثاني عشر الأئمة الاثني عشر، على اعتماد الإمامية، المعروف بالحجة وهو الذي تزعم الشيعة أنه المنتظر والقائم والمهدي... كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، ولما توفي أبوه كان عمره خمس سنين، واسم أمه (خمط) وقيل (نرجس)^(٢).

٤ - ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي الفقيه (ت ٩٧٣هـ)^(٣):

يقول: (...رجع الحسن [العسكري] إلى داره وأقام عزيزاً مكرماً وصلات الخليفة تصل إليه كل وقت إلى أن مات بـ(سر من رأى) ودفن عند أبيه وعمه وعمره ثمانية وعشرون سنة ويقال إنه سُمّ أيضاً ولم يخلّف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن آتاه الله فيها الحكمة ويسمى القائم المنتظر، قيل لأنه ستر بالمدينة وغاب فلم يعرف أين ذهب)^(٤).

٥ - الشيخ عبد الله الشبراوي الشافعي (١١٧١هـ):

قال الشيخ الشبراوي: (الحادي عشر من الأئمة الحسن الخالص، ويلقب بالعسكري، ولد بالمدينة... وتوفي عليه السلام يوم الجمعة... سنة (٢٦٠) هـ...، ويكفيه شرفاً أن الإمام المهدي المنتظر من أولاده).

١. المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٤ - ص ١١٢.

٢. ابن خلكان / وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ ج ٤ - ص ١٧٦.

٣. ابن حجر الهيتمي الأنصاري المكي الشافعي الفقيه (٩٠٩هـ - ٩٧٣هـ)، وبالمناسبة ينبغي التفريق بينه وبين ابن حجر العسقلاني الكنايني المحدث المشهور، (٧٧٣هـ - ٨٥٢هـ) شارح صحيح البخاري.

٤. ابن حجر/ الصواعق المحرقة/ ص ٢٠٨.



وُلِدَ الإمامُ محمد (الحجة) ابن الإمام الحسن الخالص، بِ(سُرِّ مَنْ رَأَى)، ليلة النصف من شعبان، سنة (٢٥٥ هـ) قبل وفاة أبيه بخمس سنين، وكان أبوه قد أخفاه حين ولد وستر أمره لصعوبة الوقت وخوفه من الخلفاء العباسيين فإنهم كانوا في ذلك الوقت يتطلّبون الهاشميين، ويقصدونهم بالحبس والقتل، ويرون إعدامهم، وذلك لقتلهم من يعدم سلطنة الظالمين، وهو الإمام المهدي ﷺ كما عرفوا ذلك من الأحاديث التي وصلت إليهم من الرسول الأكرم [ﷺ] (١).

٦ - الشيخ سليمان القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤ هـ):

المُحَقِّق عند الثقات أن ولادة القائم ﷺ كانت ليلة الخامس عشر من شعبان، سنة خمس وخمسين ومائتين في بلدة سامراء (٢).

٧ - كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد القرشي الشافعي (ت ٦٥٢ هـ):

من نسابة القرن السابع الهجري وقد أثنى عليه من ترجم له مثل الياضي في مرآة الجنان في حوادث سنة (٦٥٠ هـ)، قال - بعد سرد اسمه ونسبه -: (المهدي الحجة، الخلف الصالح المنتظر، فأما مولده فبسر من رأى، وأما نسبه فأبوه الحسن الخالص) (٣) ثم أورد عدّة أخبار واردة في المهدي من طريق أبي داود، والترمذي ومسلم، والبخاري وغيرهم، ثم ذكر بعض الاعتراضات بالنسبة إلى أحواله ﷺ من حيث الغيبة وطول العمر وغير ذلك، وأجاب عنها جميعاً، فقال: (إن رسول الله [ﷺ] لما وصف المهدي ﷺ بصفات متعددة من ذكر اسمه ونسبه ومرجعه إلى فاطمة ﷺ وإلى عبد المطلب، وأنه أجلى الجبهة أقتنى

١. نجم الدين العسكري / المهدي الموعود المنتظر / ص ٢٠٠ - ٢٠١ / نقلاً عن كتابه (الإتحاف بحب الأشراف) طباعة مصر صفحة ١٧٨.

٢. القندوزي الحنفي / ينابيع المودة / ج ٣ - ص ٣٠٦.

٣. محمد بن طلحة الشافعي / طالب السؤل في مناقب آل الرسول / ص ٤٨٠.



الأنف، وعدد الأوصاف الكثيرة... ثم وجدنا تلك الصفات المجعولة علامة ودلالة مجتمعة في أبي القاسم محمد الخلف الصالح دون غيره^(١)، وإجمالاً فهو يتكلم عن ولادة المهدي ابن الحسن العسكري عليه السلام كلاماً شديداً الأهمية، تنبغي مطالعته في كتابه هذا.

ثانياً: في من يقول بولادة الإمام المهدي عليه السلام من علماء الأنساب:

يتضح للمستقرئ أن علماء الأنساب ابتداءً من زمن الغيبة الصغرى، قالوا بوجود ولدٍ للإمام للعسكري عليه السلام وهو المهدي المنتظر عليه السلام، وهذا ما سيتضح جلياً في العرض الآتي لأقوالهم:

١ - النسابة سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان البخاري الذي عاصر الغيبة الصغرى: (ولد علي بن محمد التقي عليه السلام الحسن بن علي العسكري... وولد علي بن محمد التقي عليه السلام جعفر، وهو الذي تسميه الإمامية (جعفر الكذاب)، وإنما تسميه الإمامية بذلك لادّعاءه ميراث أخيه الحسن عليه السلام دون ابنه القائم الحجّة لا طعناً في نسبه)^(٢).

٢ - النسابة علي بن محمد العمري من أعلام القرن الخامس الهجري:

(ومات أبو محمد عليه السلام وولده من نرجس معلوم، عند خاصّة أصحابه وثقات أهله، وسنذكر حال ولادته والأخبار التي سمعناها بذلك، وامتحن المؤمنون بل كافة الناس بغيبته، وشره جعفر بن علي إلى مال أخيه وحاله، فدفع أن يكون له ولد، وأعانه بعض الفراعنة على قبض جواري أخيه)^(٣).

١. محمد بن طلحة الشافعي / طالب السؤؤل في مناقب آل الرسول / ص ٤٨٤.

٢. البخاري - أبي النصر / سر السلسلة العلوية / ص ٤٠.

٣. علي بن محمد العلوي العمري / المجدي في أنساب الطالبين / ص ١٣٠.

٣ - النسابة الفخر الرازي الشافعي - نسابة القرن الخامس - (ت ٦٠٦ هـ):

(أولاد الإمام العسكري عليه السلام: أمّا الحسن بن العسكري الإمام عليه السلام فله ابنان وبتنان. أمّا الابنان، فأحدهما: صاحب الزمان عليه السلام، والثاني موسى' درج في حياة أبيه. وأمّا البنتان، فاطمة درجت في حياة أبيها، وأم موسى' درجت أيضاً^(١)).

٤ - النسابة جمال الدين أحمد المعروف بابن عنبه (ت ٨٢٨ هـ):

(أمّا علي الهادي فيلقّب العسكري... وأعقب من رجلين، هما: الإمام أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام، وكان من الزهد والعلم على أمر عظيم، وهو والد الإمام محمد المهدي^(٢)).

وبهذا تخرج مسألة الإيمان بولادة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، وأنّه حيٌّ يرزق، عن دائرة اتهام الشيعة باختلافها وإقحامها في الفكر الإسلامي.

ثالثاً: حساب الاحتمال:

لقد اتضح لنا مدى كثرة الأخبار الواردة في شأن الإمام المهدي عليه السلام، وشأن ولادته وحياته، إنها كثرةٌ أخرجت تلك الأخبار من حيز البحث السني إلى ميدان التواتر المعنوي، وذلك بشهادة أهل الصناعة والفن في هذا المجال. ومن هنا فنحن إمّا أن نسلّم بكثرة هذه الأخبار وتواترها ووضوح دلالتها على الغيبة، ومعه فلا يمكن لأحد أن يجتهد في مقابلها، لأنّه اجتهد في مقابل النص، وإمّا لا نسلّم بالتواتر، ولكن بضميمة عوامل نشوء اليقين الخمسة بولادة المهدي والتي كنا قد ذكرناها، مشفوعةً بآراء علماء كبار لهم وزنهم في مدرسة الصحابة، وما ذكره النسابة من ثبوت بنوّة المهدي للحسن العسكري عليه السلام، بضميمة كل ما ذكر إلى هذه الأخبار الكثيرة، فلا يمكن الخروج عن أحد أمرين:

١. فخر الدين الرازي/ الشجرة المباركة في أنساب الطالبيّة/ ص ٧٨ - ٧٩.

٢. أحمد بن علي الحسيني (ابن عنبه)/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ١٩٩.

* إِمَّا التواتر، على تقدير التسليم بكثرة الأخبار وتواترها.

* أو اليقين، من خلال ضم القرائن على طريقة حساب الاحتمال.

الورقة الأخيرة:

من خلال هذا البحث الذي تقدّم عرضُه ثبتَ أن المهديّة لا ينبغي أن تبقى تُهمّة تلوّكها ألسنة الجهلة ليقذفوا بها أتباع أهل البيت عليهم السلام بغياً و جهلاً، رامين إياهم بالبدعة والخرف، إنها - كما اتضح - عقيدة إسلامية راسخة عند عامة المسلمين، سنة وشيعة، بل اتضح أنها عقيدة إنسانية أو بالأحرى ثقافة إنسانية عامة، وهذا إذا ما جمعناه مع ما بشرّ به النبي صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى، حيث بشرّ برجل من أهل بيته يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، إذا ما جمعناه مع تلك الثقافة الإنسانية العامة فإن الصورة تغدو جلية واضحة، يُلاحظ فيها انسجامٌ لا يخفى رونقه.

إن إخبار النبي صلى الله عليه وآله كان عن حاكم عالمي يصلح الأرض ويحكمها بدين عالمي معد للبشرية جمعاء مصداقاً لقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ (سبأ: ٢٨)، اقتضى أن يكون للبشرية ثقافة واحدة في هذا الشأن، صدرت عن خالق واحد مدبر ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)، لكي يكون الناس في ترقب لحدث سيحصل وإذا ما حصل فلن يكون بذلك غريباً عن مرتكزاتهم الفكرية وخلفياتهم الثقافية، إنه المهدي الذي جمع اسمه بين الهدى والمهد، وقُدِّر له أن يحكم الأرض التي جعلها الله للناس مهدياً، وسلك لهم فيها سبلاً ولعلمهم يهتدون، فالسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً.



ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

الثأر ثقافة الانتظار ولغة استرداد الحقوق

الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

مقدمة:

تدل جملة من الروايات الشريفة على أن الإمام المهدي عليه السلام عندما يخرج سيطلب بالقصاص والثأر من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، وواجهت هذه الروايات جملة من النقود وحاولت أن توجد بيئة تستهدف مفهوم الثأر إلى الحد الذي يوجب التشنيع والاستهجان على من يستعمل هذا المفهوم. وهذه الأوراق محاولة لتسليط الضوء على مفهوم الثأر ودوره في صناعة الثقافة المهدوية، كما ويتضمن الإجابة على جملة من الشبهات المثارة في هذا الصدد.

للوصول إلى المعاني، في العادة نستعمل طريق اللفظ، ومن هنا نحتاج إلى عملية ضبطه ليؤدي هذا الغرض، وأهل اللغة والقاموس نقلوا في الغالب الحثية الاستعمالية، ولا يترتب عليها حكم ما لم تقم قرينة على ذلك. فلا بد من بذل جهد في ضبط دلالة اللفظ على معنى محدد من أجل الوصول إلى تطابق الأحكام مع المراد، وفي العادة هذا الجهد مبذول من خلال إجراء عدة مقارنات بين الألفاظ المستعملة في المعنى وجملة من الشواهد على



قرب أحدها منه، ثم القيام بعملية صياغة اللفظ بقلب اصطلاحه واضح لتحصيل الأحكام المترتبة عليه.

ويقع البحث في تمهيد نبين فيه مصطلحات البحث، وهي (الثأر - الثقافة - الانتظار) ومحاور ثلاثة، هي:

المحور الأول: الثأر في الخطاب الإنساني.

المحور الثاني: الثأر ثقافة الانتظار.

المحور الثالث: شبهات حول الثأر المهدوي.

مصطلحات البحث:

الثأر لغة واصطلاحاً:

الثأر: (الدَّحْلُ الطلَب بالدم، وقيل: الدم نفسه...)^(١).

والظاهر أن مفهوم الثأر يختلف عند المجتمعات رغم أنه من أقدمها لديهم.

ويصعب إلى حدٍّ ما إيجاد تعريف لـ(ثأر) اصطلاحاً يتعد عن التركة السلبية التي تحملها هذا المفهوم، ولعل الأنسب أن يقال: الثأر حق عند شخص أو جهة يؤخذ قصاصاً، ويعد الأخذ بالثأر - ضمن نطاق (الجروح قصاص) - من العادات الاجتماعية، ومما يشهد على ذلك ما قيل:

يا خير معتمد وامنع ملجأً واعز منتقم وأدرك طالب^(٢).

فلا تخلو أمة من وجود حالات الثأر، يتجلى ذلك بأدنى مطالعة لتاريخ الأمم القديم والحديث، فإن مفردة الثأر من أدبيات كل أمة، وما ينبغي أن يقال هل هو ثأر انتقام أم ثأر نظام؟

فثأر أمة للدفاع عن عرضٍ مغتصب هو ثأر مقدس ودفاع مشروع، وثأر أمة للدفاع عن السيادة والعلم والوطنية والأمن ومقام الجلالة وما إلى ذلك

١. لسان العرب - ابن منظور - مادة ثأر.

٢. الأبيات لخويطة الرثامية القضاية.



هو دفاع مشروع تقرّه القوانين ويتبعه العقلاء في كل البلدان، وكما أن للدول مقدسات، وكذا للنظم الاجتماعية والعقلانية سيادة وهيبة، كذلك توجد مقدسات للنظم الدينية والديساتير الشرعية، والأشخاص القائمون على حفظ هذا النظام - أبرزهم الأنبياء والأئمة عليهم السلام - فانتهاك حقوقهم والتعدي عليهم من أوضح مصاديق انتهاك السيادة الدينية، والمطالبة بحقوقهم - أخذ الثأر - من أوضح مصاديق الدفاع المقدس وحفظ النظام.

الثقافة لغةً واصطلاحاً:

ورد في البحث مفهوم الثقافة ونحاول التعرف عليه بما يناسب البحث من خلال التوضيح التالي:

الثقافة لغة:

التثقف في اللغة هو سريع التعلم والتفهم^(١)، وتأتي بمعنى 'الظفر بالشيء'^(٢)، قال تعالى: ﴿فِيمَا تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ (الأنفال: ٥٧) وكذلك يأتي بمعنى 'تقويم الشيء'^(٣)، كما وتأتي بمعنى 'الحاذق الفطن'^(٤).

الثقافة اصطلاحاً:

المعنى المتداول للثقافة هو تعبير عن مقدار ما تملكه البشرية في مجتمع معين من إمكانات ومؤهلات ترتقي بالمجتمع وتسمو به، على اختلاف في مصاديق ذلك إلى حد كبير. ففي الوقت الذي تعد المعايير الأخلاقية وتطورها ومقدار تجسيدها من قبل الناس معياراً لقياس الثقافة عند بعض المجتمعات، يُعد التطور المادي من العمران والخدمات والبنى التحتية هو معيار الثقافة الوحيد عند البعض الآخر، فيما تعد مجتمعات ثالثة أن الثقافة الرفيعة هي التي توجد

١. العين - الخليل بن أحمد الفراهيدي (توفي ١٧٠ هـ)، مادة - ثقّف.

٢. تهذيب اللغة - أبو منصور الأزهرى (ت ٣٧٠) مادة ثقّف.

٣. المصدر السابق.

٤. منتخب الصحاح - أبو نصر الجوهري (ت ٣٩٣).



في مجتمع يتداول أفرادُه ثقافة الرقص والموسيقى وما إلى ذلك، فيما يرى آخرون أن الثقافة هي المزيج من كل ذلك، فكل مجتمع يرى معيار الثقافة مختلفاً عن غيره ويرى أن معيارها عنده هو المعيار الرفيع.

أمّا معنى الثقافة في الأفراد فهو تعبير عما يملكه من قدرات ومؤهلات على اختلافٍ في تحديد تلك المؤهلات، ففي حين يُعدّ العرق مؤهلاً، يعدّه آخرون عنصرية، نعم لم نجد من يختلف على أن من أهم المؤهلات الثقافية هو ما يملكه الفرد من قدرات معرفية ومؤهلات علمية، وهذا ما ينسجم مع تعريف الثقافة لغةً الواردة على لسان الخليل أبي نصر، وقد يكون تعريف الأزهري ناظراً إلى الثقافة لدى المجتمع.

والأنسب في تعريف الثقافة أن نقول: هي ما يملكه المجتمع أو الفرد من قيم ومبادئ تنبع من عاداته وتقاليده، فإذا تجسدت ومرّ عليها زمان صارت ثقافة. كما وتعد الثقافة من أهم مفردات علم الانثروبولوجيا الذي يُعنى بدراسة الإنسان وسلوكه الفردي والاجتماعي^(١).

والسؤال الجدير بالمتابعة هو من أين جاءت هذه العادات والتقاليد التي ارتقت وتطورت ووصلت إلى ما نشاهده اليوم؟

فهل هي وليدة تعاليم السماء على يد المرسلين؟ أو هي مع انضمام التجارب التي قام بها البشر طيلة هذه الفترة الزمنية الطويلة؟

الرأي السائد يرى أن ثقافات الشعوب التي عاشت تجارب الأنبياء كانت الأوفر في بناء ثقافة نابعة من أسس محكمة ومؤطرة بإطار معرفي وسلوكي رصين، وفيما يرى آخرون أن هذه الثقافات نشأت وتطورت بمعزل عن تراث السماء ووصايا الأنبياء ﷺ وأن من الموروث الذي لا يتجزأ عن الكثير من

١. مدخل إلى علم الإنسان - د. عيسى الشماس - صفحات مختلفة.



الشعوب هو الممزوج بالغناء والموسيقى والميوعة والخروج عن إطار الأديان في بناء الثقافة.

والمقصود من الثقافة في محل الكلام هي: التي تأتي لتقوم الشيء بمعنى إزالة الفهم الخاطيء في مفهوم الانتظار والعلامات مثلاً على ما ذكره الأزهرى، وليست التي بنيت طيلة قرون، وهذا المعنى من الثقافة ما تشير إليه جملة من روايات الظهور وما يقوم به الإمام ﷺ عند ظهوره.

الانتظار لغة واصطلاحاً:

الانتظار في اللغة:

قال الفراهيدي^(١) في مادة (نظر):

نظرت فلاناً وانتظرته... تمهلت.

وقال ابن فارس^(٢) (نظر): النون والطاء والراء، أصل يرجع فروعه إلى

معنى واحد وهو تأمل الشيء ومعاينته ثم يستعار ويتسع...

ويقولون نظرته أي انتظرته وهو ذلك القياس كأنه ينظر إلى الوقت الذي يأتي فيه.

هذا فيما يخص اللغة، أما الاصطلاح:

في البداية نبين أن التعريفات الاصطلاحية:

ويقصد بها التعريفات الصادرة من أهل الاختصاص في هذا العلم أو ذلك، وفي هذا الصدد يمكن لنا أن نعرف الانتظار كما هو عن جملة من علماء النفس بأنه طبع بشري تتدخل فيه عدة عناصر إدراكية وسلوكية، لنسمها بالانشداد إلى شيء معين وترقب حصوله، نعم يختلف من قضية إلى أخرى، كما يختلف أسلوب الانتظار ودرجاته.

١. الخليل بن أحمد الفراهيدي - كتاب العين - مادة نظر.

٢. ابن فارس - أبو الحس أحمد بن فارس - معجم مقاييس اللغة، مادة نظر.



وإذا رجعنا إلى تعريف ابن فارس وجدنا أن الانتظار يقوم على الأمل بالشيء المنتظر وكأنك تعينه، لاحظ معي التعريف من جديد فهو يقول: (تَأْمُلُ الشَّيْءَ وَمَعَايِنْتَهُ) ففي حالة كونك منتظراً للشيء أي إنه بعيد عنك وبينك وبينه مسافة وزمان، أنت في ذات الوقت تعينه، أنت منتظر تعين ما تنتظر (كأنك تراه)، ففي وقت عدم رؤيته فعلاً فكأنه يراه ماثلاً أمامه. وبهذا تتمكن من إيجاد مقارنة بين ما ذكر لغة وما ذكر اصطلاحاً بأن نقول: إن الانتظار حالة توجب ترقب إلى ما خفي وتجعلك تعينه.

وإذا قصد به الانتظار المتعلق بالإمام المهدي عليه السلام وهو تعريف شرعي لهذا النحو من الانتظار، فينبغي أخذه من الروايات الشريفة التي تناولته، إذ إن تحديد المفاهيم تارة يناط بالعرف فقط، وتارة يناط بالشرع - مُخْتَرَعٌ شرعي - فقط، وتارة تحصل عملية تليفق، فالموضوع موجود لدى العرف لكن الشارع أضاف إليه قيوداً أو حذف أخرى، والانتظار من القبيل الثالث، وحينئذ نقول: بعد أن تبين لنا سابقاً أن تعريف الانتظار (ترقب ما خفي عنك كأنك تعينه). نستعرض جملة من الروايات لبيان معنى الانتظار:

١ - روى الشيخ الكليني ^(١) بسنده عن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إِنَّ لِلْغُلَامِ غِيَّةً قَبْلَ أَنْ يَقُومَ...» ثم قال عليه السلام: «يَا زُرَّارَةَ، وَهُوَ الْمُنْتَظَرُ، وَهُوَ الَّذِي يُشَكُّ فِي وِلَادَتِهِ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: مَاتَ أَبُوهُ بِلَا خَلْفٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: حَمَلٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ وُلِدَ قَبْلَ مَوْتِ أَبِيهِ بِسِتِّينَ، وَهُوَ الْمُنْتَظَرُ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يَمْتَحِنَ الشَّيْئَةَ...» ^(٢).

١. الكافي - الشيخ محمد بن يعقوب الكليني عليه السلام: ج ١، ص ٣٣٧، عن علي بن إبراهيم (ثقة) عن الحسن بن موسى الخشاب (ثقة من وجوه أصحابنا) عن عبد الله بن موسى (وهو من ورد في إسناد تفسير القمي، وهو وإن لم يوثق صريحاً إلا أنه يمكن اعتبار حاله إما من هذه الجهة أو من جهة اعتماد الشيخ المفيد عليه)، عن عبد الله بن بكير (ثقة - فطحي) عن زرارة بن أعين (ثقة)، فالرواية معتبرة. ٢. وروى بطريق آخر أيضاً، نفس المصدر: ج ١، ص ٣٤٢.



٢ - روى الشيخ الصدوق^(١) بسنده عن زرارة بن أعين قال: قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن للقائم غيبة قبل أن يقوم...»، ثم قال: «يا زرارة وهو المنتظر وهو الذي يشك الناس في ولادته...».

٣ - روى الشيخ النعماني بسنده عن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن للقائم غيبة قبل أن يقوم...» ثم قال: «يا زرارة وهو المنتظر... وهو المنتظر غير أن الله يحب أن يمتحن قلوب الشيعة...»^(٢).

١. كمال الدين - الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق عليه السلام: ص ٣٧٠، والرواية رواها عن أحمد بن محمد بن يحيى العطار عليه السلام (ثقة) عن سعد بن عبد الله (ثقة) عن أحمد بن محمد بن عيسى (ثقة) عن عثمان بن عيسى الكلابي (ثقة - واقفي) عن خالد بن نجح (وهو من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وعده النجاشي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وعده البرقي من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليه السلام، لم ينص على وثاقته ويمكن توثيقه بعدة وجوه، منها:

١ - ما رواه الكشي من خدمته لأبي الحسن عليه السلام، وقيل بعدم كفايته على الوثاقة، بل عدم دلالة. ٢ - إنه من أصحاب الكتب، ويوجد مبنى بتوثيق من له كتاب، وعليه نقوض ذكرت في محلها. ٣ - إن كتابه معروف ويروي عنه الصدوق مع التزامه بأنه لا يروي إلا عن هو معروف مشهور، وفيه: عدم كفايته، لو سلم أن له كتاباً أصلاً وأنه معروف. ٤ - إنه روى عنه الأعظم كعثمان بن عيسى وغيره، ورواية الأعظم عنه تنافي جهالته وضعفه، وفيه: أنه مبنى لمن يقول به.

٥ - إنه روى عنه أصحاب الإجماع كابن أبي عمير وغيره وهم لا يروون إلا عن ثقة، وله وجه عند المشهور، إلا أنه مناقش بعدة مناقشات ليس محل ذكرها هنا.

٦ - إن للصدوق إليه طريقاً صحيحاً وقيل بكفاية ذلك للتوثيق، وهو مبنى لمن يقبل به.

٧ - إنه ورد في (١٧) مورداً وهي كافية للحكم بوثاقته، ويرده: قلتها بالقياس إلى غيره ممن أكثر ولم يوثق. والإنصاف أن هذه الوجوه مجتمعة توجب القول بوثاقته ولا أقل من الاعتماد على روايته خصوصاً أن مورد الرواية مما يمكن فيه ذلك إذ يتحدث عن غيبات لا علم له بها لكي يضعها (وهذا بحث له محله) فلا أقل من قبول هذا المورد.

٢. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني المتوفي حدود سنة (٣٦٠هـ) وطريقه إليها: عن محمد بن همام (ثقة)، عن جعفر بن محمد بن مالك (فيه توثيق وتضعيف وهو من رواة تفسير القمي)، عن عباد بن يعقوب (ثقة على كل تقدير) عن يحيى بن يعلى (من رواة الشيعة في كتب العامة ويوثقونه)، عن زرارة (ثقة ثقة)، وقد رويت في عدة مصادر وبأسانيد مختلفة.



والذي يظهر أنها رواية واحدة، فانتهاء الأسانيد إلى زرارة بن أعين وتقارب ألفاظ النقول بشكل كبير يقرب احتمال وحدتها، إذ من المستبعد من أمثال زرارة أن يسأل عن واقعة واحدة أكثر من مرة، بل الرواية تبرع بالحديث من الإمام عليه السلام أمام زرارة فلا وجه لتكرار الحديث عن نفس الحادثة بألفاظ متقاربة، بل مكررة.

وتقريب دلالتها أن الأئمة عليهم السلام ينزلون الإمام المهدي عليه السلام منزلة المنتظر، فلاحظ تعبيرهم (وهو المنتظر).

ومع رجوعنا إلى تعريف الانتظار المتقدم (ترقب ما خفي عنك كأنك تراه) نلاحظ:

١ - أن تعريف الانتظار يحتاج متعلقاً، وإلا فلا معنى لحصول حالة الانتظار دون أن يكون لها متعلق تتعلق به، أي أن الانتظار من المعاني الإضافية.

٢ - أن الأئمة عليهم السلام يحددون هذا المتعلق، ويقدمون للمتظرين مُنتظراً عقائدياً هو الذي ينبغي أن يُنتظر.

٣ - إن الصفات التي تتحدث عنها الروايات والتي انطبقت على الإمام عليه السلام من كونه غائباً، وسيظهر تجسيد واقعي لتعريف الانتظار (ترقب ما خفي عنك كأنك تراه).

ونلاحظ أن بعض الأصحاب عندما سمع أن اسم الإمام عليه السلام هو المنتظر سأل عن سبب التسمية وكأن هناك حالة من المفروغية في ثبوت التسمية من خلال الانتقال إلى علتها، فهذا ابن أبي دلف عندما سمع الإمام الرضا عليه السلام يتحدث عن الأئمة عليهم السلام بعده ولما وصل إلى الإمام المهدي عليه السلام سآه بقوله: «... أن من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر» فقال له ابن أبي دلف: «... ولم سمي المنتظر»، فأجابه الإمام الرضا عليه السلام بقوله: «... لأن له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ويستهزئ بذكره الجاحدون



ويكذب فيها الوقتون ويهلك فيها المستعجلون، وينجو فيها المسلمون»^(١)، فثبت اسم المنتظر له مما لا ريب فيه، وثبتت صفة المنتظر لمن ينتظر ظهوره بعد غيبته أيضاً مما لا شك فيها روائياً كما لاحظت.

وإذا أردنا التبع روائياً في هذا المفهوم وما أضافت عليه من آثار تكوينية واعتبارية نلاحظ أنها نزلت المنتظر - للإمام الغائب عليه السلام - منزلة سامية، حيث وصفته بالعديد من الأوصاف.

وهناك جملة من الروايات التي ذكرت تلك الصفات لهم، ومنها:

ما ورد في رواية طويلة عن الإمام زين العابدين عليه السلام حيث جاء فيه: «... إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان لأن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسيف، أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله صلى الله عليه وآله وسلم سراً وجهراً...»^(٢).

والرواية تفيد:

١ - أنهم أفضل أهل كل زمان، وهو بعد نفسي إيجابي كبير كما هو بُعد فكري وعقائدي.

٢ - أعطاهم الله تعالى العقول التي ترى الغيب شهادةً.

٣ - أعطاهم الله تعالى الأفهام والمعرفة التي ترى عالم ما وراء المادة وتتبر به.

٤ - هم بمنزلة المجاهدين بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهم مجاهدون حقاً بانتظارهم، وهو تنزيل على غرار (الطواف بالبيت صلاة)، فيكون الانتظار جهاداً بالسيف مع المغايرة بين المفهومين كما هو واضح^(٣).

١. كمال الدين - الشيخ الصدوق: ص ٤٠٦، ح ٣.

٢. لقراءة الحديث وهو من روائع الأحاديث، راجع كمال الدين ونظام النعمة للشيخ الصدوق: ص ٣٤٧-٣٤٨، ح ٢.

٣. عوالي اللئالي - الإحسائي: ح ١، ص ٢١٤، ح ٧٠.

- ٥ - وهم المخلصون حقاً، وهذا تنزيل عقائدي في أعلى مراتب الصفات الكمالية التي يسعى من أجلها المؤمن.
- ٦ - وهم شيعتنا صدقاً، وهذا التنزيل مما لا يضاويه شيء لمن يقرأ الروايات التي تتحدث عن صفات الشيعة.
- ٧ - وهم الدعوة إلى دين الله تعالى سراً و جهراً، فهم منزلة منزلة أعظم وظيفة على الإطلاق: الدعوة إلى الله تعالى.
- وفي نفس المصدر^(١) نجد أن الإمام الصادق عليه السلام يصفهم بأنهم: «... أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون».
- وفي روايات أخرى تصف انتظارهم بالعبادة وأنه أفضلها، بل أحب الأعمال إلى الله تعالى، فهي في ذات الوقت الذي نزلته منزلة العمل العبادي جعلته أفضل العبادات وأحبها إلى الله تعالى، ومن روايات هذه الطائفة:
- ١ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «... انتظار الفرج عبادة»^(٢).
- ٢ - وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً: «انتظار الفرج بالصبر عبادة»^(٣)، وهو قد يفهم منه التقييد بالصبر، ويمكن القول: إنه يتحدث عن رتب مختلفة لعبادة الانتظار، ولكل رتبة منها مقتضياتها.
- ٣ - وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً: «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله تعالى»^(٤)، وهي تتحدث عن كون الانتظار أفضل الأعمال الواقعة والصادرة من أمة النبي صلى الله عليه وآله، سواء كان عبادياً أم لم يكن.
- ٤ - عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أفضل العبادة انتظار الفرج»^(٥).

١. كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص ٣٨٥.

٢. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٢٢، نقلاً عن أمالي الطوسي.

٣. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٥٢، ص ١٤٥، نقلاً عن دعوات الراوندي.

٤. كمال الدين وتمام النعمة: ص ٦٧٢.

٥. كمال الدين وتمام النعمة: ص ٣١٥.



وروي عن الإمام موسى بن جعفر عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ قال: انتظار الفرج»^(١)، وقد أطلق لفظ «أفضل العبادة» متعلقاً بأشياء كثيرة، منها:

«وأفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج»^(٢)، كما ورد هكذا «أفضل العبادة الصبر والصمت وانتظار الفرج»^(٣)، وورد في نص آخر: «أفضل العبادة شيئان: الصبر وانتظار الفرج»^(٤).

وكيف ما كان فلا يضر أن يكون للعبادة موارد عديدة هي أفضل من غيرها مع فضل الموارد الأخرى.

حقيقة التنزيل للانتظار:

عندما تقول الروايات: إن الانتظار عبادة، فهل هذا تنزيل حقيقي أو ادّعائي؟

وبلحاحظ أي أثر من آثار العبادة يريد الشارع المقدس أن ينزل الانتظار؟

تقدمت عدة طوائف من الروايات نزلت الانتظار منزلة الفرج وأن المنتظرين كالمجاهدين وأنهم أولياء الله تعالى حقاً وغيرها، وكلامنا في التنزيل ليس مع تلك العناوين مع ما لها من الأهمية، إنما مع التنزيل بلحاظ العبادة والعمل، فالانتظار في نظر الروايات عمل، بل أحب الأعمال، وعبادة، بل أفضلها - أو من أفضلها - فما هي حقيقة هذا التنزيل وما هي آثاره؟

العبادة لين وذل^(٥).

وتختلف باختلاف متعلقها، فكما تتعلق العبادة بالعمل الذي فيه ذل ولين كالركوع والسجود، تتعلق بالعقائد - فمن يخضع ويذل إلهياً وربوبياً فهو عبد

١. معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ص ١٩٩.

٢. تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص ٤٠٣.

٣. تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص ٢٠١.

٤. معدن الجواهر للكراچكي: ص ٢٦.

٥. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس: ج ٤، ص ٢٠٥، مادة (عبد).

على مستوى العقيدة - كذلك هو على مستوى الفكر أو الكلام الذي يخضع فيه ويذل، وهكذا في غيرها.

فكل خضوع وذل ناشئ من اعتقاد بحقانية الشيء الذي نخضع له حقيقة أو اعتباراً عبادة.

ويمكن أن يقال: إنها هي اندكك إرادة العبد التكوينية الاختيارية في إرادة المولى الاعتبارية. بمعنى أن العبد لا بد أن ينقاد إلى الله تعالى في كل صغيرة وكبيرة في وجوده لله تعالى، وهو معنى التوحيد في العبادة والتوحيد في التشريع.

وإذا تبين هذا، فيمكن القول: كأن الأحاديث المتقدمة التي نزلت الانتظار منزلة العبادات بل أحبها وأفضلها تريد القول:

كما أن الصلاة أو الجهاد عمل قلبي، وعقدي^(١)، وجوارحي، كذلك الانتظار هو عمل عبادي يشتمل على كل هذه الأمور.

فالانتظار عمل منزل منزلة العبادة مطلقاً، نعم لم يدل الدليل على أن له شرائط من قبيل الطهارة كما في الصلاة ولا الاستطاعة كما في الحج وبلوغ النصاب كما في الزكاة، فأفضل الأعمال ما أخذ فيه قصد القربة لله تعالى وإن لم يطلب كما في أداء الخمس مثلاً.

كيف يتحقق الانتظار؟

بعد ما تقدم من معنى الانتظار يتبين أن له عدة مراتب تحدثت الروايات عن أسماها، فعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال ذات يوم: «ألا أخبركم بما لا يقبل الله تعالى من العباد عملاً إلا به»؟ فقلت: بلا، فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده، والإقرار بما أمر الله، والولاية لنا، والبراءة من

١. إذ إن الصلاة لم تأت إلا بعد الاعتقاد بتوحيد الله تعالى والإيمان بالأنبياء والرسل، وأن الله تعالى واحد في التشريع وتجب طاعته، هذه المقدمات العقائدية والإيمان بها هو الذي جعلنا نمثل الصلاة وغيرها من العبادات ونأتي بها كجزء من أعمالنا العبادية.



أعدائنا - يعني الأئمة خاصة -، والتسليم لهم، والورع والاجتهاد والطمأنينة، والانتظار للقائم عليه السلام، ثم قال: «إن لنا دولة يجيء الله بها إذا شاء»، ثم قال: «من سرّه أن يكون من أصحاب القائم المنتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدوا وانتظروا، هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة»^(١).

فلاحظ أن الحديث أكد على أن مما لا يقبل الله تعالى العمل إلا به هو الانتظار، وقد ذكرت موارد تحققه صريحة.

الخلاصة:

فيتلخص مما تقدم أن الثأر لغة دينية للمطالبة بالحقوق المسلوقة للذوات المقدسة، والثقافة تأتي لإيضاح تلك الحقوق وكيفية إرجاعها من خلال الانتظار، يبقى علينا الآن أن نفهم كيف تحدثت الروايات عن هذا الثأر وكيف جسدت لغة الأخذ به كثقافة دينية وما هي الشبهات التي تثار حول هذه القضية وكيف يتم دفعها، وهذا ما نتحدث عنه مفصلاً ضمن محاور ثلاثة:

المحور الأول: الثأر في الخطاب الإنساني والديني، وفيه نقاط:

النقطة الأولى: الثأر عند الأمم ومراحل تطوره:

ثقافة الثأر في المجتمعات من القضايا الواضحة، فإن التاريخ البشري شهد العديد من الصراعات التي نجمت عن طلب الثأر، وهذا الثأر نجم عنه صراع آخر وهكذا.

فالثأر غريزة بشرية لا يخلو منها أحد، وإن كان العقلاء والحكماء يروّضون هذه الغريزة ويجعلونها في دائرة النفع والفائدة.

ثقافة الثأر موجودة لدى جميع المجتمعات الإنسانية، نعم هي تتعنوان بعنوان القانون فتكون قصاصاً وبمعنوا الانتقام فتكون ثأراً، فلولا الثأر القانوني

١. كتاب الغيبة للشيخ النعماني: ص ٢٠٥.

أو الانتقامي لما انتظمت الحياة ولأصبحت غابة، وكان الطغاة والمجرمون والسراق هم السادة على البشرية.

نعم تجاوز الحد في الانتقام خلف العديد من الكوارث في الصراعات وعلى جميع الجغرافيات.

فإذا قرأنا التاريخ الإنساني فإننا لا نجد أي استثناء، فلم يخل زمان أو مكان من حوادث الثأر.

حتى في التاريخ الحديث للأمم التي تدعي الرقي والتطور نجد حالات الثأر والانتقام بوضوح، ويكفي في هذا الصدد ما حصل من قبل الأمريكيين مع اليابانيين والانتقام منهم بسبب الهجوم على (بيرل هاربور)^(١)، كما أن أغلب ما قام به النازي هتلر هو عمليات ثأر وانتقام لما لحق به من ذل وهوان في معاهدات سابقة، وهكذا لمن يتصفح تاريخ الأمم الأوروبية، والأمريكية وغيرها سواء الحديثة منها أم القديمة^(٢).

أمّا الأمثلة على واقع ذلك في القبائل العربية التي كان يحكمها النظام القبلي فكثيرة، قد سطرها التراث الشعري والنثري للعرب قبل الإسلام، أمّا بعده فمن تسلط على رقاب المسلمين بعد النبي ﷺ، جسد مبدأ الثأر والانتقام من العائلة النبوية بوضوح، وواقعة الطف أجلى مصداق.

ويبدو أنه عندما نرجع إلى أوليات مبدأ الثأر نجد أنه وُضِعَ كقانون يحمي الفرد من أن يؤخذ غيلة وغدراً من قبل أقرب مقربيه^(٣).

١. غارة جوية نفذتها القوات اليابانية عام (١٩٤١م) على الأسطول الأمريكي في المحيط الهادئ، أسفر

الهجوم عن قتل ما يقرب من (٣٠٠٠) شخص، فكان الرد الأمريكي ثأراً قاسياً.

٢. تشير بعض الدراسات إلى أن خمس الكرة الأرضية كان يعيش النزاعات وحروب الأخذ بالثأر في منتصف القرن الماضي.

٣. الثأر طبيعة بشرية أم نظام اجتماعي - الدكتور قاسم عبده قاسم - مقال منشور من قبل دار عين للدراسات، بتصرف.



فنظام الثأر قانون يحمي الفرد، وتطور بتطور الأفراد والمجتمعات، فتوسع ليدخل في نطاق العشيرة أو القبيلة أو السلطة لكي تحميه من وقوع الأذى والإهانة أو التعدي على حقوقه أو الاعتداء عليه، فالثأر الذي سنّه الأفراد لحفظ نفوسهم وممتلكاتهم واعتباراتهم، تطور إلى قانون عام ينشده وينادي به الجميع ليحقق العدالة لهم، فعامل حفظ التوازن في هذه الحياة يكمن في القانون الذي ترجع بنيته إلى حفظ الحقوق المتمثل بأخذ الثأر ممن يتناول على الآخرين بعقوبات جزائية مختلفة حسب القوانين والأعراف والتقاليد، فالثأر في وجه من وجوهه هو في الحقيقة الوجه غير المرئي للقصاص الذي به حياة الأفراد والمجتمعات.

النقطة الثانية: الثأر مقولة حق:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا﴾ (الإسراء: ٣٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ (البقرة: ١٧٩)، وقال تعالى: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ (المائدة: ٤٥).

يظهر من هذه الآيات وأمثالها أن شرع الإسلام - بل كل شرع - قد سن في قانونه نظام العقوبة، بل إن العقوبة هي حياة النظام، ولإقامة نظام القصاص أصول وقواعد من الشهود والبيّنات والتثبت في إثبات الحقوق، ثم يأتي دور القصاص في استرداد الحقوق.

النقطة الثالثة: الثأر والقصاص عند أهل الكتاب:

الكتاب المقدس يقول الكثير بشأن الانتقام، وتحمل الكلمات العبرية واليونانية المترجمة (نقمة) أو (انتقام) أو (ثأر) فكرة العقاب في معناها الأصلي، ومما ورد بشأن ذلك في وصية الرب لموسى وأمره بالانتقام: (وأمر الرب

موسى: انتقم نقمة لبني إسرائيل من المديانيين)^(١)، وفي سفر صموئيل الأول (١٤-٣٢): (وثار الشعب على الغنيمة، فأخذوا غنماً وبقراً وعجولاً، وذبحوا على الأرض وأكل الشعب على الدم)، وتنقل لنا بعض عبارات المزامير عبارات الانتقام: (خاصم يا رب مخاصمي، قاتل مقاتلي، امسك مجناً وترساً وانهض إلى معونتي، واشرع رحماً وصد تلقاء مطاردي، اقض لي يا الله، وخاصم مخاصمي، بك ننطح مضايقيننا بسمك ندوس القائمين علينا)^(٢).

وفي معجم اللاهوت الكتابي يقول: (الانتقام في لغتنا اليوم يعني إيقاع العقاب على التعدي بالرد على الشر بالشر، أمّا في لغة الكتاب فيشير الانتقام أولاً إلى استعادة البر، وإلى الانتصار على الشر... كان على أعضاء القبيلة، في المجتمعات الرّحل التي كان إسرائيل منها عند نشأتها، أن يتبادلوا تولى الحماية والدفاع عن ذواتهم، أمّا عند حدوث قتل إنسان فكان ولي الدم ويعرف عندهم باسم (جويل) هو الذي يأخذ بثأر القبيلة فيقتل القاتل (عدد ٣٥/٢١) غير أنه بجانب باعث التضامن، كان ثمة اقتناع بأن الدم المسفوك، كدم هابيل، يقتضي الثأر (راجع تكوين ٤/١٠، أيوب ١٦/١٨) على هذا النحو كان ينبغي صيانة العدل، وحتى بعد أن صار إسرائيل شعباً حضرياً فقد حافظ على هذه العادة (راجع صموئيل ٣/٢٢-٢٧)، وقد يقال عن يوم الرب أنه يوم الانتقام (إرميا ٤٦/١٠)، حينئذ سيثأر الله للعدل كما سيثأر لشرفه، وبهذا المعنى يمكن القول بأن الله وحده يستطيع أن ينتقم (لنفسه) بر، عدل، خلاص، انتقام: ذلك ما سيأتي به يوم الرب (إشعيا ٥٩/١٧-١٨) فبقدر ما يكون شعب إسرائيل أميناً على العهد، يستطيع أن يرفع شكواه إلى (جويل) إلى (إله النقمات))^(٣).

١. موقع إجابات أسئلة كتابية (gotquestions)، حول سؤال: (ماذا يقول الكتاب المقدس بشأن الانتقام؟).

٢. المزمور (٥/٤٤) و(١/٤٣) و(١/٣٥-٣).

٣. في موقع البشارة - الموسوعة المسيحية العربية الالكترونية.



النقطة الرابعة: الثأر والقصاص في الآيات والروايات:

لقد تحدثت جملة وافرة من الآيات في الذكر الحكيم عن القصاص والثأر وقد مرت عليك في ثنايا البحث، أما الروايات في ذلك فهي كثيرة، وقد بوب أهل الحديث والأخبار تلك الأحاديث في عدد من الأبواب نطل على الأهم منها، لنستشف منها الاهتمام البالغ في الشريعة لقضية القصاص والأخذ بالثأر وضرورة ضبط ذلك في إطاره الذي يحفظ البشرية من الانجراف وراء التعصبات والأحقاد.

الأبواب في كتب القصاص^(١):

منها: باب أحكام الأمر بالقتل أو الإمساك للقتل وغيرها من أنواع الإعانة أو التعاون على القتل.

ومنها: أبواب إثبات القتل من الإقرار والإشهاد والرؤية لعملية القتل، أو وجدان المقتول، والقتل على التهمة وغيرها.

ومنها: أبواب القتل الخطأ واختلاف الديات والجروح والاعتداءات والتي تتحدث عن المئات من التفاصيل من القتل العمد، أو الخطأ أو بالجناية أو القصاص أو قطع الأعضاء أو جرحها أو خدشها، بل تعدت الأحكام إلى شهود الزور، وتفاصيل الديات ومقدار الغرامات وتحديدتها بشكل متناهي الدقة بما يضمن إرجاع الحقوق إلى ذويها حتى وصلت إلى دية الظفر.

ومنها: أبواب قتل الحيوانات والضمانات المترتبة عليها واختلاف تلك الغرامات بين أنواع الحيوانات وكيفية الاعتداء عليها.

ومن بين تلك الأحاديث الكثيرة التي تضمنتها الأبواب الآنف الذكر:

١. وسائل الشيعة - الشيخ الحر العاملي: ج ٢٩، ص ٩-٤٠٤.



- ١ - عن أبي جعفر عليه السلام: «أول ما يحكم الله فيه يوم القيامة، الدماء»^(١).
- ٢ - عن أبي عبد الله عليه السلام: «... إياكم وقتل النفس الحرام بغير حق، فإن من قتل منكم نفساً في الدنيا قتلته مائة ألف قتلة مثل قتلة صاحبه»^(٢).
- ٣ - عن أبي عبد الله عليه السلام: «يجيء يوم القيامة رجل إلى رجل حتى يلطخه بالدم والناس في الحساب، فيقول: يا عبد الله مالي ولك؟ فيقول: أعنت عليّ يوم كذا وكذا بكلمة فقتلت»^(٣).
- ٤ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لو أن رجلاً ضرب رجلاً سوطاً لضربه الله سوطاً من نار»^(٤).
- ٥ - عن علي بن الحسين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٧٩)، «... لأن من هم بالقتل فعرف أنه يقتص منه فكف لذلك عن القتل كان ذلك حياة الذي هم بقتله وحياة لهذا الجاني الذي أراد أن يقتل وحياة لغيرهما من الناس إذا علموا أن القصاص واجب لا يجترون على القتل مخافة القصاص»^(٥).
- ٦ - وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث يقول فيه الراوي: سألته عن رجل قتله القصاص، له دية؟ فقال: «لو كان ذلك لم يقتص من أحد»، وقال: «من قتله الحد فلا دية له»^(٦)، وفي نص آخر: «من اقتص منه فهو قتيل القرآن»^(٧).

١. الوسائل: ج ٢٩، ص ١٢، ح ٦.

٢. الوسائل: ج ٢٩، ص ١٥، ح ١٥.

٣. الوسائل: ج ٢٩، ص ١٨، ح ٣.

٤. الوسائل: ج ٢٩، ص ٢٣، ح ٧.

٥. الوسائل: ج ٢٩، ص ٥٣، ح ٦.

٦. الوسائل: ج ٢٩، ص ٦٣، ح ١.

٧. الوسائل: ج ٢٩، ص ٦٤، ح ٩.



وهذه الأحاديث ظاهرة بل بعضها صريح في أن الشريعة الإسلامية أقرت القصاص وأن به حياة الناس ونظام المجتمع وردعاً للاعتداء، وأنها نظمت عملية العقاب وردع المخالفة وحفظ النظام الفردي والاجتماعي بدقة عالية، ووضعت لكل اعتداء مهما صغر حجمه عقاباً يناسبه فضلاً عن العقاب الشرعي بالحرمة والأخروي بعقوبات مختلفة ذكرتها الروايات مفصلاً وأشارت النصوص السابقة إلى بعض منها.

النقطة الخامسة: الثأر في التراث الإنساني:

لا شك أن القصاص والأخذ بالثأر قضية ولدت مع الإنسان، فلم يخل مجتمع من المجتمعات عن قصص الثأر، وقد سجّل التراث الإنساني هذه القصص بأشكال وألوان عديدة، ولسنا هنا بصدد البحث البيلوغرافي عن ذلك، وإنما الإشارة إلى أن الاقتصاص من المعتدي والأخذ بالثأر ركيعة من ركائز المجتمع البشري وثقافة من ثقافته المتعددة وهي ممتدة بامتداده، وجسدها الكتابات التي تحدثت عن التراث الإنساني عندما نظّم قضايا الأخذ بالثأر وسن مختلف القوانين لردع ذلك، وتقدم قبل سطور حديث الأديان السامية عن هذه المفردة، فمفردة الثأر قبل تحولها إلى لغة قانونية هي الحامي للبقاء الإنساني.

لذلك نجد أن التراث البشري سجّل لهذه المفردة الحضور اللافت على مستوى القصة والقصيدة والكتاب، وضمّنها موروثه الاجتماعي بالنحت على الجدران والمباني العامة والخاصة، فمثلت له الوجودات التي حققت العدل وأخذت بالثأر قدوة مجسدة ومثالاً يحتذى به، فيما مثل الاستحواذ والتعدي والظلم أمثلة سيئة في التاريخ البشري.



ومن يرغب بالاطلاع على التراث البشري في هذا الصدد يجده ماثلاً أمامه دون عناء^(١).

النقطة السادسة: الثأر وعقوبة الإعدام في مسلات القوانين:

نعتمد في هذه القراءة على ما صدر من الأمم المتحدة في إطار سلسلة اجتماعات - بين عامي (٢٠١٢-٢٠١٤م) - عقدتها المفوضية السامية لحقوق الإنسان تناولت فيها عقوبة الإعدام وخلفياتها وما إلى ذلك، وجاء من ضمن البحوث المنشورة^(٢) بحث حمل عنوان (أديان العالم وعقوبة الإعدام) نقبَس منه عدة مواضع:

عند البوذية:

(... تشير الأدلة إلى أن معظم دول جنوب شرق آسيا طبقت عقوبة الإعدام قبل وقت طويل منذ نشوء البوذية وانتشارها في الهند في فترة (٤٠٠) إلى (٥٠٠) سنة قبل الميلاد).

(توموكو ساساكي)، وهو عضو سابق في البرلمان الياباني تناول موضوع القصص بقوله: (يعد القصص أحد التعاليم الأساسية في البوذية اليابانية، فإذا ما ارتكب شخص عملاً شريراً فعليه أن يكفّر عن ذلك من حياته، فإذا أزهقت روحاً فعليك أن تقدم حياتك مقابل ذلك).

١. يمكن الاطلاع بشكل تفصيلي من خلال عنوان (الإعدام في الأدب ووسائل الإعلام) في موسوعة (الويكيبيديا)، وفيه الإشارة إلى مصادر عالمية وأهمية عديدة تتحدث عن الثأر والإعدام في التراث الإنساني والديني حيث تحدث بداية عن تاريخ هذه العقوبة عند مختلف الثقافات والأديان ثم عن تفصيلات كثيرة بهذا الصدد.

٢. الابتعاد عن عقوبة الإعدام - الحجج - التوجهات - الآفاق - المحرر (إيفان شيمونوفيتش): ص ١٧٥ - ١٨٥، يراجع بحث أديان العالم وعقوبة الإعدام لـ (ماريو مارازيتي)، المتحدثة باسم جمعية (سانت إيجيدو) وعضو حالي في البرلمان الإيطالي.



يقول (شريلا براهوبادا) مؤسس حركة (هاري كريشنا): إن السبب وراء معاقبة القاتل بالقتل هو كي لا يعاني في حياته الأخرى الذنب العظيم الذي اقترفه (...).

عند اليهود:

(... يحتوي الكتاب المقدس والتلمود نصوصاً تعتبر عقوبة الإعدام أمراً مشروعاً وشائعاً، فهناك (٣٦) جريمة في الكتاب المقدس عقوبتها الموت، منها عبادة الأوثان، وتدنيس حرمة السبت، والزنا، وزنا المحارم، والدعوة إلى الردة. وتذكر الميشناه (السنهدرين) - أي محكمة العدل - وسائل وطرق تنفيذ الإعدام مثل القتل بالسيف والرجم والحرق والخنق (...).

عند المسيحية:

(... يشتمل الكتاب المقدس على العديد من الإشارات إلى القتل والجرائم التي عقوبتها الموت، أدخل القديس (أوغسطين) مفهوم الحرب العادلة، واستمر إضفاء الشرعية على عقوبة الإعدام في القرون الوسطى، وكان ممن دافعوا عنها القديس (توما الاكويني) من خلال طرحه لمفهوم المصلحة العليا للمجتمع، والذي يتطلب قبول قدر من الشر، وبعد قرون عدّة حاجج (مارتن لوثر) أن مسألة الحياة والموت هي سلطة إلهية فوضها الرب للسلطات السياسية وقد عارض تطبيق عقوبة الإعدام على الجرائم الكنيسية، كي لا تختلط أحكام الكتاب المقدس مع القوانين البشرية (...).

عند الإسلام:

(... إن رحمة الله تعالى هي جوهر نظرة الإسلام لعقوبة الإعدام... يقول الله تعالى في الآية ١٥١ من سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (...)، انتهى الاقتباس.



يتبين مما تقدم: أن الثأر حقيقة متجذرة في الوجود الإنساني بمختلف دياناته وثقافته وأعرافه، ولا زالت موجودة إلى اليوم، نعم اختلف التعبير عنها عند أغلب المجتمعات بلغة تناسب الثقافة في كل زمان، فصار يعبر عن الأخذ بالثأر بحفظ النظام، العدل، القصاص، حفظ الأمن القومي، حفظ الأمن العالمي، وما إلى ذلك من تعبيرات في زماننا.

المحور الثاني: الثأر ثقافة الانتظار في نقاط:

النقطة الأولى: مقومات بناء الدولة:

جاء الإسلام كشرية مكملة لما سبق من الشرائع وامتداد لها لبناء الإنسان، حيث تكفلت قوانينه بجميع مناحي الحياة، فما من حادثة أو حركة إلا ولها الحكم المناسب والتقنين الذي يتكفل بحفظ الحقوق والواجبات.

فمنذ بدايات الإسلام، كان دور النبي الأكرم ﷺ في بناء المسلمين يقوم على أساس كون الإسلام ديناً ينظم الحياة، وما إن وطأت قدماه الشريفتان المدينة المنورة حتى شرع ببناء الأسس التي تقوم عليها الدولة وتسلم هو بنفسه المناصب القيادية العليا من القضاء والإدارة المدنية والعسكرية والمالية، وبنى المنظومة الفكرية والاجتماعية والأخلاقية والعقائدية للمسلمين، وفي ظرف (١٠) سنوات أصبحت دولته من أقوى الدول وأعدلها وأحفظها لحقوق الإنسان وكرامته، وهيأ أفضل السبل وأسهلها لبسط العدل وأخذ الحقوق والالتزام بالواجبات، منطلقاً من منظومة إلهية متكاملة أعطته الصلاحيات الكاملة.

ولنا أن نسأل: ما هي مقومات بناء الدولة التي أرادها الإسلام وأسس لها

النبي الأكرم ﷺ؟

مما لا شك فيه أن من المقومات الأساسية لأي دولة هو وجود شعب وأرض



وسلطة، إذ لا يمكن قيام دولة بدونها، والسلطة هي التي تنظّم شؤون الشعب على تلك الأرض ضمن أنظمة وقوانين وعلى مستويات مختلفة، وبمقدار حفظ الدولة للعدل تمييز، وبمقدار إخفاقها فيه تنحدر وتتلاشى.

النقطة الثانية: بناء المنظومة العقائدية والفكرية على أساس رأي الحاكم عند الآخر:

بعد النبي الأكرم ﷺ تعرض المسلمون إلى انتكاسة كبيرة من عدة جهات، ومنها تنصيب من ليس بأهل لإدارة شؤون الدولة، ومن هذا المنطلق تأسست لدى المسلمين جملة من المفاهيم الخاطئة والمنحرفة عن جادة العدل في بناء الدولة.

استبدلت مفاهيم (العدل - القسط - حرمة الظلم - كره الظالمين) بمفاهيم مغايرة لها تماماً (تسمع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع)^(١)، حتى أن جملة من الصحابة وبعد واقعة الحرة في المدينة وتسلط يزيد بن معاوية على الرقاب وبيعه الناس عبيداً كان يرى لزوم البيعة له وأن الخروج عليه وخلع طاعته يوجب الميتة الجاهلية^(٢).

فدخل الإسلام في حالة من غياب الوعي لم يستفك منها الأغلب إلى يومنا هذا، حيث بنيت المنظومة المعرفية والسلوكية تحت نظر الحاكم الظالم وسياطه. ولعل أغلب ما يثار حول الإسلام في زماننا من شبهات وتشكيكات منشؤها المنظومة الفكرية الخاطئة التي تأسست على مفاهيم مغلوطة، فنشأ من ذلك تراث منسوب للدين مبني على أسس محجوجة عقلاً وعقائياً، كان الهدف من ورائها تثبيت سلطة الحاكم الظالم مهما كان الثمن، حتى أن أبواق السلطة آنذاك كانت تخشى أن تبوح ببعض الحقائق الواضحة^(٣).

١. الجامع الصحيح - صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج: ج ٦، ص ٢٠.

٢. المصدر السابق: ص ٢٢.

٣. عن أبي هريرة قال: حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين، فأما أحدهما فبثته، وأما الآخر فلو بثته قطع هذا البلعوم. [صحيح البخاري: ج ١، ص ٣٨].

لقد تم استخدام الدين أسوأ استخداماً لتحصيل مآرب السلطة وديمومية بقائها، فانقلبت المفاهيم رأساً على عقب وصدقت على ذلك الزمان مقولة النبي الأكرم ﷺ، التي نقلها الخبر الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام حيث قال: «قال النبي الأكرم ﷺ: كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟»، فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ فقال: «نعم وشر من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف»، فقيل له: يا رسول الله ويكون ذلك؟ قال: «نعم، وشر من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً»^(١).

فتغيرت المنظومة من ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠)، إلى (أن العدل هو ما يراه السلطان)، هذا هو فعلاً ما حصل، فقد بنت السلطة بالمال والسلاح منظومة معرفية دينية أحادية الطرف، ليس فيها مجال لسماع الرأي الآخر فضلاً عن العمل به، ومن يجرؤ على المخالفة فسوف تقوم الدولة بسحقه واستخدام أشد وسائل الإقصاء والتنكيل به وبمن يتبعه. من هنا صار الخروج على الدولة - وإن كانت تمارس أشد وأقسى أنواع الظلم - ظلماً ومحرمًا وغير مشروع.

وقد قادت الدولة الفاسدة مشروعها من خلال حروب إعلامية منظّمة انتهت إلى تكذيب من يدّعي أن لديه القدرة على إقامة العدل.

فلاحظ أن الإمام الحسين بن علي عليه السلام سبب نبي الإسلام ﷺ وابن فاطمة عليها السلام يخرج للحرب ومعه حريمه وأولاده وأخوته ولا يخرج معه إلا

١. الكافي - الشيخ محمد بن يعقوب الكليني: ج ٥، ص ٥٩، ح ١٤، عن علي بن إبراهيم عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبي ﷺ، ورواة الحديث جميعهم موثقون، نعم بناء على كون مسعدة بن صدقة في طبقة أصحاب الباقر عليه السلام تكون الرواية موثقة لأن النجاشي والشيخ الطوسي قال أحدهما: (بتري) وقال الآخر: (عامي)، أمّا بناءً على كونه من أصحاب الصادق عليه السلام فالرواية صحيحة، كما استظهر ذلك السيد الخوئي رحمه الله في ترجمته للرجل تحت الرقم (١٢٣٠٥).



نفر قليل، فأى ماكنة إعلامية ضخمة منعت الناس عن اللحوق به والقتال معه دفعاً للظلم عن أنفسهم.

في الحقيقة من ينظر إلى الأحداث التاريخية في تلك الفترة، يؤمن أن الإسلام لم يبق منه شيء على الأرض سوى الاسم.

من هنا رفع الأئمة عليهم السلام من بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام شعار النصره لحركته عليه السلام فقط، ولم يدخلوا ميدان الحرب العسكرية، فمن هو الذي يكون أفضل من الحسين عليه السلام ليقود الإصلاح في أمة جدّه؟! ومع ذلك يقتل شر قتلة عرفتها البشرية.

النقطة الثالثة: الحركة الحسينية والبناء الديني لإصلاح المنظومة الفكرية والسلوكية للمجتمع:

بعد الانهيار الكبير لمنظومة الدين على مختلف الصعد، لم يكن من بُد إلا أن يخرج الإمام الحسين عليه السلام ليرفع راية الإصلاح وإرجاع الأمور إلى نصابها التي كانت على عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ولم يكن مهماً له أن يتحقق الانتصار العسكري، بل كان يعلم بعدم تحقيقه وأنه مقتول ومن معه لا محالة.

فقد ورد في جملة من الروايات ما يفيد هذا المعنى، ومنها: ما رواه الشيخ المفيد^(١) عن أم سلمة أنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من عندنا ذات ليلة فغاب عنا طويلاً ثم جاءنا وهو أشعث وأغبر ويده مضمومة، فقلت: يا رسول الله ما لي أراك شعثاً مغبراً؟ فقال: «أسري بي في هذا الوقت إلى موضع من العراق يقال له كربلاء، فرأيت فيه مصرع الحسين ابني وجماعة من ولدي وأهل بيتي، فلم أزل ألقط دماءهم فها هي في يدي»، وبسطها إليّ فقال: «خذها واحتفظي بها»، فأخذتها فإذا هي شبه تراب أحمر....

١. الإرشاد للشيخ المفيد: ج ٢، ص ١٣٠، وهناك نصوص عديدة في هذا الصدد من المناسب مراجعة كتاب كامل الزيارات للشيخ جعفر بن محمد بن قولويه من ص ١٢١-١٦٠، للاطلاع عليها.



خرج وهو يعلم بمصيره وأنه مقتول ويقول^(١): «وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق».

إن الحسين عليه السلام رسم خارطة إصلاح واضحة المعالم.

من هنا نفهم أن الأئمة عليهم السلام عندما كان يُعرض عليهم القيام والنهوض، وذلك عندما يتراءى لبعض أن الوقت قد حان، فإنهم يقولون^(٢): «ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني»، وفي ذات الصدد عندما يأتي أحدهم إلى الإمام الصادق عليه السلام بكتاب أبي مسلم فيقول عليه السلام له^(٣): «ليس لكتابك جواب»، وفي نص آخر أجلى من سابقه يقول المعلى بن خنيس^(٤): ذهبت بكتاب عبد السلام بن نعيم وسدير وكتب غير واحد إلى أبي عبد الله عليه السلام حين ظهرت المسودة قبل أن يظهر ولد العباس بأنا قد قدرنا أن يؤول هذا الأمر إليك، فما ترى؟ قال: فضرب بالكتب الأرض ثم قال: «أف أف، ما أنا لهؤلاء بإمام، أما يعلمون أنه إنما يقتل السفياي».

يقول الشيخ المفيد في سيرة الأئمة عليهم السلام على عدم الخروج بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام إلى أن يقوم الإمام الحجة بن الحسن عليه السلام^(٥): (إن ملوك الزمان إذ ذاك كانوا يعرفون من رأي الأئمة عليهم السلام التقية وتحريم الخروج بالسيف على الولاية، وعيب من فعل ذلك من بني عمهم ولومهم عليه، وأنه لا يجوز عندهم تجريد السيف حتى تركد الشمس عند زوال، ويسمع نداء من السماء

١. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٤٤، ص ٣٢٩.

٢. ينابيع المولدة للقندوزي: ج ٣، ص ١٦١، رد الإمام الصادق عليه السلام على كتاب أرسله أبو مسلم إليه.

٣. الكافي للشيخ الكليني: ج ٨، ص ٢٧٤.

٤. الكافي للشيخ الكليني: ج ٨، ص ٣٣١.

٥. الفصول العشرة للشيخ المفيد: ص ٧٤.



باسم رجل بعينه ويخسف بالبيداء، ويقوم آخر أئمة الحق بالسيف ليزيل دولة الباطل، وكانوا لا يكبرون بوجود من يوجد منهم، ولا بظهور شخصه، ولا بدعوة من يدعو إلى إمام لأمانهم مع ذلك من فتق يكون عليهم به ولا اعتقادهم قلة عدد من يصغي إليهم في دعوى الإمامة لهم ويصدقهم فيما يخبرون به من منظر يكون لهم).

فكان دور الأئمة عليهم السلام منصباً على بيان أن الإمام الحسين عليه السلام قتل الله وقتل رسوله صلى الله عليه وآله وأنه مصلح هذه الأمة على امتداد الزمان، فينبغي أن يكون حاضراً عند الناس في كل زمان ومكان، فكانوا عليهم السلام يؤكدون - كلما سنحت فرصة - على ارتباط الإمام الحسين عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله وأنه امتداد له، وأن الله تعالى وأنبياءه قد لعنوا قاتل الحسين بن علي عليه السلام، وأن قتله كان معلوماً لدى جميع الأنبياء والملائكة، وبكى لذلك جميع ما خلق الله تعالى حتى السماء والأرض، وأكدوا عليهم السلام على إحياء ذكر الحسين عليه السلام بمختلف درجات الإحياء^(١).

فالروايات الشريفة التي نطالعها في هذا الصدد تبرز هذه الصورة وأن الحركة الحسينية هي الحركة الوحيدة القادرة على بناء المنظومة الدينية الصالحة لقيادة البشرية نحو الأفضل، وأن ركيزة هذه الحركة هو العدل، وأن الاعوجاج الموجود في كل زمان إنما هو في الابتعاد عن هذه المنظومة.

فإنه وإن كان التعقيم شديداً وقاسياً، إلا أن الأئمة عليهم السلام استطاعوا وبجدارة إيصال المنظومة الحسينية إلينا، بل وإلى البشرية - لو اطلعت -، فما علينا سوى تفعيل المقدار الذي يقع علينا والباقي بعهدة الإمام عليه السلام الذي ينتظر أن يقوم الآخرون بأدوارهم في الاستمداد من العطاء الحسيني.

١. من المناسب جداً الاطلاع على فهرست كتاب كامل الزيارات للشيخ جعفر بن محمد بن قولويه، وهو من أعظم الكتب تأليفاً ومؤلفاً، فإن فيه أبواباً كثيرة توضح الصورة التي أبرزها الأئمة عليهم السلام لمقام الإمام الحسين عليه السلام وأهميته في الإصلاح الديني والارتباط القلبي وتجسيد المبادئ التي خرج من أجلها.

نعم لا زال التعظيم وبحجم كبير يمنع الكثير من أصحاب القلوب النقية من الوصول إلى هذه المنظومة الإلهية وهنا يأتي دور الرائدین والمخلصین من العارفين بالحسين عليه السلام ونهضته في تعريفها للناس بالأسلوب والطريقة المؤثرة والنافعة.

وهذا ما يحتاج إلى وجود الإمام عليه السلام - في إطار منظومة عقائدية متكاملة - فيكون الطلب بشار الإمام الحسين عليه السلام هو طلب بالشار للعدل المستلب على مر الزمان، فهل يبقى لمقولة (إنه انتقام شخصي) وغيرها مما ستمعه من مقولات وشبهات معنى؟

المحور الثالث: أسئلة وشبهات حول الثار المهدي:

أثيرت حول النصوص التي دلت على أن الحجة بن الحسن عليه السلام يأخذ بشار الإمام الحسين عليه السلام عدة أسئلة وإشكالات جعلناها في إطار (٩) عناوين يرجع في الغالب غيرها من الإشكالات والشبهات الأخرى إلى واحدة منها، وقبل ذكرها نستعرض بعضاً من تلكم النصوص استجلاءً للصورة وستأتي النصوص مفصلةً في محلها عند الإجابة على الشبهة الرابعة، وهي:

عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: «القائم والله يقتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها»^(١).

وفي الحديث الصحيح عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت لأبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام: ما تقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام قال: «إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها؟ فقال عليه السلام: «هو كذلك»، فقلت: قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ما معناه؟ قال: «صدق الله في جميع أقواله، ولكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بفعال آبائهم ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أن رجلاً قتل بالمشرق فرضي بقتله رجل بالمغرب لكان الراضي عند الله تعالى شريك القاتل،

١. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال - الشيخ الصدوق: ص ٢١٧.



وإنما يقتلهم القائم عليه السلام إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم»^(١) الحديث.

وفي بعض نصوص الأدعية والزيارات وردت مضامين مشابهة لما ذكرته الروايات بصيغة الدعاء والطلب، منها مقطع من الدعاء المعروف بالندبة: «... أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء، أين الطالب بدم المقتول بكر بلاء، أين المنصور على من اعتدى عليه وافترى...»^(٢).

الشبهة الأولى: الثأر حالة انتقام ولا ينسجم مع منظومة العدل المهدوية:

ويمكن أن تنحل إلى شبهتين:

١ - الثأر المهدوي حالة انتقام.

٢ - الثأر لا ينسجم مع منظومة العدل المهدوي التي نقرأها في الآيات والروايات.

والجواب عن الأول:

يظهر من الشبهة أنه يراد وصف الثأر المهدوي بالعدوان المحض ومن دون مبرر، وهنا تكمن المغالطة، إذ إن الثأر ليس حالة انتقام غير مبرر على ما تقدم تعريفه بشكل مفصل في بداية البحث، إنما هو استرجاع حق مسلوب وهو نوع من أنواع القصاص عرف بهذا اللفظ - ثأر - لأنه المتداول آنذاك والأقرب إلى أفهام الناس.

إن الثأر المهدوي هو قصاص قانوني ولغة دينية للمطالبة بالحقوق المسلوقة وإرجاعها إلى الذوات المقدسة، حاله حال ما تقوم به أي دولة من الدول في الدفاع ضد الانتهاك الذي يدهم هذه الدولة وتراق من أجل ذلك الدماء، فمع ذلك لا يعد نقصاً أو عيباً.

١. وسائل الشيعة - الحر العاملي: ج ١٦، ب ٥، ص ١٣٨، نقلاً عن عيون الأخبار والعلل للشيخ الصدوق، ورجال الحديث أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني من مشايخ الصدوق قال عنه (ثقة ديناً فاضلاً) عن علي بن إبراهيم (ثقة) عن أبيه إبراهيم بن هاشم (مما لا شك في وثاقته) عن عبد السلام بن صالح الهروي أبي الصلت (ثقة).

٢. المزار - الشيخ محمد بن المشهدي: ص ٥٧٩.



أمّا الجواب عن الثاني:

فإن العدل هو وضع الشيء في موضعه، والقصاص من أجلّ مفاهيم العدل، ولا تغيب عن أذهاننا صورة الميزان الذي يوضع خلف القضاة في جميع المحاكم العالمية مع أنهم يحكمون على المتهمين بأقسى أنواع العقوبات، فهل سمعنا أحداً قال: إنهم ظلمة ومنتقمون، وما يقومون به لا ينسجم مع منظومة العدل؟!

جميع الإلهيين يعتقدون أن الله تعالى خلق الجنة والنار، وجعل النار داراً يعاقب فيها الظلمة والمفسدين، فهل - والعياذ بالله تعالى - يقال: إن هذا ظلم ولا ينسجم مع منظومة العدل الإلهية ومقولة ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، إن هذا لا يصح أن يصدر من شخص يحترم عقله وفكره. فهذه في الحقيقة ليست شبهة، وإنما تهمة، نشأت من عدم الفهم للمفاهيم وحالة خلط بينها.

الشبهة الثانية: أن الثأر لغة رجعية:

الثأر لغة رجعية متخلفة لا تنسجم مع لغة بناء دولة عالمية ينادي بها الإسلام ويتنظرها الجميع، نعم هي تنسجم مع لغة العشيرة والقبيلة التي تفقد عزيزاً عليها، فتنادي بلغة الثأر والانتقام له.

والجواب عن ذلك:

١ - من يحدّد أن هذا رجعي ومتخلف ولا ينسجم مع لغة بناء الدولة؟ هل هي الثقافة العامة للمجتمع وما يعبر عنه بالعرف، أو هي الثقافة الخاصة لمجتمع معين وإن لم يعرف أجواء الإسلام وطريقته في تشريع الأحكام؟ فإن كان الأول - الدول المتحضرة - فالعرف ببابك، فإنهم لا يأنفون من أخذ الثأر طيلة هذه القرون المتهادية إلى يومك هذا كما مرّ ذلك تحت عنوان الثأر عند



الأُمم ومراحل تطوره، وإن كان الثاني فإن لزوم الإنصات له هو أول الكلام، فضلاً عن أن يؤخذ بتحديدده.

٢ - إن لغة الإسلام هي لغة النظام والقانون - كما مر عليك في أبواب القصاص -، فكما لا يسمح بالانتقام غير المبرر، كذلك لا يسمح باستلاب الحقوق والتعدي عليها من قبل المتطاولين، فلكي نعيش حالة الاتزان في حفظ الأنفس والأموال والنظام لا بد من قوة ردع بها يخشى المعتدي من سطوة الانتقام وأنه يؤخذ بجرمه لو اعتدى. وهذا المعنى عقلائي ومستمر مع العقلاء، لا أنه أمر رجعي.

٣ - إن لغة الإسلام تبين المعاني للأمة، ولا حرجة في انتخاب الألفاظ المناسبة حسب الظروف والأزمنة، فمما لا شك فيه أن الإسلام يقف بالضد من العبودية والاسترقاق، ولكن المجتمع وقتذاك لا يمكنه قبول الإسلام ورفض الرق، فانتخب التشريع الإسلامي طريقة ينشر فيها مبادئه، وفي ذات الوقت يحفز على التخلي عن الرقيّة والعبودية، حتى إذا حان الوقت لرفضها اجتماعياً، فإن الإسلام وتشريعاته ستكون أسبق منهم في ذلك، وما إن يلتفتون إليها سيجدونها واضحة، وهكذا في لغة الثأر فإنه لا حرجة بعد وضوح المعنى من انتخاب اللفظ المناسب لكل عصر.

٤ - إن لفظة الثأر لا تزال متداولة إلى يومنا هذا في الثقافات المدنية والشعوب المتحضرة وخطاباتهم وتصريحاتهم في الحرب والسلم ببابك، فإمّا أن نرفضها من الجميع أو لا ينبغي التهجم على المسلمين بها دون غيرهم.

٥ - ثم أنه من قال إن الثأر لغة عدوان بشكل مطلق فقد تبين مما تقدّم في المحور الأول أن الثأر لغة استرداد الحقوق والدفاع عنها، نعم نسلم أن الثأر الذي يتجاوز فيه صاحبه الحدود المرسومة له في القانون والشرعية يكون تعدياً وليس كلامنا مع هذا النوع من الثأر.



الشبهة الثالثة: الثأر المهدي نزاع بين قبيلتين:

إن الصراع بين العلويين والأمويين صراع ممتد إلى زمان النبي الأكرم ﷺ بل ما قبله، وهذه النصوص التي تتحدث عن الثأر المهدي إنما تتحدث عن هذا الصراع الشخصي ولا علاقة لها بالعقيدة والدفاع عنها.

والجواب عن ذلك:

١ - إن الصراع بين بيت النبوة وبنو أمية ليس صراعاً قبلياً، بل هو صراع مبادئ، فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعاديننا في الله، قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله، قاتل أبو سفيان رسول الله ﷺ، وقاتل معاوية علي بن أبي طالب عليه السلام، وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي عليه السلام والسفياني يقاتل القائم»^(١).

٢ - لو تنزلنا فما المانع أن يكون الصراع القبلي صراع مبادئ وقيم، فليس كل صراع قبلي باطلاً، فهناك من الصراعات القبلية ما يتشرف به أبناءؤها كقبيلتي همدان ومذحج اللتين أبليتاً بلاءً قل نظيره في نصرة الإسلام، فحمية أبناء القبيلة ونصرتهم للدين والمبادئ حمية قيمة وليست تعصبية.

ويؤكد هذا المعنى أن القبائل في المجتمع الإنساني منطلق لبناء المنظومات التي أسست الدول والقوانين، وتقدم أن هذه الأنظمة وجدت لحفظ النظام وعدم التعدي على الحقوق وتحجيم أو إنهاء أفعال الظلمة، ولولا هذا الوجود القبلي لما كان للوجود الإنساني أن يرى التطور والرقي المدني، فقوانين القبائل هي نواة بناء المجتمعات ولا زالت تتمتع بمساحة واسعة من الاحترام والدور في بناء النظم وحفظ الحقوق، فليس كل ما يمت إلى القبيلة ممقوتاً ومذموماً.

١. معاني الأخبار - الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق المتوفي ٣٨١هـ: ص ٣٤٦.

الشبهة الرابعة: زخم مفتعل:

إن صدور روايات عن أهل بيت الرحمة والعفو عليهم السلام تطالب بالانتقام والثأر لا تتعقله، فمن كانت سمتهم العفو عن ظالمهم وكظم الغيظ عن اعتدى عليهم كيف يتصور في حقهم أن يمارسوا الانتقام والثأر؟ إن هذه المقولة لا يصح الحديث فيها أمام هذه الذوات المملوءة عطفاً ولطفاً ورحمةً، فهم فيض الوجود وأوسع أبواب الرحمة الإلهية. فلا بد من رفض هذه الروايات، ولعلها افتُعلت في أزمنة متأخرة من قبل الغلاة وبعض أتباع السلطة لتحقيق أهداف ضيقة.

قبل الجواب عن هذه الشبهة نستعرض جملة من الروايات الواردة في هذا الصدد والتي تحدثت عن الثأر لشهادة الإمام الحسين عليه السلام على يد الحجة بن الحسن عليه السلام، وهي:

١ - عن أبي عبد الله عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾ [الإسراء: ٣٣]، قال: «ذاك قائم آل محمد يخرج فيقتل بدم الحسين عليه السلام، فلو قتل أهل الأرض لم يكن مسرفاً، وقوله: ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾، لم يكن ليصنع شيئاً يكون سرفاً»، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «يقتل والله ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها»^(١).

فعظم المصيبة يستدعي هذا الفعل، أي إنه إن فعل فليس في فعله إسراف لعظيم ما وقع، ولكنه لا يفعل إلا بما يناسب مقامه وشأنه، فلا يأخذ بالجريمة إلا من يرتضي فعال الآباء الذين لو أتاحت لهم الفرصة لكرروها.

٢ - عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ قال: «أولاد قتلة الحسين عليه السلام»، وقد أفرد الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه في كتابه القيم (كامل الزيارة) باباً تحت عنوان (ما نزل من القرآن

١. كامل الزيارات - الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه المتوفى ٣٦٨هـ، ص ١٣٥.



بقتل الحسين عليه السلام وانتقام الله ﷻ ولو بعد حين، ومما جاء فيه أيضاً: (والله لقد قتل قتلة الحسين عليه السلام ولم يطلب بدمه بعد)^(١)، فالانتقام من الله تعالى.

٣ - قال أبو عبد الله عليه السلام: «لما كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان، ضجت الملائكة إلى الله بالبكاء وقالت يفعل هذا بالحسين صفيك وابن نبيك؟ قال: فأقام الله لهم ظل القائم عليه السلام وقال: بهذا أنتقم لهذا»، فالمنتقم هو الله تعالى بواسطة الإمام عليه السلام^(٢).

٤ - عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: «القائم والله يقتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها»^(٣).

٥ - وفي الحديث الصحيح عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت لأبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام: ما تقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام قال: «إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها؟ فقال عليه السلام: «هو كذلك»، فقلت: قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ما معناه؟ قال: «صدق الله في جميع أقواله، ولكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بفعال آبائهم ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أن رجلاً قتل بالشرق فرضي بقتله رجل بالمغرب لكان الراضي عند الله ﷻ شريك القاتل، وإنما يقتلهم القائم عليه السلام إذا خرج لرضاهم بفعال آبائهم»^(٤) الحديث.

وتوجيه هذا المضمون يظهر جلياً من استعمالات العرب، فهو من يخاطبهم

١. المصدر السابق: ص ١٣٦ و ص ١٣٤.

٢. الكافي - الشيخ محمد بن يعقوب الكليني: ج ١، ص ٤٦٥.

٣. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال - الشيخ الصدوق: ص ٢١٧.

٤. وسائل الشيعة - الحر العاملي: ج ١٦، ب ٥، ص ١٣٨، نقلاً عن عيون الأخبار والعلل للشيخ الصدوق، ورجال الحديث أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني من مشايخ الصدوق قال عنه (ثقة ديناً فاضلاً) عن علي بن إبراهيم (ثقة) عن أبيه إبراهيم بن هاشم (مما لا شك في وثاقته) عن عبد السلام بن صالح الهروي أبي الصلت (ثقة).



بلغتهم، فمثلاً يقال للرجل الذي غزا قومه قوماً آخرين وقتلوهم: أغرتم وفعلتم كذا، فيقول العربي: فعلنا ببني فلان، وسيناهم ولا يريد أنه باشر ذلك بنفسه، ولكنه يفخر، ولأن هؤلاء الخلف راضون بفعال السلف ويرون صواب فعلهم فصح أن يقال أنتم رضيتم الفعل.

٦ - وفي بعض نصوص الأدعية والزيارات وردت مضامين مشابهة لما ذكرته الروايات بصيغة الدعاء والطلب، منها:

أ - ففي مقطع من الدعاء المعروف بالندبة: «... أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء، أين الطالب بدم المقتول بكرىلاء، أين المنصور على من اعتدى عليه وافتري...»^(١).

ب - وفي مقطع من زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «... فأسأل الله الذي أكرم مقامك أن يكرمني بك، ويرزقني طلب ثأرك مع إمام منصور من آل محمد عليهم السلام...»^(٢)، وفي مقطع آخر: «... وأن يرزقني طلب ثأركم مع إمام مهدي ناطق لكم...»^(٣).

ج - وفي مقطع آخر من زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «... وأن يوفقني للطلب بثأركم مع الإمام المنتظر الهادي من آل محمد...»^(٤).

بعد هذا الاستعراض يتبين لنا:

١ - أن جملة من الروايات المتقدمة، نظمئن بصدورها، فإنكارها دون مبرر مجازفة وقول بلا دليل.

٢ - لا يصح رفض رواية صح صدرها إلا لسبب وجيه، ومنه أن تكون مخالفة للكتاب والسنة، فيستكشف صدرها تقية مثلاً، وفي المقام لا يوجد

١. المزار - الشيخ محمد بن المشهدي: ص ٥٧٩.

٢. كامل الزيارات - الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه: ص ٣٢٩-٣٣٠.

٣. نفس المصدر: ص ٣٣٠.

٤. مستدرک الوسائل - الشيخ النوري: ج ١٠، ص ٤١٣.



مبرر لرفض هذه الروايات لموافقتها للكتاب كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ (البقرة: ١٧٩)، فإن قيل: إن هذا يخالف قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، قلنا: إن الإمام عليه السلام تكفل بجواب ذلك بقوله: «لأنهم رضوا فعال آبائهم».

٣ - جميع الإلهيين يعتقدون بأن الله تعالى هو منتهى الرحمة واللطف والرأفة، وفي ذات الوقت يعتقدون بأنه أعدل العادلين وأحكم الحاكمين، وأنه لا يضيع حقاً بل ذرة من عمل، وما حصل مع الحسين عليه السلام بوصفه امتداداً طبيعياً للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله يقتضي إنزال أشد العقوبات في من أجرم بحقه فعلاً أو قولاً. وقد تقدم وصف قتله وانتهاك حرمة في بعض النصوص السابقة أنه (قتل للإسلام، وتعطيل للحلال والحرام، وأن على هذا المصاب حزن جميع الوجود)، أفلا يحق لهذه الوجودات الحزينة أن تسترد حقها المسلوب طيلة قرون ودهور، أليس هذا هو العدل؟

٤ - تقدم في نصوص عديدة أن ما خرج من أجله الحسين عليه السلام ليس منفعة شخصية أو حقاً مغتصباً إنما هو إصلاح إنساني ديني، فهو خرج من أجل إرجاع المبادئ إلى نصابها وإعطاء الحقوق لأهلها، فالدفاع عن مظلمته والاقتصاص من قتلته هو دفاع عن النظام الإنساني والديني ومبادئ العدل والحق.

الشبهة الخامسة: لا بد من التأويل:

أن هذه النصوص التي تقدمت لو سلّمنا صدورها فلا بد من تأويلها لأنها لا تمثل وجهة نظر أهل البيت عليهم السلام لأن وجهتهم العفو والسماحة وعدم التعصب كما قيل.

والجواب عنها:

- ١ - إن الروايات المتقدمة صريحة في الثأر، فلا وجه لتأويلها.
- ٢ - إن التأويل إنما يصح فيما إذا كان هناك مانع يمنع من الالتزام بالنص

أو الظاهر كما في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠)، فحيث إن الله تعالى منزّه عن الجسم والجسمية، حيث قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، فهنا يأتي وجه التأويل، فتحمل اليد على القوة والرفعة وما إلى ذلك.

أمّا مع كون المعنى الوارد في الروايات لا يمنع من الالتزام به مانع عقلي أو عرفي أو شرعي فلا موجب لتجشم عناء التأويل، فإن الأخذ بالثأر من المعتدي وإقامة القصاص عليه - كما تقدم مفصلاً - قضية اتّفق عليها الجميع دون استثناء، وهي لا تخالف الكتاب ولا السنة.

٣ - الروايات تامة سنداً ودلالة ولا مانع يمنع من الأخذ بها، نعم، يحق لمن يرى أن التعبير بأخذ الثأر لا يناسب زمانه أو مجتمعه أن يتحدث عنه بلغة أخرى، فليس هناك إلزام بهذا التعبير حتى يقع المخالف في المحذور أو المحرم، وإن كان الأنسب فيما لم يكن هناك مانع الاقتصار عليه إذ لعل التعبير به أكثر تأثيراً في النفوس على ما تقدم من كون بعض الألفاظ - كالثأر - أفضل من غيرها في تأدية المعنى من جهة البعد النفسي، نظير المقولة القرآنية في اللعن فإنه كان يمكنه أن يعبر بالطرد، لكن إيقاع لفظة اللعن في النفوس له تأثير كبير مطلوب من قبل الشارع.

الشبهة السادسة: الإسراف في الثأر:

بعض الروايات تقول: لو قتل أهل الأرض لم يكن مسرفاً، وهذا لا يعقل، إذ لو سلّمنا أن الراضي بقتله شريك في الجرم، فليس معنى ذلك أن جميع أهل الأرض مشتركون فيه، فكيف ساغ تجويز قتل أهل الأرض جميعاً انتقاماً؟
والجواب عن ذلك:

١ - إن ما ورد في هذا النص فرض (لو قتل) ومع ذلك فهو مقيد بتقييدات كثيرة ذكرناها في الروايات المتقدمة من قبيل التقييد بـ «لرضاهم بفعل آبائهم»،



كما ذكر المستشكل، فهو من باب ذكر العام والمطلق اعتماداً على وجود المخصص والمقيد.

٢ - إن المقصود من هذا النص أن كل من رضي بهذا الفعل، فلو أن أهل الأرض رضوا لكانوا مستحقين للقصاص.

٣ - إن التقييد موجود في نفس النص، فلاحظ قوله **عليه السلام**: «يقتل والله ذراري قتلة الحسين بفعال آبائهم»، والقييد المتصل في نفس الكلام يمنع من أصل انعقاد الكلام في الظهور، فالنص استعمل «أهل الأرض» من البداية في معنى خاص وهو خصوص «الذراري الراضين بفعال آبائهم» والعرف يرى ذلك سائغاً دون تردد.

٤ - إن هذا حديث بلسان **عليه السلام**: «أَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا» (المائدة: ٣٢)، هذا لمن قتل نفساً من عامة الناس، فكيف بمن يقتل ولي الله تعالى وريحانة رسوله **عليه السلام**، إن قتل هكذا شخص لا يعادله أهل الأرض جميعاً، وهذا المعنى كثير في لغة القرآن الكريم والروايات الشريفة وأمثال العرب، فمن القرآن ما تقدم من الآية، ومن الروايات الشريفة ما ورد في **عليه السلام**: «الضربة علي لعمر ويوم الخندق تعدل عبادة الثقلين»^(١)، فهو حديث عن معنى حقيقي لما يمثله أمير المؤمنين **عليه السلام** وما قام به من فعل في ذلك اليوم، وأنه لولاه لما كانت هناك عبادة، ومن أمثال العرب قولهم: (بشسع نعل كليب) لما كان لكليب عندهم من عظمة.

فالاعتداء على المعصوم ليس هو اعتداء على ذاته فقط بل على مقامه، ومن له مقام لا يضاهي فيكون قتل العالم ممن رضوا أهون وأيسر من قتله والتجاوز عليه، ولذلك نجد الإمام **عليه السلام** في نفس الحديث بعد أن قال: «ولو قتل أهل الأرض لم يكن مسرفاً» أي إن واقع ما حصل على الحسين **عليه السلام** لا

١. عوالي اللآلي - للشيخ ابن أبي جمهور الإحسائي: ج ٤، ص ٨٦.



يضاهيه شيء ولا يسمّى الانتقام له إسرافاً ولو كان يقتل كل أهل الأرض إن كانوا راضين بفعل القتل، ولكنه في ذات الوقت يقول **عليه السلام**: «لم يكن ليصنع شيئاً سرفاً»، أي هذا منه ليس سرفاً لواقع ما حصل على الحسين **عليه السلام** - لو كان أهل الأرض اشتركوا في قتله - إن قتله لهؤلاء بل لذاريرهم بعد طول الزمان سرف، فهو **عليه السلام** يتنزّه عن أن يقال على فعله إنه سرف رغم أنه ليس واقعاً سرفاً.

الشبهة السابعة: مرجوح لا راجح والنسبة باطلة:

دلّت الروايات على رجحان العفو واستحباب العفو عن القاتل من قبل المؤمنين وأهل البيت **عليهم السلام** أولى بذلك منهم، يتنافى مع مقولة الثأر والانتقام التي ينسبها أتباع المذهب إليهم، فضلاً.

والجواب عن ذلك:

١ - إن مقولة القصاص والثأر ليست نسبة من أتباع أهل البيت **عليهم السلام** إليهم، وقد تقدم في أجوبة بعض الشبهات المتقدمة كون الطلب بالثأر من المفردات المهمة في المنظومة الدينية، فادّعاء أن المطالبة هي من أتباعهم لا منهم مجازفة ومجانبة عن الصواب، والدليل الناصع الدال على أن هذا طلبهم.

٢ - إن الروايات التي تحدثت عن العفو هي تتحدث عن مقام آخر غير مقام إثبات الحق، فبعد أن يثبت الحق ويتجلى حجم الاعتداء ويعترف المعتدي يأتي دور العفو، أمّا من لا يعترف بذلك ويتهاذى ويرضى بفعل الآباء والأجداد، فإن العفو عن أمثال هؤلاء يعدّ جنباً وتخاذلاً وهو نقص في كمال الإنسان فضلاً عن المعصوم، فالذي يعدّ كما لا ورفعته هو العفو بعد اعتراف المذنب وإقراره، نعم، لا بد أن يكون الإقرار في ظرف مناسب، وليس بعد فوات الأوان كما حصل مع فرعون ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ



لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ (يونس: ٩١).

٣ - إن الحق الذي يطالب بإسقاطه صاحب الشبهة ليس هو حقاً تابعاً لشخص إنما هو حق عام، حق الاعتداء على منصب الإمامة.

٤ - إن العفو إما أمر راجح أو مستحب، والقصاص حسب الفرض أمر لازم، فإذا تعارض الاستحباب معه لا وجه لتقدمه عليه فضلاً عن أن يعارضه. الشبهة الثامنة: إن الثأر يشكل أزمة خطاب عالمي:

سلمنا أن ما سيقوم به الإمام المهدي عليه السلام هو من الأمور الحسنة عقلاً وشرعاً، بل هو لازم لما تقدم من وجوه، ولكن ذلك لا ينفي أن التصريح به منفر على مستوى الخطاب العالمي، فإن الجمهور العريض من الناس بعيدون عن الدين ولا يرغبون به لما يتصورونه من تقييد لحياتهم، فإذا انظم إليه أمثال هذا الخطاب العدواني، فإنه سيؤكد ما في أذهانهم من شبهات حول الدين، فكان الراجح على المشرع ترك مثل هكذا خطاب لما فيه من المنفرية الظاهرية. والجواب عن ذلك:

١ - إذا سلمنا أن هناك حسناً في أخذ الثأر، بل هو كذلك لما فيه من إقامة للعدل ونظم الحياة، فلا وجه للإشكال على ذلك بأن إثارته منفرة منه، مع أن أمثال هذه العبارات لازالت مستعملة إلى يومنا هذا من أكثر الدول والمنظمات العالمية التي تصدر المشهد الحقوقي العالمي، كما تقدم.

٢ - الخطاب الديني خاضع لضوابط وآليات، هي في العادة تلاحظ العرف ومرتكزاته وما يتعامل به في خطابه، فهو يستخدم نفس الأدوات والمواد التي يستعملها الناس في التعبير عن مقاصدهم، واستعماله لهذه المفردات يعني أن



الطابع العام من الناس يألفها ويأنس بها، أمّا أنها لا تروق للبعض، فالإشكال حينئذٍ في هذا البعض ونظرته الضيقة تجاه الخطاب الديني، وفي العادة مهما كان الخطاب موزوناً فإنه لا يكون مرضياً من قبيل الجميع، نعم قد يكون مرضياً من قبل الغالب.

٣ - إن الخطاب الديني كما يلاحظ عنصر اللفظ وأدائه للمعنى، أيضاً يلاحظ في بعض خطابه البعد المشاعري للخطاب، إذ يقصد من ورائه إيجاد حالة من الارتباط الروحي بقضية معينة فيصدر جملة من الخطابات الوجدانية، فالقضية مقصودة للشارع المقدس وإن لم ترق للبعض.

٤ - لو فرضنا أن الشارع أراد أن يغير الخطاب، فما هو اللفظ المناسب لواقع هذه القضية مع المحافظة على بعدها القانوني والوجداني؟ فإن أمثال هذه القضايا ليست توقيفية فلكل شخص حرية التعبير بما يراه مناسباً شريطة الحفاظ على المعنى وحيثياته الدخيلة فيه، ولعلنا لا نجد لفظة مناسبة لتأدية هذين الأمرين كالتي استعملها الشارع المقدس.

٥ - نسلم أن بعض الألفاظ التي استعملها الشارع المقدس في التعبير عن مقاصده هي منحصرة بزمن معين أو أكثر مناسبة للزمن الذي صدر فيه النص والقريب منه، كما في لفظة السيف كسلاح عند ظهور الإمام عليه السلام، فإن المتداول - زمان النص - هو هذا، ولو تصدى الشارع لبيان السلاح في زمان الظهور فقد يكون منفراً لعدم فهمه من الناس آنذاك، فجاء بلفظة تتناسب والمستعمل في زمان النص، ولا خصوصية لها، لما نجزم من أنه لا يريد بها بعينها، وإنما هي تعبير كنائي عن الآلات العسكرية المستعملة ولعل الأمر كذلك في مقامنا بالنسبة للفظه الثأر.



الشبهة التاسعة: لماذا الحسين عليه السلام فقط؟

إن الشيعة تنادي دائماً بالثأر للحسين عليه السلام (يا لثارات الحسين) ولا تنادي بالثأر لرسول الله صلى الله عليه وآله، فهم يرون أنه انتَهَكَ مقامه وحُرِّفَ الإسلام من بعده، كما أنهم لا ينادون بالثأر لفاطمة عليها السلام مع أنهم يعتقدون أن الاعتداء الذي وقع عليها كبير جداً، كما ولا ينادون بالثأر للإمام علي عليه السلام مع أنهم يرون أن كل المصائب ناشئة من مصيبة إقصاء الإمام علي عليه السلام، كما ولا ينادون بالثأر للإمام الحسن عليه السلام المظلوم، وهكذا بقية الأئمة عليهم السلام، فلماذا لا يكون هناك ثأر لهم كما للإمام الحسين عليه السلام، فهل هو أفضل منهم؟ أو إن ذلك حالة انتقائية؟

والجواب عن ذلك:

١ - الأحكام الصادرة من الشريعة بهدف تنظيم حياة الإنسان استعملت فيها عدة أساليب، فبعض الأحكام جاء بيانها مع بيان علتها، وبعضها الآخر أرجع فيها الشارع المقدس إلى العرف بين الناس، وبعض ثالث تعبدنا بالحكم دون أدنى معرفة بالأسباب الموجبة للشريعة، ونحن نأخذ به تعبدًا، إيمانًا منا بكبرى حكمة الشارع المقدس وهادفته وأنه بصدد تقديم الأفضل في مقام التشريع للإنسان، فالإيمان بمشروع بهذا المستوى يسد الباب عن السؤال عما وراء الحكم من دواعٍ، وهذا موجود لدى الكثير من الدول في تشريعاتها، فجهاز المخبرات في أغلب الدول يشرع ويمارس قوانين قد يراها الناس أنها تقيد حريتهم أو تضر بمصالحهم الشخصية، بل وبعض النوعية، ولكنهم لا يسألون عن ذلك بعد الفراغ عن أن هناك مصلحة عليا وراء هذا التشريع أو تلك الممارسة.



فإنما هم ملاكات التشريعات في بعض الأحيان هو بذاته حكمة، وهكذا في قطاعات عديدة كالجيش أو الصناعات الحربية الدقيقة، بل حتى جملة من الصناعات الطبية أو الهندسية أو الالكترونية، يتم كتمان الملاك وراء التشريع، ويكتفى بقاعدة أن المصلحة العامة تقتضي ذلك. وهنا لعل المصلحة العامة للدين تقتضي ذلك، فما المانع أن يكون الخطاب الديني موجهاً تجاه قضية واحدة ولا يعني ذلك بحال من الأحوال عدم أهمية القضايا الأخرى.

٢ - إن الذي وقع على الحسين عليه السلام في حقيقته عظيم جداً ولا نبالغ إذا قلنا إنه لم يقع مثل ما وقع عليه على أحد أبداً، باعتبار مقامه السامي من جهة وذنائة مقام عدوه من جهة ثانية وتنوع الظلم عليه من جهة ثالثة، واستخفاف عدوه بكل مبدأ إنساني وديني في هذه الواقعة، فكل ما يمكن تصوره من فضائع وفجائع قد وقعت في واقعة واحدة عليه عليه السلام.

فهذه الجهة وجهات أخرى قد لا نلاحظها وغيرها مما هو في ذهن القارئ وهي ما كانت وراء إبراز هذه القضية كشخص في المظلومية وضرورة النظر إليها والمطالبة بها على طول الزمان.

٣ - إن الحسين عليه السلام تجسدت فيه المظلومية السابقة واللاحقة، والحادثة المروعة في كربلاء هي بحق تمثل أسوأ المظلومية، فالحسين عليه السلام اجتمعت فيه مظلوميات من سبق وسيلحقه حتى عبرت بعض النصوص المتقدمة أنه ثأر الله تعالى وبالثأر له يتم الثأر للأنبياء والأولياء.

٤ - يمكن القول عندما نأخذ بثأر الحسين عليه السلام فإننا نأخذ بثأر رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والحسن عليه السلام، وهكذا نأخذ بثأر الأنبياء والأئمة والأولياء، فلا خصوصية لذكره إلا من باب أنه أجلى وأبرز مصاديق المظلومية.



٥ - لو كانت الخطابات الشرعية موجّهة باتجاهات متعددة فخطاب منها باتجاه أخذ الثأر لرسول الله ﷺ وأخرى باتجاه أخذ الثأر لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام وثالث باتجاه أخذ الثأر لفاطمة عليها السلام وهكذا، فإن أفراد الأمة سوف تتبعثر وتتشتت جهودهم، فلا بد من وجود شخصية تكون فيها المظلومية بارزة وجليّة إلى حد يصعب إنكارها من قبل الأغلب إن لم نقل الجميع، ولو تأملت بوجدانك لوجدت أن الأحداث التي وقعت على الحسين عليه السلام آلمت أعداءه قبل محبيه، وأنها لم تقع على غيره، فلعله من أجل ذلك كان التركيز عليه.

٦ - لا دليل على أن الروايات أغفلت أو أهملت الأخذ بالثأر لهم كما ورد في النص: «أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء»، بل هو كما ترى عام يشمل جميع الأنبياء عليهم السلام.

الشبهة العاشرة: مخالف للسيرة العقلية:

إن أغلب الأمم تعرضت لحوادث مروعة وقصص الظلم وانتهاك الحقوق للأفراد والمجتمعات تملأ التاريخ، ومع ذلك فإن العالم اليوم تناسى تلك الأحداث التي مرّت عليه وتغلّب على الصعاب والظلم الذي مرّ ليعيش بسلام مع الظالمين له، فسيرة العقلاء تقضي بترك الثأر والابتعاد عن تجسيد حالة الانتقام.

والجواب عن ذلك:

١ - إن قصص الثأر المنسية لم يمسخها التاريخ من سجلاته، ولا زالت تقرأ في اليوم الواحد آلاف المرات، فالظلم لا يمسخه التغاضي عنه. إن المظلومين عبر التاريخ لم يتناسوا ظالمهم ولا يزالون يطالبون بحقوقهم ما إن تتاح لهم



فرصة ذلك، ولكن الظالمين لازالوا إلى اليوم يمارسون ظلمهم بمنع المظلومين من المطالبة بحقوقهم وتهديدتهم عسكرياً أو اقتصادياً.

٢ - إن العالم اليوم قد أسس محكمة العدل الدولية لكي يحاسب الظالمين ويثأر للمظلومين بالاقتصاص من ظالمهم لكي يكونوا عبرة، فالعالم والعقلاء منه لا يغطون على الظلم، بل يؤسسون له المحاكم العليا للأخذ بالحقوق.

٣ - إن هناك ظلماً على فرد وآخر على أفراد ومجتمع وثالثاً على مبدأ، ولا نظن أن أحداً يفرط بالأول أو الثاني فكيف يفرط بالثالث، فهل فرطت دولة من الدول في حقها الأولي والأصلي على أرضها أو في سيادتها.

نجزم أن أيّاً من ذلك لا وجود له، فلماذا يطالب من يستमित بالدفاع عن حقه المؤمنين بالتغاضي عن مبدأ وعقيدة مبنية على إرجاع الحق المستلب لشخص فيض الوجود وقطب عالم الإمكان.

٤ - إنما يكون للشبهة وجه لو سلمنا أن الظلم الذي وقع على الإمام الحسين عليه السلام قد انتهى ولا أثر له اليوم، ولكن هذا الظلم لازال مستمراً على أيدي من يرضون بالفعال السابقة، فلو كان قد انتهى لكان هناك وجه في التغاضي عنه، أمّا مع استمراره كيف يطلب التغاضي عنه.

٥ - إن سيرة العقلاء لا تترك القصاص ولو تقادم الزمن، وإلا دعت إلى المهرج والمرج وضياع الحقوق والنظام.

٦ - إن صاحب الحق والمخول في التنازل عنه موجود، فليس من الصحيح التحدث نيابة عنه في قضية هي من مهامه وهو أعرف بما يقوم به وما ينبغي له فعله أو تركه.



الخاتمة:

إن من يتابع حركة الإمام الحسين عليه السلام وما صدر عنه من أقوال وأفعال يلاحظ أنه عليه السلام يضع اصلاً انتظاريّاً «اللهم فخذ لنا بحقنا وانصرنا على القوم الظالمين»^(١)، بعد أن حصر خروجه بـ «إنما خرجت لطلب الإصلاح»^(٢)، فهذا الخروج معلوم أنه لا يعطي ثماره إلا بعد انتظار وصبر، ولذلك سيبقى محرّكاً للحس البشري وداعياً له أن يمهد للإصلاح الشامل.

فذلك المصلح المظلوم خرج لإصلاحنا، فلا بد أن نرفع من ظلامته ونأخذ بثأره «إني حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم... فأسأل الله... أن... يرزقني طلب تاركهم مع إمام مهدي...»^(٣)، فطلب الثأر رزق من الله تعالى نحصل عليه عندما نستحضر القضية وننتظرها ونمهد لها، فما لم تفهم حركة الإصلاح الحسيني لا تفهم حركة الإصلاح المهدوي، فالدم الحسيني لا يسكن حتى يحصل الثأر ممن سفكته مع يد مصلح آخر الزمان، يقول الإمام الحسين عليه السلام عن ذلك مخاطباً ولده السجاد عليه السلام: «يا ولدي يا علي، والله لا يسكن دمي حتى يبعث المهدي - الله - فيقتل علي دمي من المنافقين والكفرة...»^(٤)، لذلك نجد الروايات المتكررة ألمحت إلى هذا الترابط كما في اختيار يوم عاشوراء للقيام المهدوي «ينادي باسم القائم عليه السلام في ليلة ثلاث وعشرين، ويقوم في يوم عاشوراء وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي عليه السلام، لكأن به في يوم السبت العاشر من المحرم قائماً بين الركن والمقام»^(٥).

١. بحار الأنوار للشيخ المجلسي: ج ٤٤، ص ٣٨٣.

٢. المصدر السابق: ج ٤٤، ص ٣٢٩.

٣. كامل الزيارات للشيخ جعفر بن محمد بن قولويه: ص ٣٣٠.

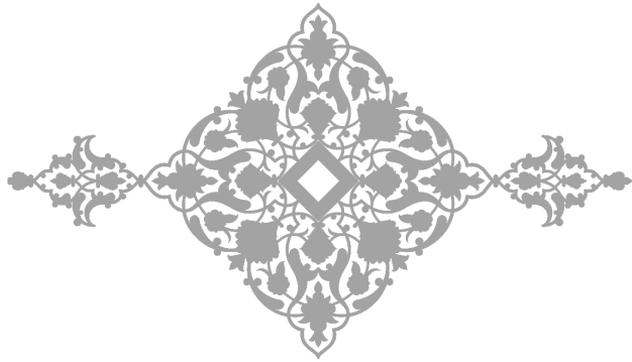
٤. مناقب آل أبي طالب ابن شهر آشوب: ص ٢٣٨.

٥. الإرشاد للشيخ المفيد: ج ٢، ص ٣٧٩.



وفي نص آخر في معرض تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ (الحج: ٦٠)، فإن الله تعالى سوف ينصر الحسين عليه السلام «يعني بالقائم من ولده»^(١)، وهذا توصيف جميل جداً لتجسيد حالة الأخذ بالثأر التي تشمل ثقافة الانتظار رجاء ظهور القائم عليه السلام.

فلا بد من إيقاظ حالة الشعور الدائم بالتقصير والاستعداد للنصرة على حد عبارة الإمام عليه السلام: «فلئن أخرتني الدهور وعاقني عن نصرك المقدور... فلأندبنيك صباحاً ومساءً ولأبكين عليك بدل الدموع دماً حسرة عليك وتأسفاً على ما دهاك وتلهفاً حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتئاب»^(٢). فالثأر المهدي للحسين عليه السلام ثقافة عقلائية ولغة دينية في استرداد الحقوق وإيقاف عجلة الظلم المستمر على الذوات المقدسة.



١. تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي: ص ٨٧.

٢. المزار للشيخ محمد بن المشهدي: ص ٥٠١.



ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

مقارنة نوعية لموعود المسيحية مع

موعود الشيعة

موسى جوانشير

ترجمة: السيد جلال الموسوي

المقدمة:

إنَّ الاعتقاد بالموعود والإيمان بالمنجي، بمعنى المخلص الذي تنتهي بظهوره معاناة البشرية من آلامها ومحنها، وتبدل مظلوميتها واضطراباتها إلى بسط العدل والقسط والاستقرار والسعادة، لَهِيَ من المواضيع التي اتَّفقت عليها كلمة كلِّ الأديان الإلهية.

ففكرة النجاة، هي من أبرز وأهم هموم البشرية جمعاء، وخاصة البشرية في العصر الراهن، والتي طالما عانت الأمرين من الظلم والجور ومصاعب الحياة، فضاقت بها ذرعاً، فطفقت تبحث هنا وهناك عن طريق الخلاص الذي يوصلها إلى غايتها المنشودة.

وقد تميز من بين الأديان الإبراهيمية، في الاهتمام الجاد والبحث في هذا المجال، دينان بارزان هما الإسلام (الشيعة الإمامية الاثنا عشرية) والمسيحية (والتي ترتبط، بل تندكُّ في الديانة اليهودية التي كانت الحظن الذي نشأت فيه المسيحية وأخذت الكثير من تعاليمها منها، وإن كانت قد انفصلت واستقلَّت عنها تدريجياً فأخذت عنوانَ دين مستقل جديد)، وأتباع هاتين الديانتين أولوا اهتماماً واضحاً وكبيراً لهذه المسألة، فأعلنوا آراءهم الصريحة والشفافة حولها.



وسنحاول في هذا المقال، عقد مقارنة موضوعية نوعية بين المنجى الموعود عند هاتين الديانتين، أي الإسلام (الشيعة) والمسيحية، وبيان ماهية ونوع المنجى، ليتسنى لنا تبيين ماهية الموعود، ماهية الوعد، الرسالة المعنوية أو الاجتماعية، دور الموعود العالمي ومعرفة واطلاعه على أحوال العالم و.... ومن ثمَّ نحصل على الجواب الشافي والوافي على أسئلة تَرُدُّ إلى الذهن مُفادها: هل ينطبق المنجى الموعود المسيحي على المنجى الموعود عند الشيعة؟ وهل إنَّ الموعود المنجى واحدٌ أم متعدّدٌ؟ ومن هو المنجى الواقعيّ؟ وهذا الأمر يفتح آفاقاً واسعة للحوار بين الإسلام والمسيحية، ومن شأنه أن يقرب بين أتباع الديانتين إلى حدٍّ بعيد.

نقول:

أولاً: خصوصيات الموعود المسيحي:
ألف: الميلاد الإعجازي:

في المصادر المسيحية: حملت السيدة مريم عليها السلام، أمُّ عيسى عليه السلام، الذي يعتبر الموعود المنجى عند النصارى، بلا واسطة الأب، وإنما حملت من روح القدس. أراد زوجها يوسف أن يهجرها، فأناه ملك من ملائكة الله في عالم الرؤيا وقال له: (يا يوسف بن داود، لا توجل من زوجك مريم، فإنَّ ما في بطنها من روح القدس، وإنَّها ستلد غلاماً واسمه عيسى، وإنَّه سيخلص أمته من الذنوب)، فأفاق يوسف من النوم، وعمل بما قال له الملك، وأخذ زوجته، ولم يقرها حتى وضعت ولدها الأوّل وسمّته بـ(عيسى)^(١).

وطبقاً لما جاء في المصادر الإسلامية، فإنَّ اليهود اتَّهموا السيدة مريم عليها السلام وأشاعوا الافتراءات عليها حتى وصل بهم الأمر إلى نسبة عدم العفاف إليها!

١. إنجيل متي ١: ٥٢-٨١.



وقد وصفهم القرآن الكريم بأنهم جاءوا ببهتان عظيم، وذمهم ذمماً صريحاً بسب افتراءاتهم، فقال تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَبِكْفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١٥٦).

ب: صَلْبَ عَيْسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعُرُوجَهُ إِلَى السَّمَاءِ:

إن نظرة المسيحية في خصوص صلب عيسى عليه السلام تتفاوت عن وجهة نظر الإسلام. فقد أسهبت الأناجيل الأربعة في بيان قضية اعتقال عيسى عليه السلام وأسره وصلبه. فطبقاً لما قاله المسيحيون الأوائل، فإن عيسى عليه السلام كان قد تنبأ ليس فقط بقتله على يد المخالفين له، بل وأنه كان يعلم بمن سيخونه ويسعى في القبض عليه، ولذا فإنه عليه السلام قد عقد جلسة مع حواريه، وأكل معهم الوجبة الأخيرة في حياته، ليمهد للحواريين الاثني عشر مسألة مفارقتهم. وبعد فترة وجيزة قام أحد تلامذته، واسمه يهودا الأسخريوطي بتسليم عيسى عليه السلام إلى مجموعة من مخالفيه الذين جاءوا بالعصي والسيوف للقبض عليه، وذلك في بستان اسمه (جشيماني)، وكان رئيس الكهنة آنذاك هو الذي أرسلهم لهذه المأمرية.

ولما ألقوا القبض على عيسى عليه السلام اصطحبوه إلى مجمع الكهنة ومجلس شورايم، فأجمعوا على الحكم عليه بالكفر، وقرروا معاقبته بالقتل. ثم أرسلوه إلى (بيلاطس الرومي) لينفذ فيه حكم الصلب.

ولم تمض من النهار إلا ثلاث ساعات حتى أصدده على خشبة الصلب، في الوقت الذي اجتمع حول خشبة صلبه عدد من الناس وهم يهتفون بهتافات معادية لعيسى عليه السلام، بينما كان هو يدعو لهم بالمغفرة ويطلب من الأب أن يغفر لهم لأنهم يجهلون بما يقومون به^(١).

١. إنجيل لوقا ٤٣: ٣٢.

وكان المسيح ﷺ يقول بصوت عال: إلهي - إلهي! لماذا تركتني؟ حتى فارقت روحه الدنيا!

ويعتقد المسيحيون بأن عيسى ﷺ قد تحمّل العذاب والصعاب من أجل أن يكفّر عن ذنوب أبناء نوعه، فيرحمهم الربّ.

ويعتقدون أيضاً، بأن أحد أعضاء شورى الكهنة، ومن المتنفذين في الحكم، قد أخذ جثمان عيسى النبي ﷺ ودفنه في قبر جديد مصنوع من الصخور، كان قد أعدّه لنفسه، لكي لا يبقى جسد عيسى ﷺ على الصليب إلى يوم السبت.

وفي صبيحة اليوم الثالث، كانت عدّة من النسوة من أقارب عيسى ﷺ في طريق عودتهنّ إلى الجليل، فمررنّ بقبر عيسى ﷺ لتجدد العهد به، ففوجئن بعدم وجوده في القبر، فدهشنّ لذلك، وأردنّ العودة، فظهر لهنّ بعض الملائكة وقالوا لهنّ: (إنّ عيسى قد قام عن الأموات)^(١).

وخلافاً للكتاب المقدس، فإنّ المصادر الإسلامية تنفي قضية صلب السيد المسيح ﷺ، بل وتصرّح بأنّ الله تعالى قد رفعه إليه، قال تعالى:

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَتْبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾
(النساء: ١٥٧ و ١٥٨).

ج: الألقاب والأسماء:

إنّ الألقاب والأسماء التي أُطلقت على السيد المسيح ﷺ، في الأناجيل والقرآن الكريم، عديدة، وكلُّ واحد منها يحكي عن جنبه من جنبات رسالته. وأهم تلك الأسماء والألقاب هو:

١. جان باير ناس، ٣٨٣١: ص ٦-٤٦.



١. عيسى: في البدء كان المنجي الموعود عند المسيحيين يسمى بـ(يهوشاعا، يسوع)، وهي لفظة عبرية تعني (نجاة الله).

وقد أبدلت هذه الكلمة بين الرومان واليونانيين إلى (يسوس) وهي التي صارت في العربية (عيسى)^(١).

وقد فسّر الإنجيل هذه اللفظة بمعنى (الله المنجي)، والذي يخلص أمته من الذنوب والرذائل.

٢. ابن الإنسان: لقد ورد هذا اللقب في العهد الجديد بما يقارب الثمانين مرة، والمقصود به السيد المسيح ﷺ.

وقد ورد في كتاب دانيال اسم (ابن الإنسان) وأنه الشخص الذي سيظهر في آخر زمان المحن والمصاعب، وأن الله سيمنحه الحكومة والملك والقضاء بين الناس. ويعتقد المسيحيون بأن عيسى ﷺ هو الذي سيحقق تلك الآمال ويتولى ذلك المقام^(٢).

٣. ابن الله: وهذا اللقب في عرف المسيحيين، لا يراد منه الولادة الجسمانية لعيسى من الله، وإنما يراد منه الإيمان بالارتباط الوثيق والثابت بين عيسى وبين الله^(٣).

٤. المسيح: يمكننا اعتبار أن اسم (المسيح) هو الاسم الثاني لعيسى ﷺ^(٤)، والإنجيل الرابع يذكر هذا الاسم مراراً وتكراراً، وهو مأخوذ من الكلمة العبرية (ماشياح) (مسيح) بمعنى (المدّهَن). ففي الديانة اليهودية، يتم تدهين بعض الأشخاص الذين يُنتخبون لأداء مأمورية دينية مهمة، يدهن خاص،

١. التوفيقى ٤٨٣١: ص ٣١.

٢. ميشيل ٧٧٣١: ص ٩٦.

٣. ميشيل ٧٧٣١: ص ٨٦.

٤. ميشيل ٧٧٣١: ص ٧.

ولهذا السبب فإن هؤلاء الأفراد يتميزون عن سائر الناس ويكون لهم صبغة دينية وقداسة واحترام^(١).

وقد عبّر القرآن الكريم عن عيسى عليه السلام بأسماء عديدة مثل: (المسيح)، (عبد الله)، (المبارك)، (كلمة الله)، وفي المصادر الروائية الإسلامية عبّر عنه أيضاً بـ(روح الله)، فهو لقب عيسى بن مريم عليه السلام. ومن جملة ألقابه الأخرى (معلم الخير) و(روح الأمين) وقد وردا في الروايات أيضاً^(٢).

د: الخصائص الظاهرية:

لم تتعرض المصادر المسيحية لشخصية عيسى بن مريم عليه السلام إلا بإيجاز، فلم يرد ذكر خصوصياته ومميزاته الظاهرية إلا الشيء القليل، ولكننا ومن خلال اقتناص بعض هذه المميزات من بين صفحات الكتاب المقدس، نستطيع أن نصفه بهذه الصفات:

قال (جيمز هاكس) في قاموس الكتاب المقدس: إن عيسى شخص معتدل القامة، ذو شعر أشقر مسرّح إلا عند أذنيه حيث يظهر عليه التجعد واللمعان. وكان يفرق شعره من وسط رأسه إلى قسمين. له جبهة مستوية ناعمة، ليس في وجهه علامات فارقة، وكان لون وجهه مائلاً إلى الحمرة، وله لحية كاملة وتامة بلون شعر رأسه. وكانت عيناه زرقاوتين براقيتين، وله يدان تامّتا الخلقة جميلتان^(٣).

١. زيبايي نژاد ٢٨٣١: ص ٨١.

٢. الحيدري الكاشاني، ٨٨٣١: ص ٦٧٤.

٣. هاكس، ٧٧٣١: ص ٧٠٨.



وفي المقابل، فإن المصادر الإسلامية، وخاصة روايات أهل البيت عليهم السلام، تعطينا معلومات مفيدة وهامة في خصوص صفات السيد المسيح عليه السلام، نشر إلى بعضها:

لقد كان عيسى عليه السلام متوسط القامة، ذا بشرة بيضاء مائلة للحمرة، وله شعر مجعد، وقد وُلد - كما هو شأن بعض الأنبياء عليهم السلام - مختوناً. ولقد صار في الثالثة من عمره حجة لله على عباده وعلى يحيى بن زكريا عليهما السلام أيضاً. وقد حصل على مقام الرسالة في السابعة من عمره، ولكنه أمر بتبليغ هذه الرسالة إلى الناس في عمر الثلاثين حيث أعلن عن رسالته لبني إسرائيل. وقد أُوحى إليه في جبل ساعير، وكان عمره يوم رفعه الله إلى السماء ثلاثة وثلاثين سنة^(١).

هـ: الخصائص الأخلاقية:

لقد كان عيسى بن مريم عليه السلام قليل الكلام، لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة، ولم يترك الأولى^(٢).

ولقد كانت أصول مبادئه وتعاليمه روحانية محضة، خلافاً لشرعية موسى عليه السلام التي كانت سياسية وروحانية في ذات الوقت. فلقد كان عيسى عليه السلام يمنع من المقارعة السياسية للحكومة وكان متنفراً من الحرب وإراقة الدماء والعنف، وقد كان يتنازل عن حقه حقناً للدماء ورغبة في إقرار الصلح والوئام والإصلاح^(٣).

وكان يوصي الآخرين بأن يكونوا كذلك.

كان عيسى عليه السلام مطيعاً للقوانين الحكومية ومخالفاً للنشاطات المسلحة المضادة

١. زيبايي نژاد ٢٨٣١: ص ٦٦-٨٦-٩٦.

٢. زيبايي نژاد ٢٨٣١: ص ٦٦-٩٦.

٣. إنجيل متى ٥: ٨٣.



للدولة، ولكنّه مع ذلك كان شجاعاً^(١)، حيث وقف بصراحة وصرامة في وجه رجال الدين الفاسدين في زمانه، وثار ضدّهم^(٢).

كان عيسى بن مريم عليه السلام، متواضعاً جداً^(٣)، وفي العشاء الأخير الذي كان له مع حواريه، قام بغسل أرجلهم واحداً واحداً بيده المباركة.

لقد كان عيسى عليه السلام غيوراً جداً، مظلوماً، صابراً^(٤)، حليماً، حنوناً^(٥)، مطيعاً لله تعالى^(٦)، وكان مقرراً بعبوديته لله تعالى^(٧).

مضافاً إلى ذلك، فإنّ عيسى عليه السلام كان منطيقاً خطيباً، حذقاً، نبهاً سريع البديهة، وقد دلّت على ذلك مضامين الأناجيل^(٨).

ولقد كان عيسى عليه السلام مضرباً للمثل في الزهد والورع وكثرة العبادة. صوّماً، يلبس الخشن من اللباس، ويأكل خبز الشعير. وكان كلّما غابت الشمس، وأينما كان، يقف لأداء الصلاة والعبادة حتّى تشرق الشمس. كان يصل المحتاجين المعوزين، ولم يكن يدّخر طعاماً لنفسه أبداً، وكان يقول: إنّ الذي أطعمني صباحاً سيطعمني مساءً. كان عيسى عليه السلام يفرُّ جداً من النساء ومعاشرتهم.

لقد كان عيسى عليه السلام يجمع بين البكاء والابتسامة، فتارة كانت الابتسامة على شفّته، وتارة تجده باكياً. وكان يحج في شهر ذي الحجة^(٩).

١. إنجيل متى ١٢: ٢١.

٢. إنجيل متى ١٢: ٢١.

٣. يوحنا ٤: ٣١.

٤. متى ١١: ٩٢.

٥. متى ٥١: ٩.

٦. متى ١٥: ١٠.

٧. سورة مريم ٩١، الآية ٣٠.

٨. إنجيل لوقا: ٢٠: ٢٠، إنجيل متى ٢٢: ٥١.

٩. زيبايي نزاد، ٢٨٣١: ص ٨٦.

وفي هذا التصور والإدراك للنجاة، نحن نواجه منجياً عالمياً لا كبش فداء لأشخاص وأفراد معدودين مذنبين. فهذا النوع من النجاة، ويأجماع كلّ المسيحيين، وهو تخلص عيسى عليه السلام لكل الناس ورفع الظلم والجور والتشردم والتشتت والاضطراب، وهو ما لا يتحقق إلا في ظلّ حكومة عادلة عالمية مركزية.

والنجاة بهذا المعنى، نجاة مؤقتة بزمان معين (يتحقق في وقت خاص استناداً إلى تنبؤات خاصّة)، ونجاة اجتماعية ومعنوية (يهتم بالجانب المعنويّ كما يهتم بالجانب الدنيويّ والرفاه الماديّ)، ونجاة عالميّة (ذات رسالة عالمية ولا تنحصر بأمة دون أمة)، مستقبليّ.

ففي هذا النوع من النجاة، نحن نواجه منجياً، له أهداف سامية كبيرة كإقامة العدل ونشره وضبط الأمن والرفاه الاجتماعي، مضافاً إلى دوره في نشر الهداية المعنوية.

وهنا، وبالالتفات إلى التصوّرين المسيحيين السابقين عن المنجي، نريد أن ندرس دور عيسى عليه السلام ومهمته ومقامه طبقاً لما جاء في التراث الشيعي.

١. النبيّ: إنّ الإسلام يعتبر عيسى عليه السلام نبياً من أنبياء الله، أي ذلك الشخص الذي جاء برسالة من السماء لأهل الأرض من البشر وأتته وقف بوجه انحرافات رجال الدّين اليهود، وحارب ظلم المحرومين^(١).

وهو من أنبياء أولي العزم عليهم السلام، وله مقامُ العصمة، وكان عنده اسمان من أسماء الله العظمى. وكان كثير السّياحة والسفر وكان يبلغ رسالته عملياً بسلوكه^(٢).

١. ميشل ٧٧٣١: ص ١٧.

٢. زيبائي نّزاد: ص ٦٦-٦٩.



٢. المنجي: وقد ورد تسميته بهذا الاسم، ويعني أن الله تعالى ينجي البشر على يديه^(١).

٣. صاحب معجزة: إن الكتاب المقدس ينقل تقارير عن كرامات ومعجزات السيد المسيح ﷺ، كشفاء المعتوهين^(٢) وشفاء الأصم والأبكم^(٣)، والمشي على الماء^(٤)، وإحياء الموتى^(٥) وغير ذلك.

ولكن الذي ورد في الروايات الإسلامية وآيات القرآن الكريم من معجزات عيسى ﷺ هي أكثر وأهم من المعجزات الواردة في المصادر المسيحية، كتكلم عيسى ﷺ في المهد بذلك الكلام الذي يتضمن مضامين عقائدية وأخلاقية عميقة وسامية، مضافاً إلى إخباراته بالمغيبات وبالمستقبل، والتي تعدُّ جميعها سنداً مهماً على حقانية عيسى ﷺ^(٦)، ودعائه وطلبه إنزال مائدة من السماء وإجابة الله تعالى لطلبه^(٧)، وكذلك خلقه من الطين طيراً ونفخه فيه الحياة^(٨).

٤. عيسى ﷺ ومقام الألوهية: كلُّ الأناجيل تعتقد بشرية عيسى ﷺ، ولكن إنجيل (يوحنا) عبّر عن عيسى ﷺ بأنه (كلمة الله) التي صارت جسماً. كما تعتقد الأناجيل بأنَّ عيسى ﷺ قد حصل على الألوهية، وأنَّه أزلي، ولهذا فإنَّه يفعل فعل الله، ويتكلم كلام الله. وتعريف عيسى ﷺ بهذه الصفات، ابتدع في كتابات (بولس).

١. نفس المصدر.

٢. لوقا ٤: ٣٥.

٣. مرقس ٣٥-٣٢: ٧.

٤. متى ١٤: ٢٥.

٥. لوقا ٧: ٢١-١٦.

٦. سورة مريم ٣٠-٣٣.

٧. سورة المائدة ٥: ١١٤-١١٥.

٨. سورة آل عمران، الآية ٤٩.

يعتقد (توماس ميشيل) في كتابه (الكلام المسيحي) أنّ هذا اللقب عنوان فاعلية عيسى عليه السلام، ويقول:

إنّ هذا اللقب يمنح لمن يمتلك القدرة والسلطة. وباعتقاد المسيحيين أنّ الله تعالى عندما بعث عيسى عليه السلام ونشره من القبر بعد موته، أعطاه هذا اللقب. وهذا اللقب إشارة إلى أنّ عيسى عليه السلام هو الوسيط الوحيد بين الله والبشرية. ومضافاً إلى هذا، فإنّ لقب (الرّب) إشارة ودلالة على ما يعتقد المسيحيون من أنّ الله سيُظهر عيسى عليه السلام في آخر الزمان وأنّه سيجلس على يمين الله ليقضي بين الناس^(١).

ولكنّ آيات القرآن المجيد، والروايات الإسلامية تنكر ألوهية عيسى عليه السلام، وتعتبره كسائر مخلوقات الله تعالى بشراً وعبداً من عباد الله تعالى^(٢).

٥. المقرّ ملكوت الله تعالى: إنّ ملكوت الله تعالى في الحقيقة، هو تحقّق الوعود الإلهية التي قطعها الله تعالى لداود عليه السلام، والتي تتضمن استقرار ملكه وسلطنته إلى الأبد، وأنّ هذه الوعود ستتحقّق بمجيء عيسى عليه السلام ورجوعه إلى عالم الدنيا. والمراد من ملكوت الله تعالى في هذه الوعود، مجموعة المبادئ المعنوية والاجتماعية التي سيحقّقها عملياً عيسى عليه السلام، من خلال تشكيل الحكومة الإلهية (ملكوت الله) في آخر الزمان^(٣). ولكنّ نفس عيسى عليه السلام لم يدع مثل هذا الادّعاء.

٦. المنجي العالمي: إنّ عيسى عليه السلام ينكر نظرة اليهود الضيقة حول انحصار النجاة في قوم بني إسرائيل، فهو مُنَجِّ عالمي لكلّ البشرية جمعاء، كما جاء

١. ميشيل ١٧٣١: ص ٩٦.

٢. سورة مريم: ٣٠.

٣. صادق نيا - المحراب: ص ٨٣٢.



ذلك في كتاب (التاريخ الجامع للأديان)، حيث يقول: جاء في إنجيل متي: (أقول لكم أنّ أناساً سيأتون من المشرق والمغرب، ويجلسون في ملكوت السماء مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ولكنّ أبناء الملكوت سيلقون إلى الخارج، وسيبقون في الظلمة الخارجية التي ليس فيها إلا البكاء والشقاء). وعليه، فالملكوت الإلهي ليس محدوداً بحدٍّ ولا هو محصور بحصرٍ لعدة من صالحى اليهود، وإنما هو دائرةٌ أخوّيةٌ محيطها شامل لكلّ أقوام العالم^(١).

النتيجة:

طبقاً لما تقدّم من البيان، يمكن القول بأنّ الموعد المنجى المسيحي هو موعد معينٍ شخصي، أي لا يمكن لكلّ أحدٍ أن يكون الموعد المسيحي، حتّى لو توفّرت له الشروط والظروف. وذلك الموعد هو شخص بعينه بخصوصيات بشرية، وإن كان قد حصل على عدّة خصوصيات إلهية. وبناءً على تقارير الأنجيل، فإنّ الموعد المسيحي، سيرجع إلى العالم وحينئذٍ سيظهر قدراته إلى الفعلية. كما إنّ ماهية النّجاة عند المسيح المنجى فردية تتحقق بصرف إيمان الأشخاص به (فهو في هذا المجال كما ذكرنا آنفاً ليس إلا واسطة بين البشر وبين الله تعالى وليس منجياً عالمياً) وهي أيضاً نجاة جماعية شاملة لا تنحصر بنجاة قومٍ دون قوم، ولا منطقة دون منطقة.

إنّ فعالية هذا المنجى الموعد، تشتمل على جنبه معنوية وجنبه اجتماعية، بمعنى أنّه سيسعى لتحقيق الأوامر والفرامين الإلهية وينشر رسالة الإنجيل، ولكنّه لا يتحدّد بهذا المقدار، وإنّما سيتحرك في مجالات الحياة الأخرى وينشر الرفاه والعدل والاستقرار في كل بقاع العالم.

١. جان برناس: ص ٥٩٥.

وإذا لاحظنا المستقبل، باعتبار تحقق أو عدم تحقق رجوع المنجي، أمكننا القول بأن عيسى عليه السلام هو من موعودي المستقبل، ولذا فإنه برجوعه إلى الدنيا، ستتحقق تغييرات عالمية، وتظهر بعض العلائم الطبيعية، فتكون حركته حركة عالمية.

ثانياً: موعد الشيعة:

١ - الولادة الإعجازية:

كانت ولادة الإمام المهدي عليه السلام، ليلة الجمعة، في النصف من شعبان^(١) في مدينة سامراء، عاصمة العباسيين، سنة (٢٥٥هـ).

كان الاضطراب والتخوّف سائداً بين حكام بني العباس الغاصبين للخلافة. فلقد كانت الأخبار الصادرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في خصوص ولادة الإمام المهدي عليه السلام قد وصلت إلى أسماعهم، من أن الإمام الحسن العسكري عليه السلام سيولد له ابنٌ، سيقض مضاجع الحكام الطغاة وينشر العدل والقسط في العالم أجمع.

وفي مثل هذه الأوضاع، كان الحاكم العباسي (المعتصم)، وهو ثامن ملوك بني العباس، الذي بدأت حكومته سنة (٢١٨هـ)، قد أصدر أمراً لتلافي ذلك، من خلال مراقبة النساء الحوامل في بيت الإمام عليه السلام، وقد أدّى هذا الأمر الجائر إلى مقتل عدّة نساء بريئات. فقد كان هذا الحاكم الجائر يرسل القوابل إلى بيت الإمام العسكري عليه السلام للتجسس على النساء الحوامل.

ومع اقتراب ولادة الإمام المهدي عليه السلام، والإحساس بالخطر من قبل حكام بني العباس، سعى المعتصم إلى معرفة موعد ولادة الإمام المهدي عليه السلام للقبض عليه وتصفيته، ولكن المشيئة الإلهية أقوى من طغيان الطغاة، حيث اقتضت

١. الشيخ الصدوق، كمال الدين، ج ٢، ص ١٥٥.



إرادة الله تعالى أن يولد هذا المولود المبارك، فبقيت آثار حمل أمّ الإمام المهدي عليه السلام، السيدة نرجس عليها السلام، خافية وبعيدة عن أعين الجواسيس، فنجى حجة الحق من الأذى والقتل، وتشرف العالم بقدمه المبارك رغم كل المحاولات الخبيثة.

٢ - الآباء والنسب:

المهدي عليه السلام ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، أمّه السيدة نرجس، وهي مليكا بنت يشوع ابن قيصر ملك الروم.

وهذه السيدة الجليلة من أولاد الحواريين، وتنسب إلى شمعون الصفا، وصيّ السيد المسيح عليه السلام، والتي سمّت نفسها نرجس حين أسرها من قبل جيش المسلمين لكي لا يُعرف أمرها^(١).

وعندما حملت السيدة نرجس عليها السلام بالإمام المهدي عليه السلام وغشاها نور وجوده المقدس، سمّاها الإمام العسكري عليه السلام بـ(صقيل).

عندما وُلد الإمام المهدي عليه السلام، سلّم على أمّه.

وعندما أخبرها الإمام العسكري عليه السلام بما سيجري عليهم بعد استشهادها طلبت منه أن يدعو الله لتكون وفاتها قبل وفاة الإمام العسكري عليه السلام، وقد كان كذلك، حيث رحلت هذه السيدة عن عالم الدنيا في حياة مولانا الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ووضع على قبرها لوح كتب عليه: «هذا قبر أمّ م ح م د»^(٢).

٣ - الأسماء والألقاب:

قد ورد في الروايات والأحاديث المهدوية، عددٌ من أسماء وألقاب إمام العصر عليه السلام. وكل واحد من هذه الأسماء والألقاب ينمُّ عن بعض صفاته وخصوصياته الواقعية وآثاره الوجودية عليه السلام.

١. الشيخ الصدوق: ج ٢، ص ٢٣١.

٢. الصدوق، كمال الدين، ج ٢، ص ١٥٧-١٥٩.



وإليكم إشارة إلى بعض ذلك:

إنَّ اسم الإمام المهدي عليه السلام: (م ح م د)، وقد ورد في بعض الروايات النهي عن تسميته باسمه^(١).

وأشهر ألقابه عليه السلام (المهدي)^(٢). ويمكن الإشارة إلى ألقابه الأخرى، مثل: (القائم)^(٣)، (بقية الله)^(٤)، (الحجة)^(٥)، (صاحب الزمان)^(٦)، (المنتظر)^(٧)، (المنصور)^(٨)، (الغريم)^(٩).

٤ - الخصائص الظاهرية:

من خلال ما جاء في الروايات، وبعض التشرُّفات المعتمدة ولقاء الإمام المهدي عليه السلام، يظهر أنَّ الإمام المهدي عليه السلام أشبه الناس بجده رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنَّه عندما يظهر يبدو وكأنَّه ابنُ الأربعين عاماً. فهو شابُّ جميل الوجه كأنَّ وجهه قرص القمر أو كأنَّه كوكب منير. ولون بشرته أبيض مائل للحمرة، على خده الأيمن خالٌ أسود وعلى جبهته أثر السجود، ذو جبهة عالية وأنف دقيق وطويل.

حاجباه طويلان كالهلالين، طلعتة منيرة وعيناه كبيرتان وبراقتان سوداوتان

١. الشيخ الصدوق: ج ١، ص ٢٨٤، ج ٢، ص ٣١٨.
٢. الشيخ الصدوق: ج ١، ص ١٠٣.
٣. الشيخ الصدوق: ج ٢، ص ٤٩٥.
٤. الكليني: ج ١، ص ٤١١.
٥. الكليني: ص ٣٢٨.
٦. الشيخ الصدوق: ج ٢، ص ٢٧١.
٧. الشيخ الصدوق: ج ٢، ص ٣٤٢.
٨. الشيخ الصدوق: ج ١، ص ٣٣٠.
٩. المفيد: ص ٣٥٤.



ثناياه مفلّجة، له جسم كأجسام رجال بني إسرائيل لكنه متوسط القامة، ذو منكبين عريضين قوين، وعريض الصدر، نحيف الساقين، على كفّ يده اليمنى خال^(١).

٥ - الخصائص الأخلاقية:

إنَّ المهدي ﷺ، كسائر الأئمة المعصومين ﷺ، يمتاز بكمالات أخلاقية خاصة. إذ أنَّ المعصومين ﷺ هم الكُمَّل من البشر، أسوة وقدوة للبشر من جميع الجهات، فلا بدَّ أن يكونوا واجدين لكلِّ الفضائل بأعلى درجاتها. فالإمام المهدي ﷺ فيه كلُّ صفات أئمة الشيعة ﷺ، كالخوف من الله، والزهد في الحياة^(٢)، العلم، الصبر والحلم، والورع والتقوى، العفو، الشجاعة، وكثرة العبادة^(٣)، فهذه جميعاً من صفاته وأخلاقه ﷺ، كما جاء في الروايات.

كما إنَّ صاحب العصر والزمان ﷺ، له شبهةٌ بكثير من الأنبياء الماضين ﷺ فهو شبيه رسول الله محمد ﷺ في الاسم والكنية^(٤). ويشبهه نبي الله يوسف ﷺ وموسى ﷺ في الغيبة. وله شبهةٌ بكثير من الأنبياء ﷺ في إراءة المعجزة والكرامة، كما أنَّه يشبه إبراهيم خليل الرحمن ﷺ في خفاء الولادة... إلخ موارد الشبه بينه وبين الأنبياء ﷺ.

٦ - دوره ومقامه (المقام، المنزلة، العصمة، الإمامة...):

وهنا نحاول دراسة دور ومقام المنجي عند الشيعة، من خلال ما تقدّم من بيان، وما تمَّ تحقيقه.

١. الجعفري: جمال يار.

٢. النعماني: ص ٢٣٣.

٣. القندوزي: ص ١٠٤.

٤. معجم أحاديث الإمام المهدي ﷺ: ج ١، ص ٤٩.

إنَّ إمام العصر عليه السلام، هو محور ومدار عالم الوجود. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الأئمة من بعدي اثنا عشر، أوَّلهم أنت يا علي، وآخرهم القائم الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها»^(١).

واستناداً إلى هذا الحديث وأمثاله، فإنَّ الشيعة يعتقدون بأنَّ الإمام المهدي عليه السلام يتمتع بعدة مقامات، فهو فردٌ ممتاز لا يقاس به سائر أفراد المجتمع البشري. لقد منح الله تعالى الإمام المعصوم قابلية التصرف في عالم الوجود والتكوين، وأعطاه مقام هداية العالمين. فعالم الوجود لا يستقر لحظةً واحدة بدون وجود الإمام المعصوم عليه السلام. وهو واسطة الفيوضات الإلهية للبشرية^(٢).

فالإمام عليه السلام هو علة انسجام أجزاء عالم الوجود. فلا يمكن تصوُّر وجود عالم بدون وجود الإمام عليه السلام، وقد تكون الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام ناظرة إلى هذا الموضوع. قال عليه السلام: «لوبيت الأرض بغير إمامٍ لساخت»^(٣).

باعتماد الشيعة، فإنَّ الإمام المهدي عليه السلام، واجد لملكة العصمة، فهو مصونٌ من ارتكاب أيِّ ذنب وخطأ ببركة هذه العصمة التي يتمتع بها. فهو من عترة وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله^(٤).

إنَّ الإمام المهدي عليه السلام، يتمتع بمقام عظيم عند الله تعالى وعند الأئمة المعصومين عليهم السلام^(٥).

١. معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج ١، ص ٣١٣.

٢. لطيفي: ص ١١١.

٣. الكليني: ج ١، ص ٢٥٢.

٤. مجموعة من الكتاب: ج ١، ص ١٨ و ٥١١.

٥. الشيخ الصدوق: ج ٢، ص ٤٧٣؛ النعماني: ص ٦٤٣.



ومن خلال ما جاءنا في المصادر الشيعية المعتبرة، يمكننا الجزم بأن الإمام المهدي عليه السلام، وارثٌ لسُنن جميع الأنبياء عليهم السلام، إذ إنه وارث كل الأنبياء عليهم السلام. ففي الإمام القائم عليه السلام، سُنّة من موسى ويوسف وعيسى عليهم السلام ومحمد صلى الله عليه وآله. فسُنّته من موسى عليه السلام هو أنه خائف مترقب، وسُنّته من يوسف عليه السلام هو عدم معرفته، كما هو الحال في عدم معرفة إخوة يوسف له حينما كانوا يكلمونه في مصر، بعد أن كانوا قد باعوه بثمن بخس.

وسُنّته من عيسى عليه السلام السياحة في الأرض.

وسُنّته من محمد صلى الله عليه وآله، السيف^(١).

إنه الإمام الذي سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً^(٢).

ومن جهة الماهية، فإن المنجي الموعود عند الشيعة، شخصٌ معين بعينه ومتعين، وليس شعاراً غير متحقق الآن وسوف يتحقق في المستقبل من الزمن، بل هو فردٌ معين من سابق الزمن.

وقد ورد في مضامين الروايات ذكر مواصفاته الشخصية بصراحة ووضوح، من قبيل الاسم واسم الأب وأسماء الآباء والأجداد، والملامح الشخصية و... إلخ. وعليه، فليست القضية قضية كلية يمكن أن تنطبق على أكثر من فرد أقدم على جملة من الإصلاحات التي تصبُّ في قناة نجاة البشرية.

فالمنجي الموعود عند الشيعة، يكون تخليصه تخلصاً لكل البشرية وفي كل الأرض. والشاهد على هذا المدعى عبارة «يملاً الأرض..» التي وردت في الروايات الواردة في هذا المضمار^(٣).

١. الشيخ الصدوق: ج ١، ص ٥٦ و ٣٠٣.

٢. الشيخ الصدوق: ج ١، ص ٥٣٥.

٣. معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام.

والبرامج التي يعتمدها المنجي الموعود عند الشيعة، تُؤمّن للبشرية السعادة الدنيوية، كما أنّها ناظرةً إلى السعادة الأخروية أيضاً، ولذا فإنّ مخططاته المنجية، مخططات اجتماعية وروحية في نفس الوقت. ففي ظلّ حكومته العالمية، يعمّ العالم الرفاه والأمن ويستتبع السعادة الدنيوية للبشرية، إلى جنب انتشار الدين التوحيديّ ومبادئ الإسلام في كلّ بقاع المعمورة.

وقد ورد في الروايات أنّ المنجي الموعود الشيعيّ سيدعو الناس عامّة إلى كتاب الله المجيد وسُنّة النبي محمد ﷺ.

وإذا ما جعلنا مسألة الانتفاء إلى الماضي أو المستقبل مناطاً للوعود الموعود به، أمكننا القول بأنّ المنجي الموعود الشيعيّ يتمي إلى الماضي بلحاظ وإلى المستقبل بلحاظ آخر. فانتفاءه إلى الماضي إنّما هو بلحاظ تجديده لشريعة جدّه المصطفى ﷺ وسُنّته وإحياء دينه، وإن كان ما سيقوم به يفوق بكثير ما تقدم من إصلاحات في زمن رسول الله ﷺ، بل هو أكبر بكثير مما قام به كلّ الأنبياء عليهم السلام، فليس لدعوته وإصلاحاته نظير ومثيل في تاريخ البشرية. وأمّا انتفاءه إلى المستقبل وتعلّقه به^(١)، فهو باعتبار عدم تحقّق قضيته لحدّ الآن، فهو من موعودي المستقبل.

وأما من جهة التأثير والتغيير، فإنّ قضية المنجي الموعود كونية، إذ يظهر من ثنايا الروايات الواردة في قضية آخر الزمان، حصول متغيرات كونية كالوقائع والبلايا الطبيعية مما يغير وجه العالم^(٢).

١. محمدي مظفر: ص ١٨٢.

٢. معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام.

٣. في الإمام المهدي عليه السلام سنة من عيسى عليه السلام:

يقول الإمام الصادق عليه السلام في هذا الباب:

«أَمَّا غَيْبَةُ عَيْسَى عليه السلام فَإِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّفَقَتْ عَلَى أَنَّهُ قُتِلَ فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ تعالى بِقَوْلِهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ كَذَلِكَ غَيْبَةُ الْقَائِمِ عليه السلام فَإِنَّ الْأُمَّةَ سَتُنَكِّرُهَا لِطُوبَاهَا فَمَنْ قَائِلٍ يَقُولُ إِنَّهُ لَمْ يُؤَلَّدْ وَقَائِلٍ يَفْتَرِي بِقَوْلِهِ إِنَّهُ وُلِدَ وَمَاتَ وَقَائِلٍ يَكْفُرُ بِقَوْلِهِ إِنَّ حَادِي عَشْرًا كَانَ عَقِيمًا وَقَائِلٍ يَمْرُقُ بِقَوْلِهِ إِنَّهُ يَتَعَدَّى إِلَى ثَالِثِ عَشَرَ فَصَاعِدًا وَقَائِلٍ يَعِصِي اللَّهَ بِدَعْوَاهُ أَنَّ رُوحَ الْقَائِمِ عليه السلام يَنْطِقُ فِي هَيْكَلٍ غَيْرِهِ»^(١).

٤. عمر السيد المسيح عليه السلام طويل، وبذلك يمكن تفسير طول عمر الإمام

المهدي عليه السلام.

٥. إنَّ ألقاب كلِّ من السيد المسيح والإمام المهدي عليه السلام تشير إلى جهة من جهات رسالتها في نجاة وخلص العالم، وكلاهما له غيبة، وهدف كلِّ منهما إجراء الأحكام الإلهية.

٦. لقد منح الله تعالى كلاً من السيد المسيح والإمام المهدي عليه السلام الإذن في التصرف في النشأة الطبيعية، ولذا فإنَّ كلاً منهما صاحب معجزات وكرامات.

٧. إنَّ كلا المنجيين الموعودين، شخصان متعينان، وأنَّ نوع تخلصهما للبشرية بنحوين؛ فردي واجتماعي وهي طريقة تخلص ونجاة شاملة وعالمية، وليست منحصرة في جغرافية محددة، أو مختصة بقومية دون أخرى، وإنَّها بمنهج ومخطط عالمي.

١. الشيخ الصدوق: ج ٢، ص ٢٧١.

ب - التفاوتات:

إنَّ مقام الإمام أعلى وأفضل من مقام النبيّ ولذا فإنَّ مقام الإمام المهديّ ﷺ هو أعلى وأفضل من مقام عيسى عليه السلام. يقول الإمام الباقر عليه السلام في هذا الشأن: «... حتّى ينزل عيسى بن مريم من السماء ويقتل الله الدجال على يديه ويصلح بهم رجلاً من أهل البيت. ألا ترى أنّ عيسى يصلي خلفنا وهو نبي، ألا ونحن أفضل منه»^(١).

إنَّ المنجي الموعود عند المسيحية، هو من سيرجع إلى عالم الدنيا، وهذه المسألة صارت سبباً لاستدامة إيمان المسيحيين، بل وقد أثرت على الكثير من آدابهم وطقوسهم، كما أنّها أعطت معنى لبعض فقرات الكتاب المقدس، ولكننا مع ذلك نرى بأنَّ المسيح الذي ذهب إلى السماء لم يؤثر ذلك التأثير في المجتمع المسيحيّ، ولا يرتبط المجتمع المسيحي به كثيراً. بعكس المنجي الموعود عند الشيعة فإنَّ المجتمع الشيعي لم يفقد الارتباط به حتّى عند غيبته، لأنَّه عليه السلام باعتقادهم يقوم الآن بأداء وظائف الإمامة الخطيرة.

فشعاع ودائرة عمل الإمام المهديّ ﷺ الاجتماعي أوسع بكثير من شعاع ودائرة عمل السيد المسيح في الوقت الراهن، كما إنّ إقدامات وبرامج موعود الشيعة أهم وأغنى من إقدامات المسيح عليه السلام مما يمكن معه القول بأنَّ مخطّط الإمام المهديّ ﷺ مخطّط عالميّ ينسجم مع فكرة الحكومة الإسلامية العالمية. وفي مجال ارتباط الموعود المنجي بالماضي أو بالمستقبل نقول: إذا جعلنا عدم تحقّق النجاة والخلاص الفعلي ملاكاً، فلا بد من القول بأنَّ كلا الموعودين المنجيين هما من الموعودين ذوي النظرة المستقبلية، وأمّا إذا أخذنا محتوى الدعوة ملاكاً، فلا بدّ من القول بأنَّ منجي الشيعة يعدُّ موعوداً مرتبطاً بالماضي

١. المجلسي: ج ٤١، ص ٣٤٨ و ٣٤٩.

لأنه سيحيي دين جدّه محمد ﷺ، وبلحاظ آخر، هو موعود مستقبلي، باعتبار ما سيقوم به من إنجازات لم تتحقق حتى على يد جدّه المصطفى ﷺ، فضلاً عن تحقّقها على يد من سبقه من الأنبياء ﷺ. وأمّا الموعود المنجي عند المسيحيين، فهو موعود مستقبلي محض.

ج - من هو المنجي الموعود؟

إلى هنا قمنا بتعريف كل من الموعودين المنجيين، من جهة الخصائص والخصوصيات الشخصية، والأدوار، وقمنا بمقارنة بينهما، ووصلنا إلى هذه النتيجة وهي: أن المنجي الموعود عند المسيحيين، شخص باسم عيسى عليه السلام، وهو ابن مريم عليها السلام، وهو من نسل داود النبي عليه السلام من جهة أمّه مريم عليها السلام، وأن الله تعالى قد عرج به إلى السماء وأدّخره لآخر الزمان ليرجع بكل جلال وإعظام إلى الأرض ليقرّ ملكوت الله تعالى في الأرض.

وأما المنجي الموعود عند الشيعة، فهو الإمام المهدي عليه السلام، والذي يواطئ اسمه اسم جدّه الرسول الأعظم محمد ﷺ، ويكنى بكنيته، وهو ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وأمّه السيدة نرجس عليها السلام وهي من نسل داود النبي عليه السلام، وأن هذا الإمام عليه السلام قد غاب عن أعين عامّة الناس وهو في سنّ الخامسة من عمره، وأنه سيظهر في آخر الزمان ويُنصر بالإمدادات الغيبية، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ويمحو الظلم والجور ويتقمم من الظالمين.

وعليه، وبمنظرة ابتدائية، يبدو أن كلا من الدين المسيحي والدين الإسلامي (الشيعة) يعرف منجياً موعوداً مستقلاً، فهل يمكننا تصور وجود منجيين اثنين في آخر الزمان، أحدهما المنجي الشيعي والآخر المنجي المسيحي؟ فإذا كان كذلك، فكيف سيكون تعامل أحدهما مع الآخر؟ وعلى فرض صحة هذه الفرضية، هل سيصمد ويستمر العالم تحت ظل حكومتين اثنتين، ويرافق ذلك



استتباب العدل والأمن والقسط في كلِّ العالم؟ أم أنَّ تلك الموصفات والخصائص لا تنطبق إلاَّ على موعود ومنجي واحدٍ فقط وهو المصداق الأوحد للمنجي الموعود عند الديانتين، أي إنَّ الدين المسيحيَّ والدين الإسلاميَّ ناظران إلى شخص واحدٍ ومنجٍ فارد، ولكنَّ كلَّ واحدٍ من الديانتين وصفه بوصف وشكل خاص؟ أم أنَّ هناك شقاً ثالثاً في هذا الباب؟ وللحصول على إجابة واقعية صحيحة وصریحة، لابدَّ من تقديم عدَّة مقدمات:

إنَّ المسيحيين يعتقدون بأنَّ الموعود الذي وُعدوا به لم يأت بعدُ، وأنَّ زمان الخلاص ليس معيناً ومشخصاً عندهم، ولكنَّه سيأتي على أيِّ حال، لقد تكررت عبارة (إنَّ عيسى سيعود) في الكتاب المقدس لأكثر من (٣٠٠) مرَّة^(١). ولقد اتَّفقت كلمة المحقِّقين على أنَّ عيسى عليه السلام لم يدعِ بأنَّه المسيح^(٢)، أيَّ أنَّه عليه السلام لم يدعِ أنَّه هو المنجي الموعود، وإنما كان ذلك ادِّعاء المسيحيين من أنصاره ومريديه، وأنَّه سيعود ويبعث من بين الأموات.

ولم يعرف أيُّ واحد من الأناجيل عيسى عليه السلام على أنَّه قائدٌ عظيم مقدر، وهو من ينتظره اليهود من قديم الزمان، بل أنَّ عيسى عليه السلام لم يتحرك أبداً باتجاه تشكيل حكومة، ولم يرد في أيِّ خطابٍ من خطباته وكلماته ذكرٌ لأيِّ نظرية سياسية، أو حتَّى منهج اجتماعي شاخص. إنَّ عيسى عليه السلام كان يدعي بأنَّه جاء لتكميل شريعة موسى عليه السلام. استناداً لرواية الأناجيل، فإنَّ عيسى عليه السلام يبيِّن أبداً فرضية تخليصه للناس ونجاتهم على أساس تشكيل حكومة أو مؤسسة اجتماعية، ولذا لا يمكننا تكوين نظرية اجتماعية عملية واضحة من سيرته^(٣).

١. الشاكري: ص ١٨.

٢. ماري جوفير: ص ٧٧.

٣. محراب صادق نيا: ص ٢٣٠.

إن آيات الأناجيل، المرتبطة بموضوع المنجي وآخر الزمان، تتحدث عن دخوله عليه السلام في حكومة الله أو دولة الله تعالى، وفي الكثير من نصوص الأناجيل، فإن عيسى عليه السلام يستخدم مصطلح (دولة) أو (ملكوت أبي) بدلاً من مصطلح (حكومة).

ففي إنجيل متي، جاء إن عيسى عليه السلام قال لحوارييه:

ولكني أقول لكم، لن أشرب بعد اليوم عصير العنب، حتى ذلك اليوم الذي نشربه أنا وأنتم طازجاً في ملكوت أبي^(١).

هذا وإن مما يلفت النظر، هو أن بعض مقاطع عبارات الأناجيل تذكر أن عيسى عليه السلام كان يذكر شخصاً باسم (ابن الإنسان)، وهذا لا ينطبق عليه، فمن الواضح أن ذلك الشخص بما يمتلكه من خصائص ومميزات فريدة، يتمتع بمقام أعلى من مقام عيسى عليه السلام.

وعليه، فالمقصود من (ابن الإنسان) ليس حضرة السيد المسيح عليه السلام. وطبقاً لما ذكره (مستر هاكس)، الأمريكي الجنسية في (قاموس الكتاب المقدس)، فإن عبارة (ابن الإنسان) قد وردت (٨٠) مرة في الإنجيل وملحقاته (العهد الجديد)، ينطبق (٣٠) مورد منها فقط على عيسى المسيح^(٢)، وأمّا الخمسون مورداً الأخرى فهي تتحدث عن منجي يظهر في آخر الزمان ونهاية العالم، وأن السيد المسيح سيكون معه ويعظمه ويجلّه وأن أحداً غير الله تبارك وتعالى لا يعلم بيوم وساعة ظهوره.

إن عيسى عليه السلام، لم يدع أبداً أنه سيقم حكم وسلطنة ابن الإنسان أو ملك المسيح، لأنه يصرح بأن هذا العالم ليس محل سلطاني وملكوي، إذ لو كان ملكي

١. متي ٢٦: ٢٩.

٢. هاكس: ص ٩١٢.



في هذا العالم لحال خَدَمِي بيني وبين تسليمي لليهود^(١)، بل كان عيسى عليه السلام يعرف نفسه على أنه رسولٌ جاء من قبل الله ليبشر الناس بحكومة الله، تلك الحكومة التي يتولاها شخص آخر غير عيسى عليه السلام. وكنموذج على هذا المدعى، ما جاء في إنجيل مرقس حيث جاء فيه، بعد بيان حوادث آخر الزمان والبليات والمصائب، على لسان عيسى عليه السلام، قال: (... ثم يشاهدون ابن الإنسان الذي يأتي على الغيوم بكل جلال وعظمة)^(٢).

وجاء في إنجيل لوقا: (شدّوا أحزمة أظهركم، وأبقوا السراجات متوقّدة، وكونوا كأولئك الذين ينظرون مولاهم ويترقبون عودته من العرش ليفتحوا له الباب حينما يعود ويطرقها. طوبى لأولئك الغلمان الذين يجدهم سيدهم عند عودته مستيقظين... فكونوا على أهبة الاستعداد فإن ابن الإنسان سيأتي في ساعة لا تتوقعونها)^(٣).

وفي موضع آخر من هذا الإنجيل؛ يقول عيسى عليه السلام:

(إذ إن كل من يستنكف منّي ومن كلامي، سيستنكف منه ابن الإنسان عندما يعود في جلاله وجلال الأب والملائكة المقدسين)^(٤).
فكما تلاحظون، فإن عيسى عليه السلام يخبر عن مجيء شخص آخر باسم (ابن الإنسان).

وطبقاً لما جاء في الأناجيل، فإن عيسى عليه السلام يعتبر أن رسالته هي التبشير بملكوت الله تعالى.

١. يوحنا ٦: ٦٣-٨١.

٢. مرقس ١٣: ٢٦.

٣. إنجيل لوقا ٢١: ٥٣-٤٠.

٤. إنجيل لوقا: ٩: ٢٧.

فقد جاء في إنجيل لوقا: قال عيسى: (عليّ أن أُبشّر المُدن الأخرى بملكوت الله، فإنّي إنّما أرسلت لهذا الأمر)^(١).

وقد ورد في مصادرنا الإسلامية وروايات المعصومين عليهم السلام في خصوص عودة السيد المسيح عليه السلام ما يرفع كلّ تلك الإبهامات الموجودة في هذه الأسئلة. نشير هنا إلى بعض ما جاء فيها:

إنّ عيسى عليه السلام يميت البدع، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه أخبر عن نزول عيسى بن مريم عليها السلام وأنّه ليس بينه وبين نزوله نبى، وأنّه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وأنّ الله تعالى يظهر الإسلام على كلّ دين فلا يعبد الله في الأرض إلاّ بدين الإسلام، وأنّ عيسى يعيش أربعين سنة ثم يموت فيصلي المسلمون على جنازته^(٢).

فهذه الرواية تخبر عن نسخ المسيحية الحالية وآدابها ورسومها المنحرفة، وعن انتشار الإسلام في الأرض، وما وضع الجزية إلاّ لأنّ الجزية إنّما هي على غير المسلمين، ولن يبقَ أحدٌ يدين بغير الإسلام، فلا معنى لبقاء حكم الجزية، وهذا يعني ضمناً أنّ السيد المسيح عليه السلام يتحرك في ضمن تحقيق أهداف الإمام المهدي عليه السلام وإقامة الحكومة الإسلامية العالمية، وأنّه ناصرٌ للإمام المهديّ عليه السلام.

عيسى بن مريم عليها السلام وزيرٌ أمينٌ:

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ عيسى بن مريم عليها السلام يهبط من جسر أبيض بجنب دمشق، فيقول له المهدي عليه السلام تقدم وصلّ بنا، فيقول عيسى بن مريم عليها السلام للمهدي عليه السلام: صلّ بأصحابك، فأنا اليوم وزير لا أمير. فيصليّ المهديّ بأصحابه^(٣).

١. إنجيل لوقا: ٤: ٤٣.

٢. معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج ٢، ص ٨٥٤.

٣. معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج ٢، ص ٣٢٤.



وفي مقطع آخر حول صفات السيد المسيح عليه السلام، يقول: وهو [عيسى] الوزير الأيمن للقائم وحاجبه ونائبه^(١).

عيسى عليه السلام قاض عادل:

يعتقد المسيحيون بأن عيسى عليه السلام وعند عودته إلى الأرض، سيحكم بين الأخيار والأشرار. والمصادر الإسلامية تؤيد هذا المطلب، ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابنُ مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية»^(٢).

عيسى عليه السلام قاتل الدجال:

قد جاء في الكتاب المقدس حول واقعة عظيمة وهي مجيء ابن الهلاك، فما لم تتحقق هذه الواقعة لن يرجع المسيح عليه السلام^(٣).

والأحاديث الإسلامية تؤيد هذا المطلب، وتخبر عن ظهور الدجال في آخر الزمان، وله عينٌ واحدة مكتوب على جبهته: (كافر)، يدعي الربوبية ويضلُّ خلقاً كثيراً^(٤).

وطبقاً للأحاديث الواردة، فإنَّ الدجال كثير الفتن، وأنَّه سيقتل على يد السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يقتل ابنُ مريم الدجال باب لُد» (مدينة بفلسطين)^(٥).

إنَّ المنجي الموعود عند المسيحيين، أي النبي عيسى عليه السلام، لم يدعِ أنَّه المسيح المنجي، إذ لم يرد في كلامه أو في تفسيرات الأناجيل ما يدلُّ على أنَّ تشكيل

١. معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج ٢، ص ٨٢٤.

٢. معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج ٢، ص ٨٠٤.

٣. دوم تسالونيكيان ٢: ٣.

٤. معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج ٢، ص ٨٦٤.

٥. معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج ٢، ص ٩٦٤.

الحكومة العالمية سيكون على يد عيسى بن مريم عليه السلام، بل ورد في كلامه عليه السلام أن شخصاً ذا مقام أعلى من مقام عيسى عليه السلام، باسم ابن الإنسان هو الذي سيتولى ذلك، وهذه الشخصية لا تنطبق على عيسى عليه السلام في كل موارد استعمال هذا الاسم.

والأهم من ذلك كله هو أن المصادر الإسلامية والشيعة قد ذكرت وظائف ومهام المسيح عليه السلام في ظل دولة الإمام المهدي عليه السلام، ولذا يمكن الاستنتاج بأن المنجي الموعود في كلا الديانتين، أي المسيحية والإسلام، هو شخص واحد وهو الإمام الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام.

ولكن الأمر الذي لا شك فيه هو أن عيسى المسيح عليه السلام سيعود إلى عالم الدنيا وسيكون إلى جنب الإمام المهدي عليه السلام بعنوان الوزير، وهو الملازم الصادق والوفى للإمام المهدي عليه السلام، بل سيكون دور السيد المسيح عليه السلام في نشر وانتشار الإسلام وظهوره على الأديان، دوراً أساسياً مهماً ومؤثراً، وذلك لما يلي:

أولاً: إن السيد المسيح والإمام المهدي عليه السلام، لهما هدف مشترك وهو حاكمية الدين الإلهي وإقرار العدل والقسط وإجراء الأوامر الإلهية، ونفس هذا الأمر يدعوهما إلى توحيد التخطيط والرؤية للأمر.

ثانياً: إن اقتداء السيد المسيح عليه السلام بالإمام المهدي عليه السلام في الصلاة، دليل على قبوله للدين الإسلامي واتباعه لشريعة الإسلام، وبالنتيجة فكأنه يريد أن يعلن للمسيحيين الذين يدعون ولاءهم وطاعتهم له، بأنكم إن كنتم صادقين في دعوكم، فعليكم اعتناق الإسلام.

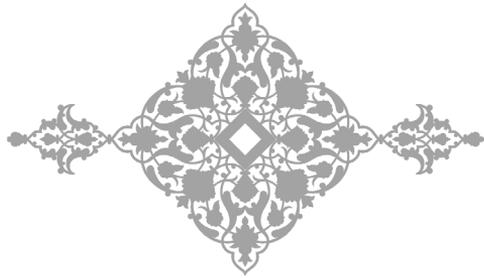
وهذا الموقف من السيد المسيح عليه السلام من شأنه أن يساهم في التسريع للإيمان بالإمام المهدي عليه السلام وبذلك يسرع في تحقق الوعد الإلهي.



ثالثاً: إنَّ العمر الطويل للإمام المهدي عليه السلام، سيصير سبباً في ضعف يقين بعض الناس وتماهلهم في نصره الحقِّ وإتباعه. كما أنَّ عدَّةً من الناس ممَّن يحاولون التهرّب من المسؤولية لأيّ عذرٍ وحجّةٍ من أجل تبرير تمرّدهم على الأوامر الإلهية، سيجعلون طول العمر مبرراً لتخليّهم عن الحقِّ، ولذا، فإنَّ رجوع السيد المسيح عليه السلام، يمكن أن يكون إتمام حجّةٍ على كلِّ هؤلاء، إذ لا شك في أنَّ عمر السيد المسيح عليه السلام هو أطول من عمر الإمام المهدي عليه السلام، وبذلك سيكون إزعاجهم لقبول طول عمر الإمام عليه السلام سهلاً، وسيستلمون أمرهم لدساتير الإسلام وحكومة العدل المهدي.

النتيجة:

يتبيّن من هذا البحث، أنه ليس عندنا إلاّ منجٍ موعود واحد، وهو الإمام المهدي عليه السلام الذي هو المنجي الموعود عند الشيعة، فهو بمواصفاته متعين ومتشخص، وأنَّ نوع تخليصه للعالم هو تخليص جماعي اجتماعي ومعنوي ذو أهداف عالمية. وهذا المنجي سيظهر في آخر الزمان، وبتشكيله للحكومة العالمية الشاملة، سيقوم بإجراء الأوامر الإلهية وسيكون عيسى بن مريم عليه السلام بعد رجوعه إلى عالم الدنيا، في ركابه وملازماً وفيماً صادقاً له، وسيؤدي دوره بعنوان الوزير في حكومة الإمام عليه السلام.





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

دراسة التحوّلات في قراءة مفهوم (انتظار الفرج) في الغيبة الكبرى

السيد كاظم الطباطبائي، مهدي الجلاي
مونس الفارساني الدهقاني، حسن نقي زاده
ترجمة: السيد جلال الموسوي

تعتبر مسألة (انتظار فرج الإمام القائم عليه السلام)، من جملة المفاهيم التي حظيت باهتمام كبير من قبل العلماء الشيعة، خاصة بعد بداية الغيبة الكبرى لإمام العصر والزمان عليه السلام. فمسألة انتظار الفرج وإن كانت معنونة في المجتمع الشيعي - كما تدلُّ على ذلك بعض الشواهد الروائية والتاريخية - في حياة بعض الأئمة السابقين عليهم السلام، إلا أنّ هذا المفهوم قد اكتسب أهمية خاصة وتوجهاً لافتاً في المجتمع الشيعي عموماً، وعند علماء الشيعة خصوصاً.

وبمطالعة عابرة للمصادر الروائية الشيعية، والتي عيّنت بنحوٍ من الأنحاء بهذا المفهوم أو المسألة، يكشف لنا جلياً بأنّ تحوّلات مميزة قد حصلت - بمرور الزمن - في قراءة (مفهوم الانتظار).

وما نحاول معالجته في هذا المقال، هو:

أولاً: إراءة تقرير عن هذه التحوّلات.



وثانياً: الدواعي والظروف التي أدت إلى حصول مثل هذه التحولات في قراءة مفهوم (انتظار الفرج)، لكي يتمكن من تبيين هذه التحولات في نهاية المطاف.

مطارحة المسألة:

سوف نتابع البحث في خصوص التحولات الحاصلة في مفهوم (انتظار الفرج) على ثلاث مراحل:

الأولى: طرح القراءات والرؤى السائدة في المجتمع الشيعي حول (انتظار الفرج) في الغيبة الكبرى، ونحاول هنا التعرف على التحولات الحاصلة في تلك الفترة. وفي هذا البحث سنرصد الآثار المهمة والأساسية التي تتجلى فيها آراء علماء الشيعة في هذا المجال.

وفي المرحلة الثانية، سنحاول تقييم وتحليل تلك التحولات التي سجّلناها في خصوص مسألة (انتظار الفرج) في مرحلة الغيبة الكبرى.

ثم ندرس في القسم الأخير، والمخصّص لتبيين التحولات، العوامل التي من شأنها إيجاد التحول في الطرح التفسيري^(١) لهذا المفهوم بنحو يؤدي إلى تغيير في قراءته السائدة في تلك البرهة، لتظهر قراءة جديدة.

١. المقصود من الطرح التفسيري، الطرح الذي يفرض نفسه على القارئ لتلك الظاهرة (وهو في هذا المقال مفهوم انتظار الفرج) حين قراءتها، فيعرض تلك القراءة على ثوابته وقواعده التي كان يعمل على أساسها فيغير تلك الثوابت بحسب ما يقتضيه ذلك الطرح التفسيري. وتغيير هذه الثوابت والقواعد، يؤدي إلى تغيير تفسير المفهوم أو الكلام، فتظهر قراءة جديدة غير القراءة السائدة. (لمفهوم الطرح التفسيري راجع: فوكو، ١٣٧٨ هـ.ش، ص ٢٤-٢٧)؛ ضميران ١٣٧٨ هـ.ش، ص ١٧-٢٦؛ وميلز، ١٣٨٢ هـ.ش، ص ٢٨-٣٠).

لمزيد من الاطلاع على كيفية تأثير الطرح التفسيري على مفهوم الكلام، انظر: الطباطبائي والدهقاني الفارسانی، ١٣٨٩، ص ٧-٢٤).

ويبدو أنَّ مفهوم (انتظار فرج الإمام الغائب) يتشكل من ثلاثة عناصر أساسية:

الأول: مفهوم (الانتظار).

الثاني: مفهوم (فرج الإمام الغائب)، وفيما يخص مفهوم (انتظار الفرج)، فإنَّ مفهوم (الانتظار) بنفسه يتألف من جهتين هما: (نوع الانتظار) و(طول زمان الانتظار).

الثالث: عنصر (الإمام الغائب). وهذا العنصر يمكننا عدُّه ثابتاً على طول زمن الغيبة الكبرى، فلا يخضع للتغير، فإنَّ المجتمع الشيعي في هذا الدور لم يختلف في مسألة (من هو الإمام الغائب). وعليه، فبنظرة تحليلية، يمكننا أن نقول بوجود ثلاثة عناصر أساسية ومهمّة في التأثير على الطرح التفسيري وهي: طول زمان الانتظار، وطرز ونوعية الانتظار، وعنصر مفهوم الفرج ونحو قراءته.

وقسم من هذا المقال مخصّص لدراسة الآراء والرؤى الرئيسية في مسألة (انتظار الفرج) على طول دور الغيبة الكبرى لإمام العصر عليه السلام، أي في القرون الإحدى عشر الماضية.

وسنقسّم هذا الدور إلى ثلاث فترات، وندرس الآراء والقراءات المطروحة في (انتظار الفرج) في كلّ فترة من هذه الفترات الثلاث، وهي:

١- القرن الرابع والخامس الهجري، وهما القرنان الأوّلان للغيبة الكبرى.

٢- القرن العاشر والحادي عشر الهجري.

٣- وأخيراً العصر الحاضر، وهو المقصود في هذا المقال، والذي يبدأ من

نهضة المشروطة في إيران إلى يومنا هذا.

فالدور الأوّل، هو الدور الذي كانت فيه حكومة آل بويه^(١)، والدور الثاني، أي القرن العاشر والحادي عشر للهجرة، هو دور اقتدار وسلطنة الحكومة الصفوية في إيران^(٢).

وفي الدور المعاصر، وبالتحديد من نهضة المشروطة وما بعد ذلك، نشاهد إقبال علماء الشيعة نحو عرصّة السياسة وتأثيرهم فيها.

١- تقرير عن التحولات في المسألة:

ونهتم في هذا القسم بإراءة تقرير عن القراءات والتوجّهات الموجودة في المجتمع الشيعي في مسألة (انتظار الفرج) للإمام القائم عليه السلام.

والهدف من طرح هذا البحث هنا، رصد التحولات الحاصلة في هذه القراءات والتوجهات منذ بداية الغيبة الكبرى وعلى مرّ القرون الإحدى عشر التالية لها، واستناداً إلى ما تقدم منّا في المقدمة، فإننا سنقسم البحث إلى ثلاثة أقسام. القسم المتعلّق بالقرنين الرابع والخامس، والقسم المتعلّق بالقرنين العاشر والحادي عشر، والقسم المختصّ بالفترة المعاصرة.

١-١. القرن الرابع والخامس الهجري:

لقد كان للقرن الرابع والخامس الهجري، بالنسبة للمجتمع الشيعي، دورٌ مهم. فهاذان القرنان هما القرنان الأوّلان في الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر عليه السلام، حيث ابتلي المجتمع الشيعي في بداية الغيبة الكبرى بنوع من الحيرة والاضطراب العقدي، استطاع اجتيازها من خلال استجماع مبانيه الفكرية وصفّها إلى بعضها البعض.

١. دورة حكومة آل بويه، سنة ٣٢٠-٤٤٧ هـ.

٢. دورة حكومة الصفويين، سنة ٩٠٧-١١٣٥ هـ.



ومن جملة علماء الشيعة الذين برزوا في هذا المضمار في تلك القرون الأولى من الغيبة الكبرى، والذين اهتموا كثيراً بمسألة انتظار فرج الإمام القائم عليه السلام، أبو عبد الله محمد بن جعفر النعماني، المشهور بالشيخ النعماني، والذي كتب كتاباً باسم (الغيبة)، حول موضوع غيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام.

ويذكر الشيخ النعماني رحمته الله في مقدمة كتابه، نقاطاً مهمة في خصوص مسألة غيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، يمكنها أن تكشف عن رؤية المجتمع الشيعي الاثني عشري الذي عاصره الشيخ النعماني.

فالشيخ النعماني رحمته الله في بداية هذا الأثر القيم، وبعد أن يعتب على بعض المجاميع في المجتمع الشيعي، الذين انحرفوا عن المذهب الشيعي الاثني عشري ومالوا إلى الطوائف الأخرى، يقول: (فقصدت القربة إلى الله عز وجل بذكر ما جاء عن الأئمة الصادقين الطاهرين عليهم السلام من لدن أمير المؤمنين عليه السلام إلى آخر من روي عنه منهم في هذه الغيبة التي عمي عن حقيقتها ونورها من أبعده الله عن العلم بها، والهداية إلى ما أوتي عنهم عليهم السلام فيها ما يصحح لأهل الحق حقيقة ما روه ودانوا به وتؤكد حجتهم بوقوعها، ويصدق ما آذنوا به منها.

وإذا تأمل من وهب الله تعالى له حسن الصورة، وفتح مسامع قلبه، ومنحه جودة القرينة، وأتخفه بالفهم وصحة الرواية بما جاء عن الهداة الطاهرين (صلوات الله عليهم) على قديم الأيام وحديثها من الروايات المتصلة فيها، الموجبة لحدوثها، المقتضية لكونها مما قد أوردناه في هذا الكتاب حديثاً حديثاً... علم أن هذه الغيبة لو لم تكن ولم تحدث مع ذلك ومع ما روي على مر الدهور فيها لكان مذهب الإمامة باطلاً، لكن الله تبارك وتعالى صدق إنذار الأئمة عليهم السلام بها، وصحح قولهم فيها في عصر بعد عصر، وألزم الشيعة التسليم

والتصديق والتمسك بما هم عليه، وقوي اليقين في قلوبهم بصحة ما نقلوه، وقد حذر أولياء الله (صلوات الله عليهم) شيعتهم من أن تميل بهم الأهواء، أو تزيغ بهم وبقلوبهم الفتن واللاأواء في أيامها، ووصفوا ما يشمل الله خلقه به من الابتلاء عند وقوعها بتراخي مدتها، وطول الأمد فيها ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

... وقد جمعت في هذا الكتاب ما وفق الله لجمعه من الأحاديث التي رواها الشيوخ عن أمير المؤمنين والأئمة الصادقين عليهم السلام أجمعين في الغيبة وغيرها مما سبيله أن يضاف إلى ما روي فيها بحسب ما حضر في الوقت، إذ لم يحضرني جميع ما رويته في ذلك لبعده عني وأن حفظي لم يشمل عليه، والذي رواه الناس من ذلك أكثر وأعظم مما رويته ويصغر ويقل عنه ما عندي وجعلته أبواباً...^(١). وبهذا يمكننا أن نستكشف بأن النعماني رحمته الله، كان في صدد بيان أن فكرة غيبة الإمام القائم عليه السلام، فكرة حاضرة في الفكر الشيعي منذ بداية وجوده، وليست مسألة عويصة تؤدّي إلى ما ابتلي به بعض المجتمع الشيعي من الحيرة واليأس، بل إن على هؤلاء انتظار فرج الإمام عليه السلام.

ومن جملة العلماء الذين برزوا في هذه الفترة، والذين تصدّوا لمعالجة مسألة الغيبة وانتظار فرج الإمام الثاني عشر، الشيخ الصدوق رحمته الله، فإنه قد جعل مسألة غيبة إمام العصر عليه السلام، محور كتابه (كمال الدين وتمام النعمة). وهذا الكتاب يعدُّ في حقيقته كتاباً موازياً لكتاب (الغيبة) للنعماني، بمعنى أنه يتضمّن ملامح الفكر الشيعي الرئيسية في مسألة الإمام الغائب عليه السلام، بنحو مبسوط، مشفوعاً بالروايات الدالّة على هذه القضية.



وقد خصَّص الصدوق عليه السلام قسماً من هذا الأثر لجمع الروايات الصادرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام، تلك الروايات المشيرة إلى مسألة الغيبة^(١).

وبذلك، يبدو لنا بأن الشيخ الصدوق عليه السلام كان أيضاً بصدد بيان أن مسألة غيبة الإمام القائم عليه السلام، وظهوره في الزمان الذي تتوفر فيه الأرضية المناسبة، كانت قد طرحت على الدوام على لسان المعصومين عليهم السلام، وإنَّ على المجتمع الشيعي أن يعيش حالة الانتظار لهذا الظهور.

وفي هذا الدور من الأدوار الثلاثة، والذي خصَّصناه لدراسة توجّه الشيعة، وقراءتهم لمسألة (انتظار فرج الإمام القائم عليه السلام)، لا بدَّ لنا من ذكر الشيخ المفيد عليه السلام باعتباره أحد علماء الشيعة البارزين، الذين كانت لهم أدوار في مسألة (انتظار الفرج). فالشيخ المفيد عليه السلام، تعرَّض لمسألة الغيبة في مجموعة من رسائله، وأجاب عن الشبهات المطروحة في هذا الموضوع في عدَّة مواضع من مصنفاته^(٢).

فمن جملة الأسئلة التي تناولها الشيخ المفيد عليه السلام بالردِّ والجواب، مسألة الفائدة من معرفة الإمام القائم عليه السلام في حال غيبته. فالشيخ المفيد في معرض الجواب عن هذا السؤال يتعرض لمسألة انتظار فرج الإمام القائم عليه السلام من قبل شيعته، وأنَّ انتظار الشيعة لفرج إمامهم هو بمثابة العبادة وله ثوابها، وأنَّهم بذلك الانتظار يدرؤون عن أنفسهم العقوبات الكبيرة^(٣)،^(٤).

١. ابن بابويه، ١٣٦٣ هـ. ش، ج ١، ص ٢٥٦-٣٨٤.

٢. راجع المفيد، ١٤١٤ ق، آثاره.

٣. المفيد، ١٤١٤ ق، ج ١، ص ١٣؛ ومتمن السؤال وجواب الشيخ المفيد هو: (فإن قال: فما ينفعنا من معرفته مع عدم الانتفاع به من الوجه الذي ذكرنا؟ قيل له: نفس معرفتنا بوجوده وإمامته وعصمته وكماله نفع لنا في اكتساب الثواب، وانتظارنا لظهوره عبادة نستدفع بها عظيم العقاب).

٤. المفيد ١٤١٤ ق، ج ١، ص ١٣.

كما ينبغي التنويه بأحد كبار علماء الشيعة في تلك الفترة، وهو شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي رحمته الله، فإنَّ له دوراً بارزاً في هذا المضمار، حيث أَلَّف كتاب (الغيبة) في أحوال وغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام.

فالشيخ الطوسي رحمته الله في هذا الكتاب يجب أساساً عن الشبهات التي كانت بعض الفرق والمذاهب الفكرية تطرحها في خصوص مسألة غيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، سواء كانوا من الشيعة أو من غيرهم^(١).

وفي الأقسام الأخرى من هذا الكتاب، يتعرض الشيخ الطوسي رحمته الله إلى مسألة عمر الإمام الغائب عليه السلام^(٢)، سفراء الإمام الغائب عليه السلام^(٣)، تشرفات بعض الأشخاص بالإمام عليه السلام من غير أن يعرفوه^(٤)، ومسائل مشابهة أخرى.

كما إنَّ الشيخ الطوسي رحمته الله، كان قد خصَّص قسماً من كتابه لمسألة العلامات الحاكِية عن قرب خروج إمام العصر عليه السلام^(٥).

إنَّ دراسة آراء الشيخ المفيد والشيخ الطوسي رحمتهما الله حول مسألة (انتظار الفرج) تكشف عن أنَّ رأي هذين العَلَمين مكمل للرأي الظاهر من آثار ومصنّفات الشيخ النعماني والشيخ الصدوق رحمتهما الله، وهو التأكيد على غيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام عن أنظار المجتمع الشيعي، ولكنّه حيَّ خلف الستار، وإنَّ على الشيعة انتظار ظهوره الشريف في كلِّ آن.

١. انظر مثلاً: الطوسي، ١٤١١ق، ص ٢٣-١١٣؛ وفيه ينقد الشيخ مسلك الواقعة.

٢. الطوسي ١٤١١ق، ص ٤١٩ فما بعدها.

٣. الطوسي ١٤١١ق، ص ٣٤٥.

٤. الطوسي، ١٤١١ق، ص ٢٥٣ فما بعدها.

٥. الطوسي ١٤١١ق، ص ٤٣٣-٤٦٧.

١-٢: القرن العاشر والحادي عشر للهجرة:

صادف القرن العاشر والحادي عشر للهجرة، استقرار الصفوية في إيران، حيث أعلن في وقتها أنَّ المذهب الرسمي للدولة هو المذهب الشيعي الاثنا عشري.

ولقد تحسّنت أوضاع المجتمع الشيعي، اجتماعياً وسياسياً، في هذا الدور من أدوار الغيبة، واستطاع الكثيرون من علماء الشيعة تأليف الكتب والآثار الروائية.

فكان العلامة المجلسي رحمته الله من بين المحدّثين البارزين في هذه الفترة. فمن جملة الموارد التي يمكن من خلالها التعرف على رؤية ومواقف العلامة المجلسي في مسألة (انتظار فرج القائم عليه السلام)، معالجته لمسألة (البداء) في أمر ظهور وفرج الإمام القائم عليه السلام. فالعلامة المجلسي، في كتابه (بحار الأنوار) يتناول الروايات التي تضمّنت قرب ظهور وفرج إمام العصر عليه السلام، ويقول بأنّ هذه الروايات صدرت عن المعصومين عليهم السلام من باب التورية، ولا يمكن استفادة (البداء) واستنتاجه منها.

ويعتقد العلامة المجلسي رحمته الله، بأنّ الأئمّة عليهم السلام إذا كانوا يريدون إخبار شيعتهم بأنّ ظهور إمامهم الغائب لن يكون قريباً، وإنّه سيظهر بعد فترة وغيبة طويلة، فإنّ ذلك كان سيؤدّي إلى يأس بعض الشيعة وتخليهم عن الحقّ، ولذا فإنّ الأئمّة عليهم السلام اعتبروا الظهور قريباً، أو إنهم كانوا يقولون: يحتمل أن يكون الفرج قريباً، لإبقاء الناس ثابتين على الدين فيثابون على الانتظار^(١). ولتكميل البحث في مسألة ظهور الإمام القائم عليه السلام بعد انتظار طويل،

١. المجلسي ١٤٠٣ق، ج٤، ص ١٣١-١٣٢.

وللتأكيد على هذه القضية أكثر، فإنَّ العلامة المجلسي رحمته الله عقد باباً في كتابه (بحار الأنوار) تحت عنوان (ذكر أخبار المعمرين)، لرفع استبعاد المخالفين لطول غيبة مولانا القائم عليه السلام ^(١).

وهذا النوع من الأبحاث، كان له دور أساسي في الفترة التي عاشها العلامة المجلسي رحمته الله، باعتبار الفاصل الزمني الكبير بين بداية الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام وبين عصر العلامة المجلسي، وكما أسلفنا فإنَّ تلك الفاصلة الزمانية كانت أكثر من الزمن الذي يستفاد من مضمون الروايات الواردة في أمد الغيبة.

ومن جملة كبار العلماء الشيعة البارزين في هذين القرنين، والذين اهتموا بمسألة (انتظار الفرج)، المولى صالح المازندراني. فقد استعرض هذا العالم الجليل موضوع (الانتظار) في ذيل شرحه لرواية عن الإمام الصادق عليه السلام والتي يجيب فيها عن سؤال طرحه أبو بصير - وهو أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام - حول زمان الفرج، حيث يسأله الإمام الصادق عليه السلام عن كونه من الذين يطلبون الدنيا؟ ثم يضيف الإمام عليه السلام بأنَّ من عرف هذا الأمر فإنَّ في انتظاره لهذا الأمر فرجه ^(٢). ويقول المولى صالح المازندراني في شرحه لهذه الرواية، بأنَّ المقصود من (الفرج) في سؤال أبي بصير، هو حصول الفسحة والفرجة للشيعة بظهور حضرة صاحب الزمان عليه السلام. ثم يشرح جواب الإمام الصادق عليه السلام ويقول بأنَّ المقصود من كون أبي بصير من طلاب الدنيا هو أنه يطلب الراحة في هذه الدنيا، وإنَّه يتصور بأنَّ الظهور يعني الدعة والرفاهية في العيش.

١. العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٢٢٥-٢٩٣.

٢. والرواية هي: عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، متى الفرج؟ فقال: «يا أبا بصير، وأنت ممن يريد الدنيا؟ من عرف هذا الأمر فقد فرَّج عنه لانتظاره». (المازندراني، ١٤٢١ ق، ج ٦، ص ٣٤٢).



ثم يضيف المولى المازندراني بأن ذلك أمرٌ بسيط وسهل، ولكن المقصود الحقيقي من الفرج هو الفرج والراحة الأخروية، المقترنة بالخلاص والتحرر من العذاب الأبدي، وإن مثل هذا الفرج حاصل له بانتظاره حتى لو لم يبق حياً إلى زمان الظهور، وذلك لأنه عارف بأمر ظهور الإمام القائم عليه السلام معتقد به وبغيته، وهو من المنتظرين له. ولذا، فإن كل من عرف هذا الأمر، فإن الله تعالى سيفرج عنه^(١).

وثالث العلماء الذين تعرّضوا لمسألة (انتظار الفرج) في القرنين العاشر والحادي عشر ممن نذكرهم في هذا البحث، المولى محسن الفيض الكاشاني رحمته الله. فقد استعرض المولى الفيض الكاشاني في كتابه (الوافي) شرحاً لرواية عن الإمام الصادق عليه السلام، وهي رواية موجودة في أصول الكافي، حيث ورد فيها أن أبا بصير يسأل الإمام الصادق عليه السلام عن زمان الفرج.

يقول الفيض الكاشاني في شرحه لهذه الرواية، بأن المقصود من كلام الإمام الصادق عليه السلام هو إن من يعرف هذا الأمر - وهو أن الإمام الغائب عليه السلام لا بد أن يظهر يوماً ما - سينال الفرج والخلاص، لأنه بمعرفته لهذا الأمر، سيكون من المنتظرين لظهور الإمام القائم عليه السلام، وانتظار ظهوره من أفضل العبادات كما جاء في بعض الروايات^(٢).

وعليه، فمن كان عارفاً لهذا الأمر، فإنه حتى إذا أراد درك ظهور الإمام عليه السلام، فلن يكون انتظاره للظهور من أجل المصالح الدنيوية ورفاهية العيش في هذه الدنيا، وإنما سيكون هدفه رضا الله وطاعته والخلاص من العقاب الأخروي^(٣).

١. المازندراني، ١٤٢١ق، ج٦، ص٣٤١.

٢. وهذا الكلام مستندٌ أساساً على هذه الرواية: «أفضل الأعمال انتظار الفرج»، راجع: الخزاز الرازي،

١٤٠١ق، ص٢٢٧؛ ابن بابويه، ١٤٠٤ق، ج٢، ص٣٦.

٣. الفيض الكاشاني، ١٤٠٦ق، ج٢، ص٤٣٧.

وما يتصور من إن الحياة في زمن صاحب العصر والزمان عليه السلام، ستكون حياة سعة ورفاهية، فإن هذا التصور مبنٍ على الانفراج الذي سيحصل في الحياة الاجتماعية والسياسية الشيعية.

١-٣: الزمن المعاصر:

لقد شاهدنا، في الزمن المعاصر، وبعد نهضة المشروطة في إيران، عدّة علماء شيعة تناولوا مسألة (انتظار ظهور الإمام الغائب عليه السلام)، وجعلوها مادة تفكيرهم ومؤلفاتهم. ومن بين هؤلاء العلماء الذين بحثوا هذه المسألة في زمننا الحاضر، العالم الجليل علي أكبر الهمداني حيث كتب كتاباً في غيبة الإمام القائم عليه السلام تحت عنوان (تكاليف الأنام في غيبة الإمام)، ونشر هذا الكتاب سنة (١٣١٧ هـ)، حيث يستعرض الهمداني في كتابه تكاليف الشيعة تجاه مسألة (فرج الإمام القائم عليه السلام)، في دور الانتظار.

ومن جملة الأمور التي اعتبرها هذا العالم تكليفاً للشيعة في كتابه هذا، هو أنّ على المجتمع الشيعي أن يتحمّل الصعاب في زمن الغيبة فيما إذا واجه الظلم والجور من قبل الأعداء، وأن يجسوا غصصهم في صدورهم فلا ينفعلوا، بل عليهم أن يتحلّوا بالصبر وانتظار فرج الإمام عليه السلام، وأن يدعوا له بالفرج.

وكان المولى علي أكبر الهمداني يعتقد بعدم جدوى المواجهة المسلّحة مع أهل الباطل، ولا الخروج عليهم في زمن الغيبة^(١).

ومن بين علماء الشيعة الذين تصدوا للدراسة مسألة (فرج الإمام القائم عليه السلام)، السيد محمد تقي الموسوي الأصفهاني ففي كتابه (مكيال المكارم) يبحث في رواية ينقلها عن كتاب (الكافي)، جاء فيها إنَّ أبا بصير يسأل الإمام الصادق عليه السلام حول

١. الهمداني، ١٣٥٤ هـ، ش، ٢٧١.

زمان الفرّج^(١)، وقد تقدّم مضمون سؤال أبي بصير وجواب الإمام الصادق عليه السلام، والتي ذكرها العلامة المجلسي في كتابه بحار الأنوار^(٢)، وذكرها الكليني رحمته الله في الكافي^(٣).

وبعد نقل العلامة محمد تقي الموسوي الأصفهاني لهذه الرواية يقول: (بأنّ الأكثرين من الشيعة كانوا يعتقدون بأنّه إذا ما وصل زمان فرج الإمام عليه السلام، واستلامه لزمام الأمور السياسية للمسلمين، فإنّ الأرضية ستكون مناسبة للشيعة لتحسين أوضاعهم المعاشية ورفاههم وراحتهم). ثم يبدأ الموسوي الأصفهاني بنقد هذه الرؤية ويعتبرها نوعاً من طلب الدنيا، استناداً إلى جواب الإمام الصادق عليه السلام لأبي بصير. ثم يضيف قائلاً (بأنّ المقصود من انتظار الفرّج، ليس وصول زمان الراحة والدعة والتلذذ بنعيم الدنيا، بل المقصود وصول زمان نصرّة الإمام المهدي عليه السلام والجهاد معه)^(٤).

وبعد السيد محمد تقي الموسوي الأصفهاني، لا بدّ أن نتناول رؤية جمع من العلماء الشيعة المعاصرين، وعلى رأسهم السيد محمود الطالقاني، الذي كانت له قراءة متفاوتة عن فكرة (انتظار الفرّج). ولما كانت هذه القراءة تطرح لأوّل مرّة من قبل هذا العالم الذي بلور ملامحها، فإنّنا سنجعله محور دراستنا على الرغم من إنّها لا تنحصر به فقط، بل يشاركه فيها آخرون.

ففي كتابه (المهدي ومستقبل البشرية)، يتعرض لبحث ظهور الإمام القائم عليه السلام، ودوره في حياة المجتمع الشيعي.

١. وقد رأينا قبل قليل إنّ المولى صالح المازندراني يتعرض لهذه الرواية أيضاً.

٢. ج ٥٢، ص ٤٢.

٣. ١٣٨٢ق، ج ٢، ص ٤٢٣.

٤. الأصفهاني، مكيال المكارم، ج ٢، ص ١٤٤.

فالطالقاني يقرأ قضية ظهور الإمام القائم عليه السلام والانتظار بقراءة تبعث الأمل في المجتمع الشيعي، وتحتّمهم على السعي والنشاط في الحياة. فهو يؤكد على أنّ هذه الرؤية والقراءة للظهور، هي التي تحيي الأمل وتدفع اليأس والخوف من الهزيمة في المجتمع الشيعي، وبذلك تضمن حياة وبقاء الشيعة^(١).

وفي تأليف آخر للسيد الطالقاني، يشير إلى نقطة أخرى، وهي إنّ بعض مجاميع المجتمع الشيعي يأملون -جهلاً- من انتشار الفساد وظهور الفحشاء في المجتمع تعجيلاً للظهور، ويعتبرون ذلك من علائمه. ولذا، فهو يحاول تنفيذ هذه الدعاوى ويعلن مخالفته لها بكلّ صراحة. ويعتقد السيد الطالقاني بضرورة الحذر والابتعاد عن المواقف المنفصلة تجاه هذه الظروف، بل لا بدّ من التحلي بالصبر والصمود أمام مطّبات الحياة وإعداد مقدمات النهضة العالمية. ولكنّه في نفس الوقت يذمّ اللأبالية وعدم الاكتراث المطلق والصبر المحض وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢).

ومن جملة محققي الشيعة الآخرين في العصر الحاضر، والذي عالج مسألة انتظار الظهور وأبدى رأيه فيها، سماحة السيد موسى الصدر.

فبنظر السيد موسى الصدر، فإنّ (انتظار الفرج) لا يعني السكوت على الظلم والفساد، فإنّ ذلك عنده بمثابة عدم الانتظار والاستسلام، بل إنّ معنى (انتظار الفرج) هو الإعداد والاستعداد والتعبئة وتربية الكوادر والطاقات وحشد القوى والإعداد الروحي، النفساني، الفكري، المعنوي، الجسدي، التكنولوجي والعسكري. ويؤكد على أنّ انتظار الفرج لا يعني حصول انقلاب مفاجئ في العالم، وإنّما يعني بأنّ على المجتمع الشيعي أن يتكاتف دائماً، وأن

١. الطالقاني، ١٣٦٠ش، ص ٩٠.

٢. الطالقاني، ١٣٦٠، ص ١٠-١٢.

يكون على أهبة الاستعداد، وبذلك يعدُّ نفسه للظهور لا أن يتهرب من المسؤولية^(١).

وفي مقام بيان آراء علماء الشيعة الآخرين الذين تصدّوا لبيان مسألة (فرج الإمام القائم عليه السلام)، في الزمن المعاصر، لا بدَّ من معرفة رؤية الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

ففي كتابه (المهدي الثائر الكبير) يتعرض لبحث مسألة (انتظار فرج الإمام القائم عليه السلام). ويؤكد الشيرازي على نقطة مهمّة، وهي إنَّ بحث (انتظار الفرّج) في الزمن المعاصر، يتألّف من عنصرين أساسيين: الأوّل عنصر (النفي)، بمعنى نفي الظروف الموجودة. والعنصر الثاني، عنصر (الإثبات)، بمعنى إرادة الظروف الأفضل^(٢) وبذلك يظهر أنّ رؤية هذا العلم هي أنّ (انتظار الفرّج) لا يعني الخنوع وقبول الوضع الموجود على ما هو عليه.

وفي موضع آخر من كتابه، يؤكد الشيخ ناصر مكارم الشيرازي على إنّ من الواجب علينا القيام بأمرين أساسيين في دور انتظار فرج الإمام القائم عليه السلام، الأوّل: مكافحة العوامل السلبية الموجودة في المجتمع الشيعي. والثاني: إعداد الناس لاستقبال أصول الحكومة المهديّة العالميّة. فهو يرى إنّ (انتظار الفرّج) منهج ومخطّط يشمل كلّ المجالات، وتحضير لدورة فرج الإمام القائم عليه السلام وحكومته العالميّة^(٣).

وأخيراً، لا بدَّ من ذكر السيد محمد الصدر، من بين مفكري الشيعة المعاصرين، والذي استعرض قراءة جديدة لمفهوم (انتظار الفرّج). ففي كتابه

١. لك زائي، ١٣٨٤ ش، ٢٠٤-٢٠٦.

٢. مكارم الشيرازي ١٣٥٨ ش، ص ١٠٢-١٠٣.

٣. مكارم الشيرازي ١٣٥٥، ص ١٠-١٢.



الموسوم (الرسالة الإسلامية في عصر الغيبة)، يتناول رواية (أفضل الأعمال) بالتحليل والدراسة، فيذكر آراءً متعدّدة في تفسيرها^(١).

فالسيد محمد الصدر، يعتقد بأنّ مسألة (انتظار الفرج) يجب أن تتعدّى الحدود الشخصية، وترقى إلى 'المواقف الاجتماعية العامّة، فمن جعل (انتظار الفرج) من أفضل الأعمال في الروايات، نستكشف أنّها أساس من أسس الدين الإسلامي^(٢).

وبهذا، وجدنا بأنّ الزمن المعاصر قد شهد قراءات جديدة لمفهوم (انتظار الفرج).

فهذا السيد محمد الصدر ينفي كون الانتظار موقفاً فردياً شخصياً، ويرى بأنّ هذا المفهوم، مفهوم إسلامي إيجابي عام^(٣)، ويعتقد بأنّ المواقف الفردية والجماعية للأفراد، لا بدّ أن تتفاعل مع المجتمع، فلا عزلة عن الاجتماع، ولا رهبة في المواقف، بل لا بدّ من الإعداد والاستعداد لمواجهة الظلم والفساد، وإقرار الإصلاح في المجتمع^(٤).

٢- دراسة وتحليل التحوّلات الحاصلة:

تعرضنا في القسم السابق، لدراسة القراءات والرؤى المطروحة والرئيسية في المجتمع الشيعي تجاه مسألة (فرج الإمام القائم) و(انتظار الفرج). ووجدنا أنّ تحولات وتغيرات قد عرضت على هذه الرؤى والقراءات على مرّ الأدوار الثلاثة. وفي هذا القسم، نحاول دراسة وتحليل تلك التغيرات الحاصلة في تلك الأدوار الثلاثة.

١. الصدر ١٣٦٢ ش، ص ١٩٥.

٢. الصدر ١٣٦٢ ش، ص ١٩٠-١٩٤.

٣. الصدر ١٣٦٢ ش، ص ٣٠.

٤. الصدر ١٣٦٢ ش، ص ٩٤.

واستناداً لما تقدّم في القسم السابق، حول الرؤى والقراءات المطروحة في المجتمع الشيعي في مسألة (انتظار الفرج)، وجدنا بأن علماء الشيعة على طول القرنين الأوّلين، وهو الدور الأوّل من أدوار الغيبة الكبرى، سَعَوْا جاهدين لتثبيت المباني الفكرية لمذهب التشيع في مسألة غيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام، وبعبارة أُخرى، إنّ ما شاهدناه في هذين القرنين، هو الرجوع إلى الفكر المتجدّد المطروح على لسان الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام، في خصوص إمام العصر عليه السلام.

كما لاحظنا إنّ هذه المباني الفكرية، قد تبلورت أكثر فأكثر في القرن الخامس، إلى درجة الاستدلال المنطقي عليها من قبل العلماء، كالشيخ الطوسي رحمته الله (١).

وأما في الدور الثاني من أدوار الغيبة الكبرى، أي في القرنين العاشر والحادي عشر الهجري القمري، فقد شاهدنا تحولات أُخرى في فهم وقراءة مسألة (انتظار الفرج)، قياساً بالقراءات الموجودة حول المسألة في القرنين الرابع والخامس للهجرة، حيث قرأنا كلاماً جديداً مختلفاً عن القراءات السابقة.

فقد ذكرنا آنفاً في القسم السابق، بأنّ العلامة المجلسي رحمته الله، طرح مسألة التورية المقصودة في الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، في خصوص فرج الإمام الغائب بعد فترة زمانية قصيرة، وأنّ السبب في استعمال التورية في هذه الموارد هو أنّ الأئمة عليهم السلام لم يشيروا إلى طول مدّة الغيبة حفاظاً على التزام الشيعة وتمسكهم بأصول المذهب والدين، واجتناب الشعور باليأس وفقدان الأمل (٢).

وكلام المجلسي هذا في توجيه الروايات الدالة على قصر مدّة الغيبة، قياساً إلى الرؤية المطروحة سابقاً، أي في القرنين الرابع والخامس الهجري، حول مسألة

١. راجع: غيبة الطوسي، ١٤١١ق، ص ٢٣-١١٣.

٢. العلامة المجلسي، ج ٤، ص ١٣١-١٣٢.



الانتظار، وهو كلام جديد لم يكن مطروحاً في القرون المتقدمة. وما يمكننا فهمه من كلام المجلسي هذا، هو إنَّ طول زمان غيبة إمام العصر عليه السلام، لم تكن مبيّنة للمجتمع الشيعي من قبل الأئمة عليهم السلام. ويبدو أنَّ هذه القضية، وهي أن فرج الإمام القائم عليه السلام إنّما سيكون بعد فترة طويلة، لم تكن معروفة في الفكر الشيعي عند أولئك الذين كانوا قبل الغيبة الكبرى، ولعلَّ هذا الأمر يعود أساساً إلى وجود تلك الروايات التي كانت تطرح فكرة الفرج القريب.

ولكننا أيضاً شاهدنا تحولاً آخر في القراءات المطروحة من قبل المولى صالح المازندراني والمولى محسن الفيض الكاشاني، في خصوص مسألة انتظار الفرج في هذا الدور، فكما تقدم، واستناداً إلى رواية عن الإمام الصادق عليه السلام في الجواب عن سؤال أبي بصير، فإنَّ المولى صالح كان يرى بأنَّ (الفرج) هو انفراج الحياة الدنيوية للشيعية فحسب، وأمَّا (انتظار الفرج)، ومن حيث إنَّه اعتُبر من أفضل أعمال الشيعة، فهو أفضل بكثير من نفس الفرج^(١).

وأما المولى محسن الفيض، فإنَّه في شرحه للرواية الأخرى، يرى بأنَّ (انتظار الفرج) هو بنفسه فرجٌ للمؤمنين. ثم يستنتج أخيراً بأنَّ انتظار وصول فرج الإمام عليه السلام هو عملياً نوع من طلب الدنيا والميل إلى السعة والتوسعة في المعاش^(٢).

والذي نستفيده من شرح المولى صالح المازندراني وشرح الفيض الكاشاني رحمهما الله، هو التأكيد على أهمية مسألة (الانتظار) من غير أن يضع المؤمن بحسابه أنه يدرك الفرج أو لا يدركه. وبعبارة أخرى، إنَّ المهم هو (الاعتقاد) بضرورة تحقُّق الفرج وإنَّه هو الفرج في الواقع، لا إنَّ الفرج في إدراك زمان القائم عليه السلام، فهذا هو الذي عرّفته الروايات بفرج الإمام عليه السلام.

١. المازندراني، ١٤٣١ق، ج٦، ص٣٤١.

٢. الفيض الكاشاني، ١٤٠٦ق، ج٢، ص٤٣٧.



فقراءة هذين العلمين، واستناداً إلى رواية الإمام الصادق عليه السلام، فإنَّ مسألة الفرج والاعتقاد والإيمان بها وانتظار تحقُّقها، هو المهم، لأنَّ ذلك يوجب دفع العقاب الأخروي، ورفع العقاب الأخروي هو الفرج الحقيقي للمؤمنين، وأمَّا الفرج الدنيوي الذي يتحقق بظهور الإمام عليه السلام، فإنَّه يوجب السعة في الأمور الدنيوية لأصحاب الإمام القائم عليه السلام، وأمَّا انتظار فرج الإمام عليه السلام، فإنَّه يوجب عمران آخرة المنتظرين.

وهنا، قد يتبادر إلى بعض الأذهان هذا السؤال، وهو: أنَّ النكتة التي اعتمدها المولى صالح المازندراني والمولى الفيض الكاشاني في رؤيتهم وقراءتهم، والتي جعلتها يعتبران أنَّ (انتظار) فرج الإمام عليه السلام أفضل من (درك فترة الفرج) وحضور الإمام، وهذه ليست قراءة جديدة لمسألة الفرج، وذلك لأنَّ هذه النكتة معرَّفة في نفس روايتي الإمام الصادق عليه السلام، وهما مدوّنتان في الكتب الروائية والآثار الحديثية حتَّى في القرنين الرابع والخامس، وما جاء به المولى صالح والمولى الفيض ليس إلا تكراراً لفكر قديم، فلا تحوّل ولا تغيير في القراءات.

وفي الجواب عن هذا السؤال لابدَّ من القول بأنَّ ورود هاتين الروايتين عن الإمام الصادق عليه السلام، وتسجيلهما في المجامع الروائية في القرنين الرابع والخامس، أمرٌ لا يمكن إنكاره، ولكنَّ الفهم الجديد الموجود في شرح هذين العلمين لهذه الرواية هو الذي غير القراءة السابقة. فمع الأخذ بنظر الاعتبار الظروف التاريخية لزمان الإمام الصادق عليه السلام، أي تلك الفترة التي كان الشيعة فيها يعتقدون بأنَّ الإمام الصادق عليه السلام هو (الإمام القائم)، وباعتبار سوء الأوضاع الاجتماعية والسياسية في تلك الآونة، كان الشيعة يتوقعون من الإمام الصادق عليه السلام



أن يقوم بالسيف ويغير الأوضاع المساوية التي يعيشها المجتمع^(١)، ففي مثل تلك الظروف، سيكون لكلام الإمام الصادق عليه السلام ذلك الوقع الذي يسوق الشيعة إلى حالة الانتظار البناء للوصول إلى فرج الإمام القائم عليه السلام، وإزالة كل تلك السلبات الاجتماعية والسياسية الحاكمة على المجتمع الشيعي.

وأما على أساس التقرير الذي قدّمناه في القسم السابق على التوجهات والقراءات المطروحة في مسألة (انتظار الفرج)، فإنّه يمكننا استكشاف أنّ الدورة المعاصرة قد اقترنت بتحوّلات وتطوّرات فيما يرتبط بمسألة انتظار الفرج، وأول تلك التحوّلات مهماً يمكننا الوقوف عليه بوضوح هي قراءة المولى الهمداني، فكما رأينا بأنّ هذا العَلَم يؤكد على مسألة الصبر والتحمّل لانتظار الإمام القائم عليه السلام.

كما شهدنا أنّ كتاب هذا العَلَم، كسائر الكتب المدوّنة في الدورتين السابقتين، أي القرنين الرابع والخامس، والقرنين العاشر والحادي عشر، يؤكد على قضية الصبر والتحمّل وانتظار فرج الإمام القائم عليه السلام.

وعليه، فإنّ هذا التأكيد، لم يكن لتسهيل أمر تحمّل تلك الظروف والأوضاع الاجتماعية والسياسية المزريّة، التي كان الشيعة يمرّون بها، بل إنّ الغاية منه هو الحدّ من الثورات والانتفاضات والجهاد ضدّ الأنظمة الحاكمة في زمانهم. إذن، فنحن أمام تحوّل في فهم مسألة انتظار فرج الإمام القائم عليه السلام^(٢).

والتحوّل الآخر الذي لمسناه في الدور المعاصر، واستناداً إلى التقرير الذي قدّمناه، نجده واضحاً ومتبلوراً في قراءة وفكر السيد محمد تقي الأصفهاني، ففي كتابه المكيال، وضمن نفيه لقراءة أكثرية المجتمع الشيعي لمسألة الفرج، أي إنّ

١. انظر: الطوسي، ١٤١١ق، ص ٢٧٦، الطوسي ١٤١٧ق، ص ٤٠٤-٤٠٦.

٢. الهمداني، ١٣٥٤ش، ص ٢٧١.



فرج الإمام عليه السلام عبارة عن الأرضية المناسبة للدعة والسعة ورفاهية العيش، فإنَّ السيد الأصفهاني كان يرى بأنَّ المقصود من انتظار فرج الإمام عليه السلام ليس انتظار تحقُّق الدعة والسعة والرفاهية في العيش، بل هو انتظار وصول زمان نصرة الإمام القائم عليه السلام، والجهد في ركابه^(١).

ومن خلال التقرير المهم والمميز الذي سجَّله السيد محمد تقي الأصفهاني في كتابه، يمكننا استكشاف بُعد آخر من فهم المجتمع الشيعي لمسألة (فرج الإمام القائم عليه السلام) في هذا الدور من أدوار الغيبة. ولتبيين هذا الموضوع نقول: يبدو أنَّ الماهية الحقيقية لمسألة (فرج الإمام القائم عليه السلام)، كانت غريبة إلى حدِّ كبير عن ذهن شريحة كبيرة من المجتمع الشيعي.

وتوضيح ذلك، إنَّه واستناداً إلى هذا التقرير، يبدو أنَّ تصور شريحة كبيرة، نوعاً ما، من المجتمع الشيعي عن مسألة فرج الإمام القائم عليه السلام، كان يتمثل في أن دور هذا القيام والظهور هي التوسعة في البعد المعيشي للحياة الاجتماعية والسياسية للشيعية. ومن ثمَّ، وُجد شعورٌ عندهم بأنَّ ظهور الإمام الغائب سيزيد في راحة ودعة المجتمع الشيعي.

والحال، إنَّنا إذا قارنا هذا التصور مع تصور المجتمع الشيعي عن مسألة فرج الإمام القائم عليه السلام في القرنين الرابع والخامس، لوجدنا أنَّ الفهم الشيعي لهذه المسألة في ذينك القرنين هو أنَّ الثمرة الأصلية من ظهور الإمام الثاني عشر عليه السلام، هو بسط العدل ومقارعة الظالمين والجائرين، وبعبارة أُخرى، إنَّ فرج الإمام عليه السلام سيؤدِّي إلى التخفيف من الضغوط الاجتماعية السياسية الحاكمة في المجتمع تجاه الشيعة.

١. الأصفهاني ١٤٢١ق، ج ٢، ص ١٤٤.



ولكنَّ هذا التحوُّل، لم يكن التحوُّل الوحيد الناظر إلى مسألة (انتظار الفرج) في هذا الدور. فقد أشرنا في القسم السابق من البحث، بأنَّ عدداً لا بأس به من العلماء المعاصرين الشيعة في هذا الدور، قد رفضوا هذه الرؤية والقراءة، أي إنَّ معنى 'انتظار الفرج هو الصبر والتحمُّل إلى حين مجيء إمام العصر عليه السلام، ووقفوا ضدها وأعلنوا أنَّ على المجتمع الشيعي أن يكون فعَّالاً ومتحرِّكاً في قضية انتظار فرج الإمام القائم عليه السلام، وأنَّ يعدُّ الأرضية المناسبة للظهور عن طريق التمسُّك بالأصول التي تبتني عليها حكومة المنتظر عليه السلام.

ففي هذا الدور من أدوار الغيبة، سادت القراءة القائلة بأنَّ صرف الصبر والتحمُّل والسكوت تجاه المظالم، يعدُّ بمثابة الفرار من المسؤولية والتخلِّي عن الوظيفة الشرعية فيما يرتبط بمسألة انتظار فرج الإمام الغائب. فعلى كلِّ فرد من أفراد المجتمع أن يتفرض على الأوضاع السيئة الموجودة، وأنَّ يجتهد لتغييرها إلى ما هو الأفضل، وبذلك يخلق الأرضية المناسبة لظهور الإمام الغائب عليه السلام. ومثل هذا الفهم لمسألة (فرج الإمام القائم عليه السلام) والإقبال عليه، والتمسُّك به، لم يكن معروفاً عند المجتمع منذ بداية الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر عليه السلام. فإذا ما قارنا هذه الرؤية برؤية الهمداني، المطروحة في بداية هذا الدور، وجدناها مقابلة لها تماماً.

٣- تبين التحوُّلات الطارئة:

استناداً إلى ما تقدَّم منَّا في القسم السابق حول تقرير التحوُّلات التي طرأت على رؤية مسألة (انتظار فرج الإمام الغائب عليه السلام)، لاحظنا أنَّ تحوُّلاً حصل في الدور الأوَّل من الأدوار التي نحن في صدد دراستها، أي في القرنين الرابع والخامس للهجرة.

وعلى أساس هذه الدراسة، يمكننا معرفة التحوّلات التي حصلت في الدور الثاني، أي في القرنين العاشر والحادي عشر، ثم في الدور المعاصر.

فدراستنا كشفت عن أنّ أول تحوّل مهم وصل في هذا الدور، هو قراءة العلامة المجلسي رحمته الله، والذي ذهب إلى أنّ الروايات الواردة عن الأئمة عليهم السلام والدالة على قصر مدّة غيبة الإمام القائم عليه السلام، إنّما صدرت عنهم عليهم السلام من باب التورية، لكي يثبت الشيعة على إيمانهم فلا يتركوا التمسك بالذهب. وفي تبين هذه المسألة، يمكن القول بأنّ الفاصل الزمني من بداية الغيبة إلى زمن العلامة المجلسي رحمته الله، والذي يقدر بحدود ستّة قرون، قد يعتبر علّة مهمّة لظهور هذا الفهم والاعتماد من قبل العلامة للروايات الناضرة إلى زمان فرج الإمام الغائب عليه السلام.

فهذه الفاصلة الزمانية، الطويلة نوعاً ما، والتي لا يمكن استنباطها من أيّ واحدة من الروايات الموجودة في المصادر الروائية، والتي لم يكن المجتمع الشيعي يتوقعها أبداً، هي التي أدّت إلى حصول التحوّل في القراءة التفسيرية لمسألة انتظار الفرّج. وهذا التحوّل في قراءة مسألة انتظار الفرّج، حصل من خلال عنصر (طول زمان هذا الانتظار)، وعلى أساس هذه القراءة الجديدة، فإنّ طول فترة انتظار الفرّج غير معين، والروايات الناضرة إلى قصر فترة الغيبة والانتظار، لا يفهم منها فترة معينة للانتظار.

وعليه، فإنّ عنصر (طول زمان الانتظار) في الطرح التفسيري والذي كان لحدّ الآن يستفيد من الروايات الناضرة إلى زمانٍ قصيرٍ للغيبة، لا يجد نفسه الآن قادراً على مثل ذلك الاستلهام من تلك الروايات، وبذلك حُذف مفهوم (انتظار الفرّج) من الطرح التفسيري. وفي المقابل، شاهدنا في هذا الدور التأكيد

على طول عمر الإمام عليه السلام، ذلك الأمر الذي بينه العلامة المجلسي رحمته الله مباشرة بعد تخريجه للروايات النازرة إلى قصر زمان الانتظار^(١).

وأما التحوّل الثاني الذي رصدناه في هذا الدور، فهو تقدّم أهمية مسألة (انتظار الفرج) على مسألة (درك زمان الفرج)، فكما قلنا سابقاً، فإنّ المولى صالح المازندراني والمولى الفيض الكاشاني، وضمن شرحهما للرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام، أكّدا على هذه النكته، وهي أنّ حصول الفرج للشيعه لا يعني السعة في المعاش ورفاهية العيش المادّي فقط، فإنّ التحلّي بانتظار الفرج، وباعتبار استناده إلى بعض الروايات القائلة بأفضليته على سائر الأعمال، يستتبع الراحة والسعادة الأخروية، والتي تعتبر فرجاً واقعياً.

والمستفاد من بعض المصادر المصنّفة في بداية دور الغيبة الكبرى^(٢)، هو أنّ القراءة السائدة في ذلك الدور عن مسألة (انتظار الفرج) كان لها دور سوق المجتمع الشيعي، الذي كان يرزح تحت نير الظلم والاضطهاد، نحو التحوّل والصبر على تلك الأوضاع، حتّى يظهر إمام العصر عليه السلام فينقذهم برفع الظلم والجور عنهم، وينشر العدل والقسط في العالم، وحينئذٍ ستتحقق السعة والفرج والانفراج في الحياة الاجتماعية والسياسية.

ولكن، وبالتحوّل الذي لمسناه في فهم مسألة انتظار الفرج في القرنين العاشر والحادي عشر، فإنّ الدرك الزماني لانتظار الإمام، كان مقدّماً على الدرك الزماني لفرج الإمام المهدي عليه السلام.

وهذا الأمر، يدعونا تلقائياً إلى التأمّل في أنّ مثل هذه القراءة، يمكن أن تحكّم في دور لا يكون فيه المجتمع الشيعي تحت ضغوط كبيرة وظروف صعبة

١. المجلسي، ١٤٠٣ق، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٢٢٥-٢٩٣.

٢. انظر تحليل آراء النعاني والصدوق في هذا المقال.

وقاسية جداً تفرض غير هذه القراءة عليهم. وهذا الحدس العلمي يتناسب إلى درجة كبيرة مع الأرضية التاريخية لصدور مثل هذه القراءة، إذ إنَّ مثل هذه القراءة الجديدة كانت قد عُرِفَت في زمن الدولة الصفوية، حيث أُعْلِنَ المذهب الشيعي الاثنا عشري مذهباً رسمياً للدولة، وشعر المجتمع الشيعي بانفراج وأمان أكبر في الحياة الاجتماعية والسياسية قياساً بالأدوار السابقة لهذا الدور. ومن جهة أخرى، وباتِّساع قدرة وسلطة سلسلة الصفوية، والازدهار الاقتصادي الملحوظ في تلك البرهة من التاريخ، ومضافاً إلى انكشاف الأرضية الأمنية للشيعية، فإنَّ الوضع المعاشي والحياتي للشيعية قد انتعش بشكل ملحوظ. وقد شاهدنا في هذا الدور أنَّ إيران قد تحوّلت إلى مركز مهم لاستقطاب الشيعية من كافة الأقطار والأرجاء^(١).

ولكن، يمكننا هنا أن نتعرف على عاملٍ آخر أدّى إلى التحوّل في الطرح التفسيري لمسألة (انتظار الفرج) في هذا الدور، حيث يبدو لنا بأنَّ استطالة فترة الانتظار للفرج، قياساً لما كان يتصوره المجتمع الشيعي، استناداً إلى المصادر الروائية، كان له الأثر الموجب لذلك التحوّل. ففي الحقيقة، إنَّ طول دورة الانتظار، وعدم تحدّد زمن الفرج بنحو مشخص، كان سبباً للتأكيد على أهمية نفس (انتظار الفرج) قياساً بدرك زمان الفرج.

وهذا التبيين، يمكن أن يحظى بالقبول فيما إذا عرفنا بأنَّ فترة حكومة الدولة الصفوية لم تكن فترة صعبة وقاسية بالنسبة للشيعية، وعلى الأقلّ قياساً بالفترة السابقة للصفوية. وهذا الموضوع يمكنه أن يغير من الطرح التفسيري لمفهوم (انتظار الفرج)، ويبدّل القراءة السابقة إلى القراءة الجديدة.

١. للاطلاع على أحوال المذهب في دور ازدهار العصر الصفوي، راجع: أمورتّي، ١٣٨٠، ص ٣٢٦-٣٣٤؛ وللأطلاع على اعتبار التشيع مذهباً رسمياً في إيران في العصر الصفوي، راجع: رسول جعفریان، ١٣٧٩، ص ١٧-٨٦؛ وللأطلاع على الانفراج في الحياة الاجتماعية للشيعية، راجع: المظفر، ص ٣٠٥-٣٠٩.



ولكن، وكما تقدّم، فإنّه في الدور الثالث من الأدوار التي نحن بصدد دراستها، أي في الزمن المعاصر، شاهدنا ثلاثة تحولات رئيسية من قراءة مسألة الانتظار.

التحوّل الأوّل: التأكيد على الصبر وانتظار فرج الإمام، والحذر من الخروج والجهاد ضد الظالمين، كوظيفة أساسية من وظائف الشيعة.

والتحوّل الثاني: ظهور فكرة عند المجتمع الشيعي، مفادها أنّ ظهور إمام العصر عليه السلام، يعني بداية دورٍ ملؤه الراحة والدعة والسعة والرفاهية في المجتمع الشيعي.

والتحوّل الثالث: قراءة جديدة عن مسألة (انتظار الفرج)، على أساسها لا يعتبر (انتظار الفرج) صرف الصبر والتحمّل حتّى ظهور الإمام القائم عليه السلام، بل إنّ على الشيعة التمهيّد والإعداد والاستعداد لنصرة الإمام القائم عليه السلام، وذلك عن طريق التربية والاستقراء والتهيؤ للظهور.

وحيث إنّ التحوّل الأوّل مضادٌّ للتحوّل الثالث وهما قراءتان متقابلتان، كان علينا تبيين هاتين القراءتين في دراسة واحدة، ثم تبيين التحوّل الثاني في دراسة مستقلة.

وسنبدأ بدراسة وبحث التحوّل الثاني:

فيما يرتبط بكيفية ظهور القراءة السابقة لمسألة (انتظار الفرج)، التي ترى بأنّ الانتظار ليس لنيل ودرك حياة هادئة مستقرّة وللالتذاذ بملذات الحياة، وإنّما هو دورٌ على الشيعة أن يتّجهوا فيه إلى نصرة إمامهم، لا بدّ من القول بأنّه يبدو للنظر، أنّ مسألة (انتظار الفرج) قد فقدت في بعض برهات هذا الدور المعاصر فاعليتها السابقة ووجهتها، على الأقل تلك الوجهة السائدة في القرنين الرابع والخامس، إلى حدّ ما.

واستناداً لما تقدّم منّا، فإنّ النظرة السائدة سابقاً هي أن (انتظار الفرج) يعني انتظار دور يكون ظهور الإمام عليه السلام فيه بداية زوال الظلم والجور، واستقرار العدل والقسط، تحقّق سعة وانفراج في الحياة الاجتماعية السياسية للمجتمع الشيعي، ومع فقدان عنصر الظلم في الدور المعاصر لم يعد لتلك القراءة فاعلية متصوّرة، فإنّه سيكون من قبيل تحصيل الحاصل. ومن ثمّ فسّر ذلك (الفرج) في الطرح التفسيري لانتظار الفرج، بالسعة والدعة ورفاهية العيش والالتذاذ بملذات الحياة، بعد أن كان مفسّراً ببسط العدل والقسط وإزالة الظلم.

ويبدو أنّ جذور مثل هذه القراءة الجديدة للفرج في مسألة انتظار الفرج، تعود إلى دور الدولة الصفوية، فتأكيد المولى صالح المازندراني والمولى محسن الفيض الكاشاني على أنّ (فرج الإمام عليه السلام)، مساوٍ للفرج الدنيوي للشيعية بتحسّن أوضاعهم المعاشية، هذا التأكيد يمكن أن نجد له امتداداً في القراءة المطروحة في العصر الحاضر، أي إنّ هذه الرؤية كانت قد ظهرت بوادرها في عصر الدولة الصفوية واستمرّت فاعليتها إلى الدور المعاصر.

وأما التحوّلان الأوّل والثالث، واللذان شاهدناهما في القراءة المطروحة في الفترة المعاصرة عن مسألة (انتظار الفرج)، فهما من مختصّات هذا الدور، وليس فهماً ذا جذورٍ تاريخية في الأدوار السابقة من زمن الغيبة.

فالمنع والتحذير من مواجهة السلطات الظالمة والجائرة، والتأكيد على الصبر حتى وصول يوم الفرج وظهور الإمام القائم عليه السلام، وما يقابله من رؤية تذهب إلى نفي الصبر المحض، والتأكيد على الإقدام العملي، تحوّلان أصليان في قراءة (انتظار الفرج) في هذا الدور المعاصر.

وما يمكن قوله في تبين كيفية ظهور وتشكّل هاتين الرؤيتين في هذا الدور، هو إنّ التحوّل والتغير في الفكر السياسي للمجتمع الشيعي في هذا الدور، هو المحرّك والحافز لمثل هذا التحوّل في القراءات.

فالمؤرّخون للفكر السياسي الشيعي، يرون بأنّ بداية التحوّل في الفكر السياسي للمذهب الشيعي في الدور المعاصر، يعود إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري.

فهم يعتقدون بأنّ بداية هذه التحوّلات تعود إلى بداية نفوذ وسيطرة القوى الاستعمارية في البلاد الإسلامية، مما أدّى إلى إقبال علماء الإسلام، وخاصّة علماء الشيعة، على عرصة السياسة.

ففي المجال الثقافي في إيران، يمكن تتبّع التحوّل من بداية زمان نهضة المشروطة وإلى بداية ظهور مقدّمات الثورة الإسلامية سنة (١٩٧٧ م).

ففي هذا الدور الطويل نوعاً ما، سعى بعض علماء الشيعة جاهدين، لتطبيق المفاهيم والمبادئ الجديدة، التي كانوا يواجهونها في عرصة السياسة والحكومة، على ثوابت الشريعة الإسلامية^(١)، وبذلك ظهرت تحولات أساسية في الفكر السياسي الشيعي المعاصر.

ومن بين التحوّلات الرئيسية والأساسية في الفكر السياسي الشيعي في الدور المعاصر، والذي نتج عن منهج تطبيق مفاهيم الشريعة على المفاهيم والمبادئ السياسية من قبل علماء الشيعة، تعدّ مراجعة مفهوم (التقية)، و(الاستشهاد)، من جملة المفاهيم التي أُعيدت قراءتها بما يتناسب مع الظرف القائم.

ففي هذه المراجعة الفكرية لهذه المفاهيم، اتّضحت الفواصل الماهوية بين الحالة الواقعة والحالة المطلوبة، فلم يعد الاستمرار على القراءة السابقة لهذه المفاهيم مجدياً، ولم تعد التضحية والفداء في سبيل الدين وأصوله، من مختصّات النخبة المعصومة^(٢).

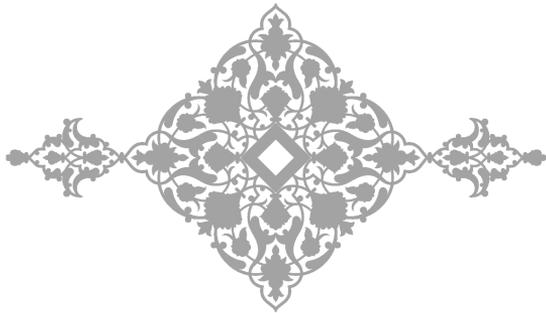
١. كديور ١٣٧٨ ش، ص ٥٥-٢٥٣.

٢. عنایت ١٣٨٠ ش، ص ٢٧٧-٢٧٩.

وبذلك، بدأ السعي الحثيث لاستبدال (الحالة الواقعة) بـ(الحالة المطلوبة) -فكان لها أثر في إعادة تعريف التقية- فصارت المقولة: (الممكن) و(المطلوب). وكذا الحال في مفهوم (الاستشهاد) و(التضحية) و(الفداء) في سبيل الدين، فلم تعد فكرة اختصاص المعصومين والنخبة بهذه المفاهيم والمبادئ فكرة سائدة، بل عُدَّتْ كُلُّ هذه المفاهيم وتحقيقها من جملة وظائف ومبادئ جميع أفراد المجتمع الشيعي.

فإذا ما أردنا دراسة التحوّل في قراءة مفهوم (انتظار الفرج) من زاوية مثل هذا التحوّل في الفكر السياسي الشيعي، لابدّ أن نقول: إنّ الطرح التفسيري لهذا المفهوم، كان يرى بأنّ (الانتظار) يعني (الصبر) و(التحمل) و(البقاء على الوضع الموجود)، والآن، وفي القراءة الجديدة، فإنّ الصبر على الوضع الموجود بات مذموماً، وغير مقبول، وأمّا السعي والجدّ للوصول إلى الوضع المطلوب، فهي أمور ممدوحة ومطلوبة. وبهذا توفرت الأرضية لفهم (انتظار الفرج) ونصرة الإمام عليه السلام.

ويبدو أنّ قراءة الهمداني، أي تلك القراءة المعاصرة التي تؤكد على الصبر والتحمل والسكوت على الحكومات الجائرة، قد تصورت بهذه الصورة في ضمن هذا الإطار، فهو في الواقع عاملٌ تغييرِيٌّ منهجيٌّ.



المحتويات

| | |
|-----|---|
| ٥ | تمهيدنا: عنصر المفاجأة |
| ٩ | الانتظار - الدلالة والآثار والمنع من التحرك في عصر الغيبة - الشيخ كاظم القره غولي |
| ٣٩ | حكم تسمية الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> - الشيخ جاسم الوائلي |
| ٦١ | لَتُقْسِدُنَّ.. مرّتين - السيد باسم الصافي |
| ٧٧ | الشواهد القرآنية في التوقيعات المهديّة - الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي |
| ١١١ | الخسف في البيداء علامة حتمية - السيد جعفر القبانجي |
| ١٥٩ | الماشيح المنتظر اليهودي - أ. د. عامر عبد زيد الوائلي |
| ١٩١ | الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> بين ولادة الاعتقاد واعتقاد الولادة - الباحث علي محمد ناصر |
| ٢٣٣ | الثأر ثقافة الانتظار ولغة استرداد الحقوق - الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي |
| ٢٨١ | مقارنة نوعية لموعد المسيحية مع موعد الشيعة - موسى جوانشير - ترجمة: السيد جلال الموسوي |
| ٣١٣ | دراسة التحوّلات في قراءة مفهوم (انتظار الفرّج) في الغيبة الكبرى - السيد كاظم الطباطبائي، مهدي الجلاّلي، مونس الفارساني الدهقاني، حسن نقى زاده - ترجمة: السيد جلال الموسوي |





www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

رقم الإصدار: ٢٥١

الموسكويا

ALMAUOOD